

المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية
عبد الرحمان بن حميدة - بومرداس

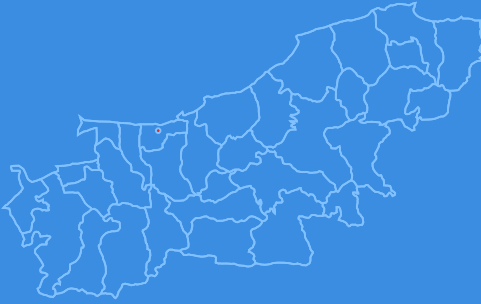


مخبر التاريخ المحلي
والذاكرة الجماعية والمقاربات الجديدة
جامعة البويرة



بومرداس

الذاكرة، الإنسان والمجال



إشراف :

- الدكتور مصطفى سعداوي
- الدكتور نسيم حسبلاوي
- الدكتور عمر بوضربة
- الأستاذ عبد الوهاب عيساوي



المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية
عبد الرحمان بن حميدة - بومرداس



مخبر التاريخ المحلي
والذاكرة الجماعية والمقاربات الجديدة
جامعة البويرة

بومرداس

الذاكرة، الإنسان والمجال

إشراف :

الدكتور مصطفى سعداوي

الدكتور نسيم حسبلاوي

الدكتور عمر بوضربة

الأستاذ عبد الوهاب عيساوي

جميع الحقوق محفوظة
للمكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية
عبد الرحمن بن حميدة
ولاية بومرداس

ردمك ISBN 978-99-31984-30-6

فيفري 2022

فهرس الموضوعات

الصفحة	عنوان الموضوع	المؤلف
05	تصدير والي ولاية بومرداس	
07	تقديم منسق الملتقى: أ.د / عمر بوضربة	
09	مقدمة مدير مخبر التاريخ المحلي: د / مصطفى سعداوي	
الفصل الأول: منطقة بومرداس. الساكنة والمجال		
43_21	تطور الساكنة بمنطقة بومرداس في الوسيط والحديث. من التمايز إلى التمازج	د / نسيم حسبلاوي
65_44	المرأة والماء في الميثولوجيا الأمازيغية لمنطقة بومرداس بين الماضي والحاضر - أسطورة أنزار عروس البحر أنموذجا	أ / زهية مضوي
89_66	بومرداس في الأرشيف الجزائري خلال العهد العثماني 1519-1830 . مقارنة تاريخية- اجتماعية	د / ياسين بودريعة
107_90	الرصد المعرفي والرقمي لأحوال الأسر الأندلسية الوافدة إلى مدينة دلس وما جاورها من خلال المصادر	د / جمال عناق أ / آمال راببة
129_108	لمحة تاريخية عن منطقة بومرداس خلال العهد العثماني	د / رشيدة شجري معمار

الفصل الثاني: ذاكرة شعب مقاوم		
154-131	قراءة تاريخية في سيرة الملك نوبيل وأثاره في منطقة بومرداس	د/ سامية معوشي أ/ نوال مغاري
168-155	مقاومة مدينة دلس للاحتلال الفرنسي (من بداية الاحتلال إلى سقوط المدينة)	أ.د/ نور الدين شعباني
179-169	دور سكان وأعيان منطقة بومرداس في مقاومة الغزو الاستدماري الفرنسي 1830 ومقاومة الأمير عبد القادر الحسني الجزائري 1847-1837	أ.د/ عمر بوضربة
205-180	القبائل السهلية مهد ثورة أول نوفمبر 1954 في المنطقة الثالثة	د/ مصطفى سعداوي
الفصل الثالث: حراك الشخصيات التاريخية		
214-207	الشيخ أحمد حسين 1911-1987 منارة من منارات الجزائر سيرة ومسيرة	أ/ نجيب بن مبارك
230-215	الجهود الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حاضرة دلس	د/ عبد العزيز مرابط أ/ رشيد عبد العزیز
242-231	رموز النخبة الثورية والإصلاحية في بومرداس وأحوالها	أ.د/ عبد الله مقلاتي

تصدير والي ولاية بومرداس: يحيى يحياتن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه

تتشرف ولاية بومرداس مدينة الفكر والفن والابداع باحتضان تنظيم الملتقى الوطني حول بومرداس: «الإنسان والمجال والذاكرة» من طرف المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية، «عبد الرحمان بن حميدة»، بالتنسيق مع مدير مخبر التاريخ المحلي والذاكرة الوطنية بجامعة البويرة، وبمشاركة ثلثة من الأساتذة والباحثين المختصين.

إن تنظيم هذا الملتقى الوطني المتزامن مع الاحتفال بالذكرى السابعة والستين (67) لاندلاع ثورة التحرير المباركة للفاتح من شهر نوفمبر 2021/1954، يعتبر بمثابة قيمة معرفية علمية مضافة ليس في مجال البحث العلمي وحسب، وإنما في إثراء ملف الذاكرة الوطنية والمحلية لولاية بومرداس على وجه الخصوص، وذلك من خلال تثمين مخرجاته.

لقد بذلت الدولة الجزائرية مجهودات كبيرة في سبيل ترقية وتثمين ملف الذاكرة الوطنية الجماعية وقد دعمه التعديل الدستوري الجديد الذي كرس بيان أول نوفمبر 1954 وأكد على احترام رموز الثورة التحريرية وترقية كتابة التاريخ الوطني وتعليمه للناشئة وذلك تأكيداً للدور الاستراتيجي للذاكرة الوطنية في تنمية روح المواطنة وتجسيدها للمفهوم الحقيقي للسيادة الوطنية.

تعتبر ولاية بومرداس، محطة أخرى- كان لزاما علينا الوقوف عندها لدراسة تاريخها العريق عبر مراحل زمنية متعاقبة، لاسيما في مجال نضالها التحرري السياسي والثوري ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم.

يعود تاريخ ولاية بومرداس إلى فترة ما قبل التاريخ، حيث تعاقبت عليها العديد من الحضارات القديمة، بدءاً من الحضارة الفينيقية، فالرومانية و الوندالية، ثم البيزنطية، كما خضع إقليم الولاية لحكم الدولة الإسلامية بعد فتحها من طرف "موسى بن نصير".

لقد كانت ولاية بومرداس جزءا من الولاية التاريخية الثالثة والرابعة معا إبان الثورة، كما شارك خيرة بناتها وأبنائها في العديد من المعارك الشرسة ضد الاحتلال الفرنسي راح ضحيتها أكثر من 5200 شهيد الذين سقطوا في ميدان الشرف، فكانوا رمزا يقتدي به في التضحية والوفاء والإخلاص للوطن، جسدتها تلك المعالم التاريخية والتذكارية التي تزخر بها الولاية ومنها : 29 مقبرة للشهداء و10 مربعات للشهداء و42 معلما تذكاريا، بالإضافة إلى معالم تاريخية أهمها : 39 محتشدا و42 مركزا تعذيبا وسجنين.

تشكل هذه المعطيات مجتمعة مكسبا آخر لإبراز الهوية الوطنية وثوابت الأمة ووحدة الدولة وسيادتها، مما يقتضي منا جميعا ضرورة التحلي بروح المسؤولية واليقظة الدائمتين في الحفاظ على هذه المكتسبات من كل أشكال التهديدات الداخلية والخارجية التي قد تمس بالأمن المجتمعي في بعده الشامل، خاصة ونحن نعيش في عصر الثورة الفكرية والتكنولوجية التي فرضتها العولمة.

أتمنى أن تكون مخرجات هذا الملتقى العلمي لبنة علمية لتوسيع الرصيد المعرفي لقرائنا الكرام والباحثين بخصوص تاريخ ونضال ولاية بومرداس، بما سيساهم في ضمان التواصل الإيجابي بين ماضينا الحافل ببطولات أمجادنا ومعايشة حاضرنا وبناء مستقبل أفضل يتطلع لطموحات وأمال أبناء وبنات وطننا المفدى، متمنيا للجميع كل التوفيق والنجاح.

العزة لله، المجد للوطن والخلود لشهدائنا الأبرار.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

تقديم منسق الملتقى: أ.د. عمر بوضربة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

كما يقال أصعب الأعمال بداياتها خاصة فيما يتعلق بالبحث والتنقيب في التاريخ المحلي بشكل خاص، فقد أصبح التاريخ المحلي توجها رئيسا للدراسات التاريخية المعاصرة خاصة في الجزائر التي شهدت مؤخرا اهتماما كبيرا واستقطابا لجانب كبير من دراسات الباحثين ومراكز البحث والمخابر؛ وذلك من خلال الدراسات التي أنجزت والملتقيات التي نظمت حول التاريخ المحلي لمختلف مناطق الوطن.

لهذا الاعتبار ولشج الدراسات التاريخية التي غنيت بتاريخ مختلف حواضر وتراث وشواهد مدن ومناطق ولاية بومرداس، ارتأت مجموعة من الأساتذة الجامعيين المهتمين بالتاريخ المحلي للولاية والتي التقت مع رغبة صادقة من مدير المكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية «عبد الرحمان بن حميدة» المثقف والأديب عبد الوهاب عيساوي، وكان اقتراحنا أن يُخصص الملتقى الأول حول التاريخ المحلي لولاية بومرداس لمختلف الحقب التاريخية عبر ربوع ولايتنا التي شهدت صفحات ناصعة وإسهاما متعدد الأوجه في التاريخ الوطني ثقافيا وسياسيا وعسكريا.

يشارك في أشغال ملتقانا هذا أساتذة باحثون من مختلف جامعات الوطن: بومرداس-المسيلة-تيزازة-الشلف-البويرة-تبسة-خميس مليانة-جامعة الجزائر-2-المدرسة العليا للأساتذة(بوزريعة).

وتوزعت المداخلات الـ 18 على خمسة محاور تضمنتها ديباجة مشروع الملتقى وهي:بومرداس خلال العصور التاريخية المختلفة المنطقة خلال الثورة التحريرية-أهم المعالم الأثرية خلال العصور المختلفة- نماذج من الشخصيات العلمية الموروثة اللامادي وأثره في سكان المنطقة.وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر كل من ساهم معنا في طرح الفكرة وبلورتها (أ. عبد الوهاب عيساوي ود / نسيم حسبلاوي) وفيمن أعطى الغطاء العلمي للملتقى «مخبر التاريخ المحلي

والذاكرة الوطنية والمقاربات الجديدة» بجامعة البويرة د / مصطفى سداوي، والشكر كل الشكر لمدير المكتبة الرئيسية والسيدة مديرة الثقافة للولاية وكل مسؤولي ولاية بومرداس الذين وفروا كل ما يلزم في سبيل تنظيم وانجاح الملتقى؛ كما نشكر كل المشاركين والطلبة والتلاميذ الحاضرين ووسائل الإعلام التي ستغطي أشغال الملتقى والشكر موصول لكل موظفي المكتبة الذين بذلوا جهودا جبارة في سبيل إنجاح الملتقى، ونتمنى لكل المشاركين التوفيق والسداد والإقامة الطيبة وبالتوفيق.

بومرداس في 02 نوفمبر 2021

مقدمة مدير مخبر التاريخ المحلي: د. مصطفى سعداوي

إلى وقت قريب، كان التاريخ المحلي متروكا للمؤرخين الهواة، إلا أنه وبفضل التطورات الحاسمة التي طرأت على منهجيات البحث التاريخي أواخر القرن الماضي وما صاحبها من انبثاق مقاربات جديدة على غرار "الميكرو-تاريخ"، و"التاريخ من الأسفل"، و"تاريخ الحياة اليومية"، و"تداخلية التخصصات"، الخ... أضى التاريخ المحلي يتموضع في صميم اهتمامات المؤرخين الأكاديميين.

وترافق هذا التطور مع تحول عميق في النظرة إلى التاريخ المحلي، إذ لم يعد يعني الانغلاق على الجهة، بل أضى مرادفا للانفتاح وقبول التعدد ورفض التعصب. وبالنتيجة غدت العلاقة بينه وبين التاريخ الوطني علاقة تكاتف وتكامل؛ بحيث لا تتحقق المعرفة الصحيحة لهذا الأخير إلا من خلال الإحاطة بالأجزاء المكونة له (أي التواريخ المحلية)، كما أن الفهم السليم لهذه الأجزاء لا يستقيم إلا في نطاق حركية الكل (أي التاريخ الوطني).

وتأكيدا لهكذا نتيجة، يكفي أن ننوه بما يتيحه التاريخ المحلي من إمكانية اكتشاف مصادر جديدة، من أجل نفض الغبار عن المصادر والموارد التاريخية المحلية المهملة، واستثمار كل ذلك في إثراء وتعميق البحث التاريخي الوطني. هذا علاوة على ما ينهض عليه هذا النوع من الدراسة التاريخية من تضييق لمجال البحث، وتخفيض لمقياس المراقبة، مع تكثيف المادة الوثائقية، ما يسمح برصد العلاقات المؤثرة والقوى الفاعلة التي تكون عادية خافية على المستوى "المكرو-تاريخي" (الوطني).

من هذا المنطلق، انتظم الملتقى الوطني الأول حول تاريخ منطقة بومرداس والموسوم بـ "بومرداس: الذاكرة، الإنسان و المجال" يومي 2 و3 نوفمبر 2021 بالتزامن مع إحياء الذكرى 67 لانطلاق ثورة الفاتح نوفمبر 1954. وقد جرت فعالياته بالمكتبة الرئيسية للمطالعة العمومية "عبد الرحمان بن حميدة"، تحت الرعاية السامية للسيد والي ولاية بومرداس وبالتنسيق مع مخبر "التاريخ المحلي والذاكرة الجمعية والمقاربات الجديدة من جامعة أكلي محند ولحاج (البويرة)". فكان فرصة لتضافر جهود ما يقارب 20 باحثا من عدة جامعات وطنية ومخابر

بحث متخصصة لوضع التاريخ المحلي لـ "منطقة بومرداس" على مشرحة البحث والتنقيب، مسلطين الأضواء الكاشفة على حضورها الدائم والمؤثر عبر مختلف مراحل التاريخ الوطني (الجزائري).

وإذ تجد هذه الإسهامات طريقها إلى النشر، وتخرج من أقبية البحث إلى رفوف المكتبات، لتتلقاها بشغف أيدي المهتمين وما أكثرهم، ويرتوي من معينها قطاع عريض من القراء، فإنه لا يسعنا إلا أن نعبر عن بالغ امتناننا وجزيل شكرنا لكل من كان إلى ذلك سببا، وفي القلب المسؤول الأول لولاية بومرداس السيد يحيى يحياتن.

د / مصطفى سعادوي

مدير مخبر التاريخ المحلي

والذاكرة الجمعية والمقاربات الجديدة

جامعة البويرة



الفصل الأول

منطقة بومرداس

الساكنة والمجال



تطور الساكنة في منطقة بومرداس

في العصور الوسطى و الحديثة

من التمايز الى التمازج

د / نسيم حسبلاوي - جامعة البويرة

عناصر الموضوع:

مقدمة

1_ البربر وبلاد المغرب.

2_ البربر الأمازيغ في منطقة بومرداس.

1.2_ صنهاجة

2.2_ زاوية الصنهاجية

3.2_ بنو مزغنة فرع من صنهاجة

4.2_ فليسة فرع من زاوية

3_ العرب الثعالبة بمنطقة بومرداس

4_ وصلة سياسية

5_ منطقة بومرداس تحت إمارة الثعالبة

6_ منطقة بومرداس تستقبل الأندلسيين

7_ العثمانيون الأتراك بمنطقة بومرداس

1.7_ الأتراك

2.7_ منطقة بومرداس جزء من دار السلطان

8_ اليهود

9_ الجزائريون

10_ خاتمة

مقدمة:

تعددت العناصر السكانية التي اتخذت أراضي منطقة بومرداس مستقرا لها وتغيرت أماكنها عبر الزمن لأسباب مختلفة سواء منها الهجرات السكانية التي أتت بالنوميديين أو الرّحل والموريين ومن الشام الفينيقيين، ومن النوميديين البربر أو الأمازيغ السكان الأصليين لهذه البلاد وفي العصر الوسيط بمجيء العرب الهلالية، ثم أواخر العصر الوسيط وبداية العصر الحديث وفد الأندلسيون على دول المغرب، ومن الأسباب السبب السياسي- العسكري التي ارتبطت بقيام الدول وتصارعها فيما بينها، وكذا القوى الكبرى المحتلة لشمال إفريقيا عبر العصور القديمة قبل الفتح الإسلامي والتي جاءت بالوندال والرومان والبيزنطيين (الروم)، ثم بسبب الفتوحات الإسلامية التي جاءت بالجيوش العربية التي استقرت بالمنطقة واختلطت بسكانها، قبل أن يتضاعف هذا العنصر في القرن 5هـ/ 11م بقدموم الهلاليين كما أسلفت، وكان لقيام الدول المستقل بالمنطقة الدور الأساس للحركة السكانية في المغرب الأوسط عامة ومنطقة بومرداس خاصة وذلك عبر التجاذبات التي كانت بين هذه الدول والتوسعات المختلفة مستفيدة من قوة القبائل ونفوذها في منطقة ما أو إقليم معين.

ومن هنا جاءت إشكالية الموضوع التي أخذت طريقتين: الأولى في البحث عن أهم القبائل التي استقرت بمنطقة بومرداس خلال العصور الوسطى والحديثة. والثاني في مدى تعايش هذه القبائل المختلفة الأصول .

1_ البربر وبلاد المغرب:

من المعلوم عند الأغلبية اليوم أن أصل سكان الجزائر بربر أو أمازيغ، لكن هؤلاء ليسوا فصيلا واحدا أو بطنا واحدا أو قبيلة واحدا، بل هم عدة فصائل ويطون، وقبائل متعددة ينتسبون إلى فرعين كبيرين كما يذكر ابن خلدون، هما البتر والبرانس¹، أما شعوب البرانس حسب ابن خلدون 07 أجدام هم:

«أزداجة، مصمودة، أوربة، عجيسة، كتامة، صنهاجة، أوريفجة، وسابق بن سليم،

1 _ عبد الرحمان بن محمد الإشبيلي ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية، ص1597.

وأصحابه: لمطة، هسكورة، وكزولتة جزولتة»^١. أما شعوب البتر فهم 04 أجدام: «
أداسة، نفوسة، ضرية وبنو لواء الأكبر لواتة»^٢.

وليس ابن خلدون هو أول من فصل في أمور البربر حيث سبقه جغرافيون
بعده قرون، منهم اليعقوبي (ت.284هـ) الذي ذكر قبائل البربر في شمال إفريقيا،
والذي يعتبر من أقدم المصادر الجغرافية، حيث أشار إلى برقة وأجدايبة (ليبيا) وجعل
من سكانها « لواتة من زكودة ومفرطة وزنارة... وتحلاتة ومسوسة ومغاغة
وواهلة وجدانة... وذنارة وسوة وجدانة وهم الغالبون عليها أجدايبة، وهي آخر لواتة
من المدن»^٣، وذكر منهم أيضا «هواره، مزاتة ولواتة»^٤، وفي حديثه عن «قابس»
(بتونس) ذكر بأن سكانها «من البربر من زناتة ولواتة والأفارقة الأول...»^٥، ولما
عرج على المغرب الأوسط ذكره بالاسم تحدث عن «جبل أوراس» ويسكنه
قوم من البربر من هواره، ثم «تيجس» (عين الملح ولاية أم البواقي) «حولها قوم بربر
عجم يُقال له "نفزة"، ومدينة "ميلة" و"نقاوس" التي حوالها البربر من مكناثة وهي
بطن من زناتة، وأوروية»، ومدينة "مقرة" أهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم
وحولها قوم من البربر يقال لهم بنو زنداج، وقوم يقال لهم "كزيرة" و"سارسة"،
كما ذكر أن «قوم من هواره يقال لهم بنو سمعان وبنو ورجيل وغيرهم خالفوا
ابن الأغلب»^٦، ثم اتجه مغربا فذكر عدة قبائل: بنو برزال وهو فخذ من بني دمر
من زناتة، ومدينة "هاز" التي تغلب عليها أحد أحفاد الحسن بن علي بن أبي طالب،
وذكر أن سكانها «قوم من البربر القدم يُقال بهم بنو برنيان من زناتة، ثم مدن
بعض سكانها صنهاجة وزواوة يعرفون بالبرانس... ثم قوم يقال لهم بنو دمر من
زناتة... إلى بلد يُقال له متيجة تغلب فيه رجال من ولد الحسن بن علي بن أبي
طالب...»^٧،

1 _ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون (العبري)، ضبط المتن والحواشي والفهارس، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت-لبنان، 2001م، ج6، ص117.

2 _ نفسه، ص120. ينظر: أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص103-104.

3 _ أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر اليعقوبي (ت.284هـ): البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2002م، ص181.

4 _ اليعقوبي: نفسه، ص184.

5 _ اليعقوبي: نفسه، ص185.

6 _ اليعقوبي: مصدر سابق، ص190-191.

7 _ نفسه، ص191-192.

كما ذكر الجغرافي الآخر "البلاذري" (ت.279هـ) البربر في فتوحه « وحدثني بكر بن الهيثم قال: سألت عبد الله بن صالح عن البربر، فقال: هم يزعمون أنهم ولد "بر بن قيس وما جعل الله لقيس ولدا يقال له بر، وإنما هم من الجبارين الذين قاتلهم داود - عليه السلام - وكانت منازلهم على أيادي الدهر فلسطين وهم أهل عمود فأتوا المغرب ففتناسلوا به، ثم ذكر «لواتة» من بربر برقة، وكيف اشترط عليهم عمرو بن العاص أن يبيعوا أبناءهم ونساءهم فيما عليهم من الجزية، قال الليث الراوي: «فلو كانوا عبدا ما حل ذلك منهم»¹، لكن يزيد سوف يكتب عن اللواتيات «أن من عنده لواتية فليخطبها إلى أبيها أو فليردها إلى أهلها، قال: ولواتة من البربر كان لهم عهد»².

وهذا جغرافي آخر متقدم ذكر البربر وعدة قبائل بربرية وهو يتحدث عن شمال إفريقيا فذكر: «هواره، زناتة، امهاثة، ضريسة، مغيلة، ورفجومة، وهي من نفزة، وليطة، مطماطة، صنهاجة، نفزة، كتامة، لواتة، مزاتة، زبوجة، نفوستة، لمطة، صدينتة، مصمودة، غمارة، أوريتة، أوتيتة، بني سمجون، أبكتة وهي من زناتة، وبني واركلان، بني يصدران، بني ورتجي، بني منهوسا، وكانت دار البربر فلسطين...»³، ثم تحدث عن العلويين الذين حكموا جزء من المغرب الأوسط ذاكرا «ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رحمة الله عليهم تلمسين ومن تاهرت إليها مسيرة 25 يوما عمران كلها»⁴،

_ والمؤرخون الأجانب في العصر الحديث يقسمون شمال إفريقيا قسمان: أرض البرابرة (La Barbarie) والصحراء⁵، كما يستعمل مصطلح «القبائل» من بين

1 _ أبو الحسن البلاذري: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، 1988، ص222-223.

2 _ البلاذري: ص223.

3 _ عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة (ت.280هـ): المسالك والممالك، طبعة ليدن، مطبعة برييل، 1889م، ص91-90.

4 _ ابن خرداذبة: ص89.

5 _ Docteur Shaw: Voyage dans la Régence d'Alger, traduit de l'anglais par J. Mac Carthy, éditions bouslama, Tunis, 2eme edition, p8, 13, 20, 40, 45, 57 et autre.

سكان القسم الأول إضافة إلى : المور، العرب والأتراك^١، وإذا كان البسيط

منا يعرف العرب والأتراك إلا أن الكثيرون لا يعرفون معنى "المور"، وهو مصطلح أطلقه بعض الكتاب الأوروبيين على سكان الجزائر خاصة وشمال إفريقيا عامة^٢، وهذا ما أكده "هايدو" في كتابه "طبوغرافا" حيث يذكر أن سكان مدينة الجزائر ثلاث عناصر: «المور (Mauris) والأتراك واليهود»^٣، ثم جعل المور أربع فصائل: "البلديين" (المولودون بالمدينة)، "القبائل" (Kabyles)، «العرب» ثم الآتين من بعض المدن الإسبانية^٤. وهو مصطلح قديم يعود إلى عصر الإغريق والرومان، ومنه كانت "موريطانيا القيصرية" و"موريطانيا الطنجية"^٥، ويسنده الرحالة الألماني "هابنسترايت" الذي زار شمال إفريقيا عام 1732م حين يتكلم عن سكان مدينة الجزائر ذاكرا منهم: الأتراك والكراغلة ويسمي البلديين "الحضر" وهم «السكان الأوائل للمدينة» ثم اليهود، الذين حسب هذا الرحالة «مدينة الجزائر مأهولة بهم»^٦. كما فصل "هاينريش" المتوفى سنة 1874م، والذي زار الجزائر خلال الاستعمار الفرنسي، في سكان الجزائر مقسما إياهم إلى «حضر» و«بدو» وفي التفاصيل عدّد منهم «العرب» و«البربر» و«مسلمي الأندلس»^٧.

- 1 _ shaw : lbid, p27, 29, 35, 43, 48, 51,77, 79, 92-93, 115, 124, et autre.

وقد خصص فصلين (الرابع والخامس) للأتراك ولما أسماه «الميليشيا التركية» (Ibid, pp149). مع العلم أن مصطلح الميليشيا كان مستعملا لفرقة عسكرية معينة، مأخوذة من الكلمة اللاتينية (la Milice). (ينظر حمدان: المرأة، ص111؛ ويذكر شاو من بين سكان «البرابرة» المور والعرب. : shaw , op. cit, p13, 17, 29

2 _ هايدو فراي ديغو: تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى، الجزائر، 2013م، ص25، 33، 35، 40 وغيرها

3 Fray Diégo de Haedo : Topographie et Histoire Générale d'Alger, traduit de l'espagnole par dr. Monnereau et A.Berbrugger, imprimé à valladolid en 1612 , p41 .et suite

4 _ De Haedo : Op. Cit, p46

5 _ محمد البشير شنييتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985، ص17، 57، 67.

6 _ ج. أو. هابنسترايت: رحلة إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1732م/1145هـ، ترجمة وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، صص 29-33.

7 _ هاينريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2008م، ص60 وما بعدها.

2_ البربر الأمازيغ بأراضي منطقة بومرداس:

1.2: صنهاجة:

نسبة إلى "صناك" فعربه العرب إلى "صنهاج"¹، وسبق أن ذكرنا أن البربر فرعين كبيرين هما البتر والبرانس، وما يجهله الكثيرون أن سكان هذه المنطقة (بومرداس) اشتهرت بانتسابها إلى فرع البرانس، مع أن ابن خلدون نفسه يذكر أن قبائل بترية سكنت المغرب الأوسط بل سيطرة عليه مدة من الزمن، وذلك في حديثه عن زناتة وهم قبائل بترية²، وبما أن البرانس عدة قبائل فقد اختصت بهذه النواحي في أول الأمر قبيلة صنهاجة الشهيرة إلى غاية القرن 9هـ/13م، حيث يؤكد ابن خلدون في حديثه عن بني عبد الواد بتلمسان أن جيرانهم من جهة المشرق «بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة والمدية وما يليها إلى بجاية»³، ومنهم بمنطقة بومرداس "بنو حميد" منهم بقية سكنوا عند قبيلة يسر بدوار يسر الويدان، و"مزغنة" الذين التي تنسب إليهم مدينة الجزائر، وما زالت منهم بقية على الضفة اليمنى لوادي يسر اندمجوا في قبيلة بني سليمان، ومنهم قبيلة احتفظت باسم القبيلة الأم «صنهاجة» فئة منهم سكنت قرب وادي يسر. ومن صنهاجة كذلك «بنو عمران» الذين توجد منهم 5 بطون بالجزائر منهم اثنتين بمنطقة بومرداس واحدة على الضفة وادي يسر والثانية بالقرب من برج منايل وتيزي وزو، وقبيلة «وانوغمة» أو «أنوغمة» ومنهم بطن قرب يسر⁴.

1 _ بوزيان الدراجي: القبائل الأمازيغية: أدوارها، مواطنها وأعيانها، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج2، ص74؛ بخدة طاهر: مرجع سابق، ص100.99.

2 _ يذكر أن «الأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم ويُعرف بهم. فيقال: وطن زناتة» (ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ ابن خلدون، ضبط و فهرست خليل شحادة، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000م، ج7، ص3، 100). يُنظر: بوزيان الدراجي: نفسه، ج1، ص240 وما بعدها. وربما يعود ذلك لوجود قبائل زناتية في كثير من مناطق الجزائر كقبائل «بني واسين» بجبل أوراس والزاب ووادي ريغ، وقبائل «بني عبد الواد» الذين تحالفوا مع الموحيدين فأقطعوهم نواحي تلمسان، وقبائل «بني توجين» بالصحراء قبلة المغرب الأوسط، وملكوا من المدية وسهل السرسو وجبل وانشريس إلى سعيدة وجبل راشد غربا، و«بنو منديل» كانت مواطنهم من شلف إلى تلمسان وجبل مديونة وغيرهم. (بخدة طاهر: الهجرة في المغرب الأوسط: واقعها وأثارها من منتصف القرن 6هـ إلى القرن 8هـ/12-14م، أطروحة دكتوراه، إشراف بوبايية عبد القادر، جامعة وهران 1، 2016.2017م، ص85 وما بعدها).

3 _ ابن خلدون: مصدر سابق، (طبعة بيت الأفكار)، ص1603؛ المدني: الجزائر، ص125.

4 _ يُنظر الدراجي: مرجع سابق، (ط. دار الكتاب العربي)، ج2، ص ص184.74.

2-2_ زاوارة في أراضي منطقة بومرداس : ذكر أبو الأعلى الزواوي في نسب الزواوة «أنهم قبائل كثيرة مشهورة ومواطنهم ومساكنهم بشمال إفريقية موازية للبحر الأبيض المتوسط الممتد من خليج مدينة الجزائر إلى بجاية إحدى عواصمهم وإلى جيجل نصف دائرة فهؤلاء هم المعروفون والمشهورون بالزاوارة»¹، ثم يغوص في التدليل على أن أصلهم عربي من اليمن، وهذا ليس حديثنا في هذا الموضوع، ويؤكد أحمد توفيق المدني ذلك بقوله: «تقع شرق مدينة الجزائر موازية للبحر»².

وتعد زاوارة بطنا من بطون كتامة البرنسية حسب ما أكده ابن حزم الأندلسي وابن خلدون أيضا³، وقد سكنت هذه القبيلة جنبا إلى جنب من صنهاجة أو تكون قد ورثتها في أراضيها، لأن زاوارة كما يذكر أكثر من واحد امتدت مضاربها من شرق مدينة الجزائر موازية للبحر إلى بجاية وجيجل⁴، وهي تشمل أراضي ولاية بومرداس كاملة سواحلها وسهولها وجبالها. وذكر أبو راس الناصري أن أعز زاوارة بالمغرب الأوسط «أهل الجبل المطل على دلس»⁵، وذكر الدراجي من بطونها: «بني كوزيت، بني كوفي، بني مرانة، مشدالة ولزاجمة... بنو بوشعيب بنو بو يوسف، بنو صدقة، بنو غبرين، بنو فوراسن، بنو كسطولمة، بنو مانكلات، بنو ماني، بنو يتورغ، بنو يرائن»⁶. وذكرها أحمد توفيق المدني ضمن قبائل صنهاجة، وممن سكن عمالة الجزائر بجبال جرجرة «المسماة ببلاد القبائل الكبرى» وهم: زاوارة، فليسة، قسطولمة (ربما قسطولمة)، أوقنون، فراوسن، بني راتن، بطروم (ربما بطرون)، بني منقلات، عمور، بني يحيى، هجر، فتاينة⁷. وظل مصطلح زاوارة متداولاً إلى العصر العثماني حيث ذكر الزهار وهو يحدد المجال الجغرافي

1 _ أبو الأعلى الزواوي: تاريخ الزواوة، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2005، ص 90

2 _ أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001م، ص 33.

3 _ ابن خلدون: العبر، ص 1629: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط03، 1971، ص 501. مع العلم أن بوزيان الدراجي الذي درس الأقوال حول زاوارة رجح أنها من قبائل البتر، من أبناء «سماكان بن يحيى البتري» مستدلاً باضطراب ابن خلدون حولها وتأكيد صاحب مفاخر البربر كونها بتيرية (الدراجي: مرجع سابق، ص 361 وما بعدها)

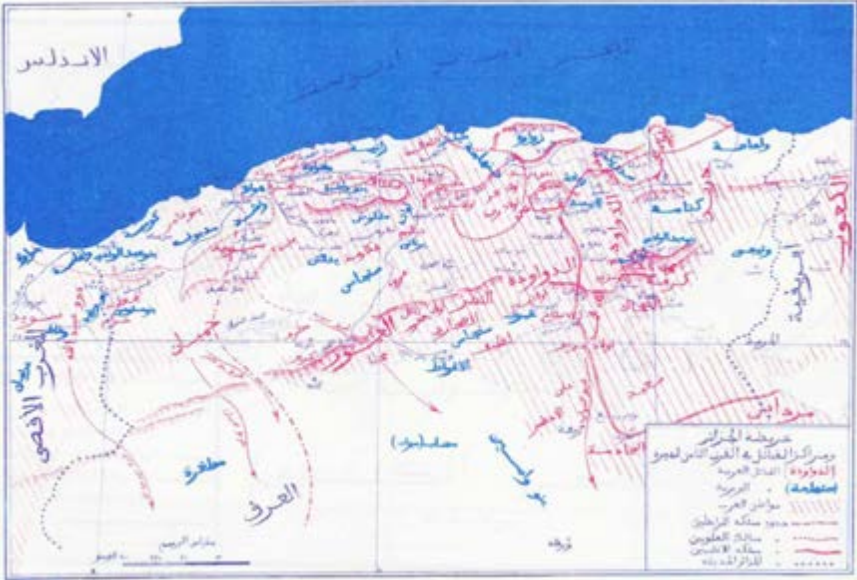
4 _ أبو يعلى الزواوي: تاريخ الزواوة، طبعته، 2008، DALIMEN، ص 31. ينظر أيضا: أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، ص 33. موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، دار الأمل للدراسات والنشر، الجزائر، 2007، ج 01، ص 336-335؛ بوزياني الدراجي: القبائل الأمازيغية، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط01، 1999، ج 01، ص 208-209.

5 _ محمد بن أحمد أبي راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق محمد غالم، منشورات CRASC، الجزائر، 2008، ج 1، ص 102-103.

6 _ الدراجي: مرجع سابق، ط 2007، ج 1، ص 361 وما بعدها.

7 _ المدني: كتاب الجزائر، ص 125.

لباي تيطري : «تحده متيجة شمالا ، ومن الناحية الشرقية يحده وطن بني سليمان وبني جعد وعريب وقائد سباو وعمالته زواوة، ويحد عمالته وطن يسر»^١، وهذا «دي هايدو» وهو يتكلم عن سكان مدينة الجزائر يذكر القبائل (Kabyles) «الذين جاءوا من جبالهم وسكنوا الجزائر، بعضهم موطنهم بجبال «كوكو» أو «بني عباس»^٢ وبعضهم يطلق عليهم اسم «زواوة» من أهل مملكة كوكو أو مملكة بني عباس خاصة»^٣.



2-3_ بنو مزغنة فرع من صنهاجة: وتذكر بعض المراجع أن قبيلة ثالثة سكنت ولاية بومرداس قبل الوجود العثماني وهي قبيلة مزغنة التي تعد فرعا من فروع صنهاجة، حيث يذكر المؤرخ القدير الدكتور موسى لقبال - رحمه الله - أن مضاربها كانت حول الأخرسية وواد يسر وبني عمران ومدينة الجزائر قبل

1 _ الزهان: ص48.47.

2 _ مملكة كوكو: بلدية آيت يحيى، دائرة عين الحمام/ تيزي وزو بجبال جرجرة (تبعد 54 كلم عن تيزي وزو) ؛ مملكة بني عباس - أو- آث عباس: قلعة جنوب جبال البيبان جنوب بجاية على حدود برج بوغريج، بلدية إغيل علي ولاية بجاية.

3 _ De Haedo : Op. Cit, p46

تأسيسها، فأخذت بذلك اسم « جزائر بني مزغنة أو مزغناي »^(١). وجعلها أحمد توفيق المدني في عصره (1931م) من « البربر المستعربين » فقال بعدما ذكر البربر الخالص «يوجد قبائل بربرية أخرى لا تمت إلى البربرية إلا بالنسب فقط وقد ابتلعتها العرب فأصبحت عربية لغة وأخلاقا وعوائد، ومنها الكثير يجهل أنه من أصل بربري مستعرب»، وجعل مواطنها في عمالة الجزائر: «في المناطق الجبلية من وادي الساحل؛ إلى المدينة، ومن سور الغزلان إلى سهول متيجة»، وذكر من قبائلها: «متنان، مزغنة، جعد، طلغانة، بوطوية، خليل، وفي جنوب المدينة: الأربع، سنجاس، الأغواط»^(٢).

4-2_ فليسة من زاوة: منهم بنو زعموم بالجهة الشرقية من منطقة بومرداس وقد كانت لهذه القبيلة (فليسة) والأسرة الزعمومية أدوار كثيرة في التاريخ الحديث للمنطقة

4-2_ أ : مكانة الحاج محمد بن زعموم لدى السلطة العثمانية:

وهو شخصية معروفة من عائلة مشهورة ، كانت تسكن منطقة «عزيب زعموم» وهي «لعزيب» سابقا ، والناصرية حاليا، بمحاذاة مدينة برج منايل ، على الطريق المؤدي إلى تيزي وزو، وكان هذا الحاج « مهاب الجانب، ذو مكانة خاصة عند الداوي حسين باشا (1818-1830) حيث كان يدخل متى يشاء إلى بلاطه، وكان له توقيع معترف به من طرف السلطة العثمانية»^(٣). وهذا يُظهر أن لابن زعموم هذا كلمة مسموعة عند السلطان بالعاصمة الجزائر، ولا يجري معه البروتوكول الذي يجري على الجميع من استئذان الحاجب أو قائد الباب لدى الحاكم.

4-2_ب: فليسة : كانت فليسة الأمازيغية فرعين بمنطقة بومرداس : فليسة البحر ومواقعها في السواحل الشرقية من دلس إلى أزفون (تيزي-وزو)، وفليسة أم الليل

1 _ لقبال: مرجع سابق ، ج01، ص 200-201. ينظر: بوزياني الدراجي : مرجع سابق ، ج 02، ص 58-59.

2 _ المدني: كتاب الجزائر، ص126-127.

- Daumas :La Grande Kabylie –Etude Historique , P146 _ 3

- Joséph Nil Robin : la Grande kabylie Sous le Régime Turc ,Edition Bouchéne ,p 209.

- محمد سي يوسف: مقاومة القبائل للاستعمار الفرنسي، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، ط01، 1985، ص 33-37.

وهي الجبلية، فقد سكنت المرتفعات بحوض يسر إلى مدينة دلس، وقيل إلى آرفون¹، ذكرها الزهار في حديثه عن الداوي محمد عثمان باشا (تولى بين 1766-1791م) أنه قبل سنة 1767م وبسبب ما كان أهل جبل فليسة يقومون به من قطع الطرقات وينزلون إلى متيجة ليلاً للسرقة، ومنعهم إعطاء الزكاة والأعشار للسلطان، بسبب كل هذا أرسل إليهم الداوي «محلته (حملة) عام 1181هـ/ 1767م وقاتلهم فهزموا المحلة الأولى والثانية، إلى أن بعث لهم سبعة أمحال واحدة فواحدة، فصعد الجند لبعض جبلهم ومات خلق كثير من الجانبين، فعند ذلك طلبوا الأمان من الأمير وأدعوا التوبة من صنيعهم، وتعهدوا بدفع الزكاة والأعشار كل سنة»². ويخبرنا نيل روبان أن هذا تم في حفل بهيج حضره جمع من أشرف فليسة وقائد سباو محمد بن الباي محمد الذباح وقادة عمراوة عام 1769، وبموجب هذا الاتفاق تم الاعتراف بالحسين بن زعموم قائداً على فليسة وكانت عائلته تملك عزيب سمي «عزيب زعموم» (الناصرية حالياً)³.

وأخبرنا قنصل أمريكا في المغرب «كاثكارت» وهو يتحدث عن قدوم باي قسنطينية إلى الجزائر رافقه أحد الشيوخ المرابطين (مرابط) سماه «منصور الشريف» وعن هذا الأخير قال: «هو رئيس إحدى القبائل الكبرى في الولاية، وبالتالي فهو يتمتع بسلطة روحية ودينية معا على عدد كبير من العرب، وتشمل سلطته قبيلة فليسة ومنطقة باب الحديد وما يليها في الاتجاه الشرقي»⁴. وهذا يوضح مدى نفوذ بعض الصوفية بين السكان من جهة وعند السلطان خلال العهد العثماني.

وظل وجود عائلات من فليسة بالسهول الشرقية لبومرداس إلى عشية الاحتلال الفرنسي، حيث يذكر لنا الرحالة «هاينريش» «القبائل البربية» التي اعترفت مرغمة بسيادة فرنسا بعد سقوط مدينة دلس سنة 1844م، وهي: «بني ثور أو توارقة (تاورقة حالياً)، بني سليمان، بني واقتو وفليسة، وكانت كلها

1 - ناصر الدين سعيدوني: الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني 1791-1830م، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 154.

2 _ الحاج أحمد الشريف الزهار: مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 28.

3 _ Joseph Nil Robin : La Grande Kabylie...، p137 et suite. / ي.نظر: نسيم حسبلاوي: برج منايل عبر التاريخ، مطبعة ألوان أوفسيت، الجزائر، ط1، 2010م، ص 44-45.

4 _ كاثكارت: مصدر سابق، ص 119.

تسكن منطقة الساحل القربية من دلس»^١، وفي موضع آخر وهو يتحدث عن "دلس" تكلم عن عشائر خمسة (قبائل) منها «قبيلة فليسة الجبلين التي تعتبر اليوم زاوية جرجرة، وفليسة البحر تمتد مساكنها بين تادلس والزفون»^٢. ويؤكد هاينريش أن هذه المنطقة (القبائل السفلى) كانت في القرن 17م «خاضعة لشيخ قبائلي هو ملك كوكو»^٣.

ويؤكد ذلك أيضا "نيل روبان" حينما كانت القوات الاستعمارية تحاصر الجزائر بحريا حاولت فرقة منها النزول بسواحل دلس « فهبت إليها قبائل فليسة وعرب يسر بأعداد كبيرة تحت قيادة قائد برج منايل التركي فحالت دون ذلك، وكان هذا في 17/06/1829»^٤، وتعتبر بذلك أول مقاومة للاستعمار الفرنسي قبل أن تحط أقدامه النجسة على أرض الجزائر الطاهرة .

3_ العرب الثعالبة في منطقة بومرداس: وهي من قبائل المعقل نسبة إلى «ثعلب بن علي بن بكر بن صغير أخي عبيد الله بن صغير»^٥.

في أواخر القرن 5هـ/11م عرفت أراضي ولاية بومرداس ساكنين جدد، لكنهم في هذه المرة لم يكونوا أمازيغ بل من عرب بني هلال من شبه الجزيرة العربية ومن بطونهم الأثيج ورياح وزغبة وعوف وقره، وسليم، وهؤلاء الذين جاءوا من شبه الجزيرة العربية أيام حكم الدولة الحمادية، والذين أرسلهم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (أبو تميم معد حكم بين 420-487هـ/1029-1094م)) إلى بلاد المغرب، وقد تمكنت منهم "زغبة" بفضل الموحدين من فرض وجودهم بمنطقة بومرداس إلى حدود بجاية، الأمر الذي أكده ابن خلدون لما ذكر أن من الجزائر إلى بجاية «قبائله كلهم لهذا العهد مغلوبون للعرب من زغبة»^٦. وعندما يستعمل مصطلح "مغلوبون" يعني أن قبائل أخرى كانت تسكن المنطقة إلا أنها خاضعة لهذه القبيلة (زغبة). ثم يضيف أكثر تفصيلا أن «بنو يزيد من زغبة»

1 _ هاينريش: مصدر سابق، ج2، ص101.

2 _ هاينريش: مصدر سابق، ج2، ص104.

3 _ نفسه، ص105.

4 _ Joseph Nil Robin : « Notes Historique sur la Grande kabylie de 1830 a 1838 » in *Révue Africaine* , vol.20, 1876, p 43.

5 _ ابن خلدون: (ط. دار الفك)، ج6، ص84.

6 _ ابن خلدون: (ط. الأردن)، ص1603، ينظر: مصطفى أبو صيف: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص151؛ بخدة طاهر: مرجع سابق، ص102.

غلبوا على أوطان زناتة من جميع جوانبها «فرغوا لجبايتها واقتضاء مغارمها، وهم على ذلك لهذا العهد، وهم بطون كثيرة منهم حميان بن عقبة بن يزيد، وجواب، وبنو كرز، وبنو موسى، والمرابعة والخشنة»¹، ليضيف في موضع آخر «أن من بطون بني يزيد: بنو خشين، وبنو موسى وبنو معافى وبنو لاحق...»²، لكن زغبة سوف تتأثر بالصراع بين الموحديين وبنو غانية في المغرب الأوسط لتنتقل مواطنها إلى جهة المسيلة³. إلا أن بعض بطونهم استقرت بمناطق متيجة الداخلية (بومرداس، البليدة والبويرة) ومنهم «حميان، بنو موسى، بنو كرز، المرابعة (الأريعاء) والخشنة: وهم بنو يزيد بن عيسى بن زغبة، واخوانهم عكرمة... وقد أقطعهم الموحدون التلول

والضواحي فنزلوا أرض حمزة والدهوس مما يلي أرض رياح والأتابج واستعملوهم للجباية على قبائل صنهاجة وزواوة فأحسنوا أداء المهمة»⁴. وذكر منهم المدني ممن استقر بسهولة متيجة: «الثعالبة وقبائل معقل وهم: أولاد ماضي، رياح، بنو منصور، خشنة، موسى، جواب، مربع، يزيد، سليمان... ونزليوة، عمراوة، عبيد حول جبال الجرجرة البربرية»⁵.

ومن هؤلاء العرب «الثعالبة» وهم بنو ثعلب بن عامر بن علي بن بكر بن صغير أو سجير أخي عبيد الله بن صغير بن معقل، وكانت مواطنهم الأولى جهة التيطري (المدية) ثم انحدروا إلى جهة «مليكش» الصنهاجيين ببسيط متيجة، لكن غلبة المرينيين على المغرب الأوسط سنة 750هـ / 1349م جعل الثعالبة يدخلون في طاعتهم الأمر الذي سهل لهم بسط نفوذهم على المتيجة، وكانت رياستهم في ولد «سباع بن ثعلب بن علي بن مكر بن صغير»⁶.

فلما وصل الأتراك إلى بر الجزائر العاصمة ومتيجة وجدوا عليها قبيلة «الثعالبة»، الذين ذكر أحد المعاصرين أن امتدادهم كان إلى غاية مدينة دلس، وبذلك شمل وجودهم كل أراضي ولاية بومرداس «فكانت ثعلبة تسكن سهل الجزائر وتنتقل في الصحراء حتى تكديت، ولهم سيطرة على مدينتي الجزائر

1 _ ابن خلدون: (ط. دار الفكر)، ج6، ص55.

2 _ نفسه، ص56.

3 _ بخدة: مرجع سابق، ص105.

4 _ بخدة: مرجع سابق، ص105.

5 _ المدني: كتاب الجزائر، ص139.

6 _ ابن خلدون: ط. دار الفكر، ج6، ص84؛ بخدة: ص110-111؛ (أبوضيف: مرجع سابق/234)

ودلس، لكن في وقتنا هذا انتزعهما منهم بربروس وبويج ملكا^(١)، وحينما يستعمل مصطلح "لهم سيطرة" لا يعني خلق المنطقة من سواهم بل يوحي أيضا بوجود ساكنة أخرى لكنها خاضعة لسيطرة الثعالبية، وهذا يدل من جهة أخرى على الاحتكاك والتعايش والتمازج.



خريطة تبين عناصر السكان في الجزائر^(٢)

1 _ الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، 02، 1983، ج 01، ص 56.
 2 _ ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي...، ص 261. يُنظر أيضا خريطة السكان بمنطقة القبائل الكبرى في ص 175.



4_ وصلت سياسية: لم يتغير وضع الساكنة كثيرا بالمغرب الأوسط عامة ومنطقة بومرداس خاصة، لكن نزول الهلاليين ببلاد المغرب خلال القرن 5هـ/11م وما تبعه من أحداث سياسية أثر بشكل كبير في التحولات السكانية ببلاد المغرب أجمع، لذلك أجد من الأهمية بمكان الإشارة إلى أهم التطورات السياسية الحاصلة بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة وما بعدها، وأهم حدث يمكن البدء به هو قيام الدولة الحمادية بقلعة بني حماد (المسيلة)، وهي تنسب إلى حماد بن بلكين بن زيري، والذي بدأ (عاملا) واليا لأبيه بلكين على المغرب الأوسط

وكانت عاصمته الأولى بها مدينة أشير (قرب المدينة) التي بناها سنة 1007/398م، ثم مدينة قلعة بني حماد - قرب المسيلة- وقد أظهر حماد النزعة الاستقلالية «وقطع الولاء للفاطميين سنة 405هـ/1014م»¹، فدخل في صراع وحروب مع أحد أحفاد بلكين (الزيري)، وهو المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين وانتهت بعقد صلح بينهما سنة 408هـ/1017م منحت لحماد حكم «طبنة والمسيلة، ومرسى الدجاج،

1 _ عبد الله شريط و محمد مبارك الميلي : مختصر تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 91؛ يحي بوعزین: الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 148.

وسوق حمزة و زواوة»^(١)، ويمكن اعتبار سنة 408هـ/1017م « وثيقة تأسيس الدولة الحمادية المستقلة في المغرب الأوسط»^(٢)، كما اعتبرت هذه الدولة « أول دولة بربرية في الجزائر خلال العهد الإسلامي»^(٣). لكن هذه الدولة تعرضت إلى هجومات القبائل الهلالية خلال القرن 5هـ/11م وهو ما اضطرها للانتقال إلى بجاية سنة 461هـ/1068م أيام حكم خامس أمراء الأسرة الحمادية «الناصر بن علناس بن حماد (تولى بين 454-481هـ/1062-1088م) حفاظا على كيان الدولة.

ثم جاء المرابطون (تأسست بين 448-541هـ/1056-1147م) إلى المغرب الأوسط، وهناك اختلاف حول وصول المرابطين إلى ولاية بومرداس، حيث يذكر المؤرخون أن المرابطين لم يتجاوزوا الجزائر العاصمة، لكن ابن أبي زرع يؤكد أن ثاني حكام هذه الدولة وهو علي بن يوسف بن تاشفين 500هـ/1107م، وصل في توسعته إلى بجاية^(٤).

ثم خضعت الجزائر بعدهم أيضا للدولة الموحدية التي بدأ حكمها سنة 541هـ/1147م، حيث تمكن ثاني رؤسائها عبد المؤمن بن علي من الوصول إلى الجزائر سنة 541هـ ثم بجاية سنة 547هـ/1152م، ثم ضم جميع أراضي إفريقية سنة 553هـ^(٥).

وبعد سقوط دولة الموحدين حوالي سنة 667هـ/1268م اقتسمت بلاد المغرب الإسلامي ثلاث دويلات هي الحفصية في (تونس) والزيانية في (الجزائر) والمرينية في (المغرب)، وبما أن منطقة بومرداس وسط بين الحفصيين والزيانيين فقد كانت محل تجاذب بينهما، تخضع حينها لهذا وحين آخر لذلك وأحيانا أخرى للدولة المرينية، فقد سقطت دلس بيد أمير بجاية المتحالف مع الحفصيين سنة 684هـ/1285م، ثم زحف المرينيون على أراضي الجزائر ومنها ولاية بومرداس وتمكنوا من دخول دلس سنة 700هـ/1301م بل وصلوا إلى غاية مدينة بجاية.

1 _ مؤنس: مرجع سابق، ص 589؛ مبارك الميلي: مرجع سابق، ج 02، ص 160.

2 _ العروي: مرجع سابق، ج 02، ص 80.

3 _ شريط: مرجع سابق، ص 91.

4 _ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار الطباعة المدرسية، 1833، ص 102 و 107؛ يحي بوعزيز: الموجز...، ج 01، ص 194.

5 _ ابن أبي زرع: نفسه، ص 132 وما بعدها. ينظر: الميلي: مرجع سابق، ج 02، ص 304؛ شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي إلى 1830، تعريب محمد مزالي، الدار التونسية للنشر، 1930، ج 01، ص 137-138.

وقد استرد الحاكم الزياني أبو حمو موسى الأول جميع المنطقة الشرقية للجزائر ومنها مدينة دلس سنة 712هـ/ 1313م^١، وأكد أبو راس الناصري أن بني زيان « امتد ملكهم إلى دلس »^٢. وظلت على هذه الحال إلى أن ضعفت الدويلات الثلاث، حيث ظهرت إمارات مستقلة في عدة مناطق من بلدان شمال إفريقيا، لتفتح المجال أمام العثمانيين الأتراك مع أوائل القرن 16م.

5- منطقة بومرداس تحت حكم إمارة الثعالبة :

يعود ظهور هذه الإمارة إلى سنة 811هـ/ 1408م وذلك بعد وفاة السلطان الزياني أبا زيان محمد، فحكم الثعالبة مدينة الجزائر وما جاورها، وقد امتد نفوذهم إلى غاية دلس كما ذكر الحسن الوزان في رحلته^٣، وقد ترأسها في البداية العالم الزاهد عبد الرحمن الثعالبي إلى أن آلت إلى سالم التومي الثعالبي قبل مجيء العثمانيين إلى الجزائر^٤.

وذكر أبو راس الناصر أن الثعالبة من نسل المعقل وهم «الذين بمتيجة وهم الرقيطات والشبانات وبنو منصور ذوي عبد الله مجاورون لبني عامر من المغرب»^٥ ، وفي موضع آخر قال عنهم: « شيدوا بمتيجة وحولها ثلاثين حصنا لما اتسعت لهم الدنيا » وكانوا في قتال مستمر مع « منديل بن عبد الرحمان المغراوي » ملك مازونة ومليانة وتنس « وكان يرادف عليهم البعوثات ويشن الغارات وكثرت المحاصرات حتى أذهب جميع مراسم بنائهم »^٦

1 _ بن نعمان : مرجع سابق، ص 31 وما بعدها ؛ عبد الله شريط : مرجع سابق، ص 125 وما بعدها؛ بوعزيز : الموجز...، ص 201 وما بعدها.

2 _ محمد بن أحمد أبي راس الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق محمد غالم، منشورات CRASC، الجزائر، 2008، ج 1، ص 108.

3 _ الحسن الوزان : مرجع سابق، ج 01، ص 56؛ ابن خلدون : مصدر سابق، ص 1545.

4 _ بن نعمان : مرجع سابق، ص 42 وما بعدها؛ مصطفى أبو ضيف : مرجع سابق، ج 02، ص 194.

5 _ أبو راس الناصر: نفسه، ج 1، ص 70.

6 _ أبو راس الناصر: نفسه، ج 2، ص 63.

6_ منطقة بومرداس تستقبل الأندلسيين^(١):

تحدثت كتب الجغرافيا كثيرا عن وفود الأندلسيين إلى مدن الساحل الجزائري (المغرب الأوسط) كما سنرى لاحقا. إما للتجارة أو للاستقرار، بما فيها سواحل منطقة بومرداس، ومن مشاهير رجال السياسة الذين وفدوا على هذه السواحل وبخاصة "مدينة دلس" «معز الدولة بن المعتمد بن صمادح»، إذ وبعد دخول المرابطين إلى الأندلس وهزيمتهم "ألفونسو" في معركة الزلاقة عام 479هـ/1086م، عملوا على إسقاط دول ملوك الطوائف لتوحيد صف المسلمين، وعند وصول قواتهم مدينة "ألمرية" هرب حاكمها "معز الدولة" إلى المغرب الأوسط عند "بني حماد" فأعطيت له مدينة دلس - منحها إياه المنصور بن الناصر بن علناس الذي (حكم بين 481-498هـ/1088-1105م)^(٢) فبقي بها إلى غاية وفاته، وبعد سقوط الأندلس عام 897هـ/1492م بيد النصارى الإسبان هاجر الكثير من الأندلسيين إلى سواحل المغرب العربي ومنها سواحل الجزائر التي كان منها دلس ومرسى الدجاج .

وذكر البكري مدينة "مرسى الدجاج" على ساحل البحر شرق الجزائر^(٣) وأن لها سور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية، ومن هناك يدخل إليها، وأسواقها ومسجد جامعها داخل ذلك السور...ولها مرفأ غير مأمون لضيقه وقرب قعره، وبها عيون طيبة يسكنها الأندلسيون وقبائل من كتامة^(٤)، وذكرها الإدريسي: «أنها كبيرة القطر لها حصن دائرها...ولها مرسى مأمون ولها أرض ممتدة وزراعات متصلة وإصابة أهلها في زروعهم واسعة وحنطتهم مباركة وسائر الفواكه واللحوم بها كثيرة وتباع بالثمن اليسير، والتين خاصة يُحمل منها شرائح طوبا ومنشورات إلى سائر الأقطار وأقاصي المدائن والأمصار وهي بذلك مشهورة»^(٥).

1 _ محمد عبده حتملة وآخرون : موسوعة الأندلس والمغرب العربي، دار المدار الثقافية، البلدة ، ط 01، 2009، ج 05، ص 403 و 431 ؛ الجبالي : مرجع سابق، ج 03، ص 54 ؛ بن نعمان: مرجع سابق، ص 29. يُنظر أيضا: عمارة سيدي موسى: هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 7هـ/13م ودورهم الثقافي، رسالة ماجستير، إشراف محمد بن معمر، جامعة وهران، 2012-2013م/1433-1434، ص 59 وما بعدها؛ نسيم حسبلاوي: محطات في تاريخ منطقة بومرداس، نواصري للطباعة والنشر، الجزائر، 2020، ص 54.

2 _ أبو راس الناصر: ج 1، ص 157.

3 - البكري: مصدر سابق، ج 2، ص 246.

4 - الإدريسي، مصدر سابق، ص 259. ويظهر أن ما أورده الإدريسي منقول كثير منه عن ابن حوقل الذي يؤكد أن مرساها غير مأمون. (ابن حوقل: مصدر سابق، ص 76). يُنظر أيضا: مجهول: مصدر سابق، ص 131.

وبالقرب منها مدينة "دلس" أو "تدلس" «وهي على شرف متحصنة لها سور حصين وديار ومنتزهات وبها من رضح الفواكه والأسعار والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد غيرها مثله، وبها الغنم والبقر موجودة كثيرا وتباع جملتها بالأثمان اليسيرة ويخرج من أرضها إلى كثير من الأفاق»¹، ويبدو أن هاتين المدينتين لقربهما من بعضهما (مرسى الدجاج و دلس) كان لهما نشاط تجاري كبير داخليا وخارجيا لكثرة الموارد فيهما، ما يجعل منهما محط استقطاب التجار بل حتى الساكنة، وقد أشارت النصوص للأندلسيين.

ويؤكد نزول الأندلسيين بسواحل دلس خاصة وزموري ما عمّ نزولهم على السواحل الجزائرية، فهذه مدينة تنس على السواحل الغربية «وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها، ولسطانها بها وجوه من الأموال كثيرة كالخراج والجوالي؛ والصدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الداخلة إليها والخارجة والصادرة والواردة، ولها بادية من البربر كثيرة، وقبائل فيها أموال جسيمة غزيرة...»²، وقمّحها يُحمل في المراكب إلى سواحل الأندلس «وهي الآن القرن 7هـ / 13م؛ قاعدة مغراوة من زناتة»³، بل تعدى الأمر إلى أبعد من ذلك، حيث يرجح أنهم من بناها، وفي ذلك قال البكري: «... وهي تنس الحديثة أسسها وبنائها البحريون من أهل الأندلس سنة 262هـ، ويسكنها فريقان من أهل الأندلس من أهل البيرة وأهل تدمير، وأصحابها من ولد إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسين بن علي بن أبي طالب...»⁴، وكذلك "مدينة وهران" «بناها محمد بن أبي عون ومحمد بن عدون» وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبني مسقن من أزداجة... سنة 290هـ»⁵، وزاد الإدريسي: «بها أسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارات نافقة... ومنها أكثر ميرة ساحل الأندلس... ولها على ميلين منها "المرسى الكبير" فيه ترسى المراكب الكبار والسفن السفريّة... وشرب أهلها من وادي يجري إليها من البر، وعليه بساتين وجنات... ومراكب

1 - الإدريسي، نفسه. ص 259.

2 - ابن حوقل: مصدر سابق، ص 77.

3 - ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص 142.

4 - البكري: مصدر سابق، ج 2، ص 241-243. يُنظر: مجهول: مصدر سابق، ص 133؛ المدني: كتاب الجزائر، ص 205.

5 - البكري: مصدر سابق، ج 2، ص 252. يُنظر أيضا: الإدريسي: مصدر سابق، ص 271.

الأندلس إليها مختلفة»^١.

وإذا انتقلنا إلى الشرق وجدنا الأمر سيان، فمدينة "بونته" «بها قبائل كثيرة من البربر: مصمودة وأوربة وغيرها، وأكثر تجارها أندلسيون...»^٢.

ونفس الوصف توصف به كل من "شرشال" التي هاجر إليها الأندلسيون في القرن 14م، و"القليعة" التي أسسها مهاجرو الأندلس بإعانة الأتراك سنة 1550م^٣. وعن شرشال أكد هايدو في حديثه عن أحد رفقاء "عروج" واسمه "قارة حسن" الذي استقبله سكان مدينة شرشال «وهم مورسكيون فروا من غرناطة وفالنسيا والأرغون»^٤.

ويفيدنا حمدان في نفس الغرض وهو يتحدث عن خير الدين باشا (باربروس) : «جاء إلى الساحل الإسباني لإنقاذ البؤساء المطاردين من الأندلسيين وقيادتهم إلى جيجل وبجاية وغيرها من الأماكن المجاورة»^٥، ليضيف بأن وجودهم في الجزائر «ساعد مساعدة كبيرة على تنظيم الحكومة (الأتراك) وعلى تقدم الحضارة»^٦.

ونختم هذا العنصر بكلام ناصر الدين سعيدوني عن الأندلسيين: «تكاثر عددهم بعد مجيء الأتراك وأصبحوا يؤلفون نسبة كبيرة من سكان المدن الساحلية، منهم أكثر من 25 ألف نسمة في العاصمة فقط، فبعثوا مدنا من أنقاضها بعد أن أصابها الاضمحلال مثل: برشك (شرق تنس)، تنس، دلس، جيجل وشرشال، كما أنشأوا مدنا جديدة مثل: القليعة والبليدة، وطوروا مدنا قديمة مثل: تلمسان، أرزيو، مستغانم وعنابة»^٧.

فكل هذه الإشارات تؤكد بما لا يدع أدنى شك أن دلس وزموري وهما المدينتان الأشهر على سواحل منطقة بومرداس في العصور الوسطى والحديثة

1- الإدريسي: مصدر سابق، ج1، ص252. يُنظر أيضا: مجهول: مصدر سابق، ص133-134؛ المدني: كتاب الجزائر، ص246-245.

2- البكري: مصدر سابق، ج2، ص233-234. ومعظم هذا التعريف كرهه صاحب الاستبصار-مجهول: مصدر سابق، ص127.

3 _ المدني: كتاب الجزائر، ص221، 235.

4 _ هايدو: ص25، 33

5 _ حمدان: ص69-70.

6 _ حمدان: ص71.

7 _ ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص233.

كانت قبلة مثل غيرها من المدن الساحلية الجزائرية لأهل الأندلس ابتداء قصد التجارة وانتهاء هروبا من إرهاب النصارى الإسبان.

أما في العاصمة فتتفق المصادر أن الأندلسيين كان لهم وجود مميز بها ، وهذا "دي هايدو" يفضل فيهم بقوله أنهم الآتون من غرناطة وأرغون وبلنسية وكتالونيا عبر مرسيليا خاصة، وينقسمون قسمين:

_ المدجنون: (Mudejares) وهم النازحون من غرناطة وأندلوسيا (الجنوب)
_ الثغريين (Tagarins) وهم النازحون من مملكة أرغون وبلنسية وكتالونيا^(١).
7_ العثمانيون الأتراك:

7-1: الأتراك: استخدم هذا المصطلح شاو - كما سبقت الإشارة أعلام، وذكر صاحب المرأة أن من سكان مدينة تلمسان: الأتراك والعرب، وكذا سكان معسكر: الأتراك والعرب والبربر وفيهم كثير من الكراغلة^(٢)، وعن سكان مدينة الجزائر أن جزءا كبيرا منهم «مكون من العرب والأتراك والكراغلة»^(٣)، وذكرهم سعيدوني «بالأقلية التركية»^(٤) التي تواجدت داخل العاصمة طبعاً وخارج العاصمة كحاميات «بلغ عددها 15 حامية موزعة على 71 سفرة... منها 03 سفرات بمرسى الذبان (قرب الجزائر)، ساباو، بوغني، سوق حمزة، سور الغزلان، القل وزمورة»^(٥)، وسوف نتحدث عن وجودهم بمنطقة بومرداس.

2-7: منطقة بومرداس جزء من أراضي "دار السلطان"^(٦):

قسم الأتراك الجزائر إلى ثلاث بايات هي : وهران، تيطري (المدينة)، قسنطينة إضافة إلى دار السلطان التي تمثل العاصمة وضواحيها، والتي امتدت من دلس شرقاً إلى شرشال غرباً، وقسمت هذه الرقعة إلى عدد من الأوطان (دوائر)، وقد ضمت منطقة بومرداس دائرتين (وطنين) هما:

1 _ Haedo : Op. Cit, p46 . يُنظر: هاينريش: مصدر سابق، ص60.

2 _ حمدان: مصدر سابق، ص 55، 59.

3 _ حمدان: ص63. تحدثت جل المصادر عن عنصر الأتراك (بفايفر: في عدة صفحات ثم خصهم بفصل كامل، ص186؛ كاثكارت: مذكرات أسير الداوي، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص55، 78 وغيرها؛ هابنسترايت: مصدر سابق، ص29؛ سعيدوني: تاريخ، ص227-228).

4 _ سعيدوني: تاريخ، ص223.

5 _ سعيدوني: تاريخ، ص224.

6 _ الزهار: مصدر سابق، ص17-18. ينظر: ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط02، 1985؛ حسبلاوي: محطات...، ص59 وما بعدها.

- وطن الخشنة : يضم الخشنة وجبال عمال وبني عيشة (الثنية) إلى وطن يسر، (غرب بومرداس).
- وطن يسر : يحده شرقا وادي سباو، يضم وادي يسر، برج منايل ودلس (شرق بومرداس).
- _ برج سباو (بغلية/ دلس) في العهد العثماني :- مساويا للبايات الثلاث



نظرا لأهمية منطقة بومرداس شيد العثمانيون عدة مراكز وأبراج أشهرها « برج سباو » عام 1720م الذي يشرف على منطقة القبائل، وكان قائده تابعا مباشرة إلى دار السلطان. ويذكر سعيدوني أن السلطات التركية عملت على محاصرة « المجموعات السكانية الممتنعة عن سلطة البايك » والتي منها « الكتلة الجبلية المتألفة من جبال البابور، جرجرة والبيبان » وذلك « بإنشاء برج سباو وبرج بوغني شمالا، قيادة بني جناد والخشنة وبرج حمزة وبرج صور الغزلان من الناحية الغربية والجنوبية الغربية، برج بوعريريج وبرج زمورة وقنرات جنوبا والجنوب الشرقي»⁽¹⁾.

ويؤكد الزهار أن « الأتراك بنوا برج سباو قرب زاويت زواوة، وجعلوا فيه قائدا، ولم يسموه بايا»⁽²⁾. وأضاف الزهار في حديثه عن سلطة الأغا « أن له

1 _ سعيدوني: تاريخ، ص252.253.

2 _ الزهار: مصدر سابق، ص35. وذكر في موضع آخر أن قائد سباو يدفع للبايك زكاة « 2000 قلة زيت

قائد ثالث في الخشنة بعد قائد وطن حجوط، وقائد وطن بني خليل¹، يتصرف في الوطن وفي جبال عمال وبني عيشة إلى وطن يسر، وقائد رابع في يسر يحده سباو، وقائد سباو وهو الذي يسمى هذا القائد إلا أن الأغا هو الذي يتصرف فيه²، ويدل تصرف الأغا شخصيا في منطقة سباو على أهميتها البالغة، سواء من الجانب السياسي المتمثل في كثرة ثورات البربر أو من الجانب الاقتصادي حيث كانت أراضي سباو غنية بالزراعات، كما أن قائد الخشنة كان له دور في أحداث ثورة ابن الأحرش بالشرق الجزائري (1800-1807م) حيث استقدمه باي قسنطينة "عثمان باي ابن صالح باي" مستعينا به على ابن الأحرش، وذلك لأن زوجته كانت "الدايخة بنت بن قانتة" شيخ العرب بقسنطينة، وقد استعان فعلا بالعرب أصهاره في إخماد ثورة ابن الأحرش³.

وكان العثمانيون قبل تشييد برج سباو شيّدوا برج منايل عام 1594 للإشراف على حوض وادي يسر، ثم أصبح هذا البرج تابعا لقائد برج سباو³.

ونحو 500 قلة لأصحاب العوائد - و1000 قنطار كرموس، و100 قنطار شمع، ويدفع 500 صاع قمحا ومثلها شعيرا» (الزهان: نفسه، ص47)

1 _ الزهان: نفسه، ص48.

2 _ الزهان: مصدر سابق، ص86.

3 _ يُنظر: حسبلاوي: برج منايل...، ص41-42.



خريطة الجزائر الوسطى أيام العثمانيين^١:

8_ اليهود:

تذكر الباحثة غطاس -رحمة الله عليها- أن اليهود لا يُعرف بالتحديد متى وُجدوا أول مرة بالجزائر، مع تأكيدها أن ذلك يعود إلى «عصور غابرة»، ثم تذكر الهجرات الهامة لهم إلى الجزائر «من إيطاليا سنة 1342م، من الأراضي المنخفضة سنة 1350م، ومن فرنسا سنة 1403م، ثم من إنجلترا سنة 1422م، لكن أهم الهجرات هي التي جاءت من إسبانيا فنزحت جماعة من «مايورقة» سنة 1287م،... وأشهرها بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، وتلتها أخرى برتغالية عام 1496م، أما يهود ليفورن الفرنسية فتوافدت هجراتهم إلى المغرب خلال القرن 17م^٢ - ويؤكد صاحب كتاب «يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود»^٣ «أن اليهود تواجدوا في المدن الكبرى خاصة منها: الجزائر، تلمسان، وهران وبجاية»^٣. بينما يذكرها ينريش أن أسر

1 _ ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي...، ص 260.

2 _ غطاس: مرجع سابق، ص 3836.

3 Aissa Chenouf : Les Juifs d'Algérie 2000 ans d'existence, édition el maarifa, Alger, _

3, 43, 38, 49, 52, 53. ; ينظر أيضا: سعيدوني: تاريخ، ص 241، 242. ذكرا تواجد الجالية

اليهودية في المدن الكبرى مثل: «الجزائر، تلمسان، قسنطينة وبجاية».

يهودية كثيرة وجدت في مدينة الجزائر قبل مجيء الفرنسيين، « وأن اليهوديات أقلية في الجزائر العاصمة، بينما يشكلن الأكثرية في وهران ومراكش»¹، وفي موضع آخر يقول بوجودهم في مدينة المدينة². ومن هذا لا يوجد إشارة توحى بوجودهم بمنطقة بومرداس، وحتى لو فرضنا مجيئهم مع المسلمين الأندلسيين فرارا من اضطهاد الإسبان إلى دلس وزموري فإن استقرارهم في المنطقة لا تؤيده النصوص المصدرية التي وصل إليها بحثي، ومنه فإنهم قد ارتحلوا حيث تتواجد جالياتهم بالمدن الكبرى التي ذكرتها سابقا.

9_ الجزائريون:

يعود ظهور مصطلح "الجزائر" إلى القرن 5هـ/ 11م، حيث وردت عند أبي عبيد البكري (ت.487هـ) عند حديثه عن المراسي ببلاد المغرب: «...ويليه مرسى الجزائر وتعرف بجزاير بني مزغنة...»³، إذن هي الجزائر، كما ذكرها بهذا الاسم صاحب التكملة ابن الأبار الأندلسي، المتوفى سنة 658هـ/ 1260م، في حديثه عن أحد الأندلسيين الوافدين إلى المغرب الأوسط وهو "أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن خميس" الذي استقر بالجزائر⁴، وذكر أندلسي آخر سكنها اسمه "أبو الحسن علي بن محمد الأشوني": «تصرف في فنون من الآداب وله أمال كتبت عنه سنة 535هـ/ 1140-1141م، سكن الجزائر من شرقي العدوة»⁵، كما نسب إليها الغبريني في القرن السابع "أبو الحجاج يوسف بن سعيد بن يخلف الجزائري" ، وابن مدينته أيضا "عبد المنعم بن محمد بن يوسف الجزائري"⁶. وهنا في هذا العنصر لا أتحدث عن الدولة أو المدينة وإنما عن المجتمع وكيف تحول من عناصر متنوعة ومختلفة إلى عنصر واحد تحت مسمى مشترك هو «الجزائريين» الذي بدأ كوصف لسكان العاصمة الجزائر ليتوسع تدريجيا ليشمل كل سكان الدولة الجزائرية.

1 _ هاينريش: مصدر سابق، ج1، ص84، 86.

2 _ نفسه، ص151.

3 _ أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص82.

4 _ ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلسني: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1995، رقم162، ج1، ص54.

5 _ ابن الأبار: نفسه، رقم 477، ج3، ص188.

6 _ أبو العباس الغبريني أحمد بن أحمد بن أحمد: عنوان الدراية فيمن عرف من المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهيض، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979، رقم 13 ورقم 22.

في حديثه عن مدينة الجزائر استخدم الدكتور شو مصطلح «الجزائريين» (Les Algériens) ^١، وسوف نجد نفس الاستعمال عند حمدان بن عثمان خوجة وهو يتكلم عن سكان المتيجة الذين وصفهم «أنهم مجبولون على الكسل والنذالة والخيانة والحقد والديسيطة، وليس لهم مورد غير التسيقات التي يقدمها لهم الجزائريون- ويعني بهم سكان العاصمة- مقابل الاعتناء بمزارعهم وقطاعانهم، وما يدره عليهم الحليب الذي يبيعونه في مدينة الجزائر» ^٢، ثم لما ذكر سكان مدينة الجزائر من الأتراك والعرب والكراغلة وأعراب وقبائل (يقصد البربر) لهم نفس عادات ونفس حضارة العرب والأتراك قال: «وان مَر الزمن قد أتى على الأصول الأولى وأصبح جميع الذين يسكنون مدينة الجزائر اليوم يسمون جزائريين» ^٣، ونفس التعبير نجده عند الرحالة الألماني «هابنسترايت» الذي تكلم عن الجيش التركي واصفا إياه «بالجند الجزائري»، مضيفا «أن انعدام الطاعة في صفوف الجند ونقص التدريب على استعمال السلاح جعلت الجزائريين عاجزين عن التصدي لأي دولة أوروبية...» ^٤.

ويبدو أن عهد الحكم العثماني عرف تطورا ملحوظا في التمازج بين العناصر السكانية، فأضحى الانتساب إلى المكان يكاد يقضي على الانتساب إلى القبيلة، ومنه ظهر مصطلح «البرانية» الذي كان يطلق على الوافدين إلى العاصمة الجزائر من البوادي والمناطق الجبلية، وذلك تمييزا لهم عن سكان المدن، فنجد من الوافدين «الجيجليون»، «اليساكرة»، «الأغواطيون»، «بني ميزاب» ^٥، ويعرفهم سعيدوني: «أنهم المهاجرون إلى المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة وتلمسان للإقامة والعمل، فانتمت حسب أصولها الجهوية واختصت كل مجموعة بمهام وأعمال خاصة... ذاكرا منهم: بني ميزاب، جماعة اليساكرة، الوصفاء والزنوج، جماعة الجيجلية، جماعة الأغواطيين، جماعة القبائل» ^٦، مع تأكيدهم أن «جماعة القبائل» «أغلب أفرادها في مدينة الجزائر ينتسبون إلى منطقة جرجرة "زواوة" وأصبحوا يؤلفون أكثر من نصف مجموع البرانية، وناهز

1 _ Shaw : Op.Cit, p290, 296, 297.

2 _ حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تحقيق محمد العربي الزبيري، مطبعة 2005، ANEP، ص 49.

3 _ حمدان: ص 63. يُنظر أيضا: ص 65، 67.

4 _ هابنسترايت: مصدر سابق، ص 74.

5 _ عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م، منشورات 2012، ANEP، ص 28.

29. يُنظر: هابنسترايت: نفسه، ص 48.

6 _ سعيدوني: تاريخ، ص ص 235-239.

عددهم في أواخر القرن 19م 4000 آلاف نسمة¹، وهذا العدد الكبير لدليل على الامتزاج والتعايش بين أفراد المجتمع الواحد، وغياب أو بداية اضمحلال الحساسية القبلية بين سكان الجزائر، ويتحدث بفايفر عشية الاحتلال الفرنسي عن «الأغواطين» الذين يدينون بالإسلام ويتكلمون اللغة التي يتكلمها العرب الرعاة²، و«البسكريون» الذين يسكنون منطقة تبعد عن الجزائر بحوالي 08 أيام، وهم يشاركون العرب الرعاة في الدين واللغة واللباس³، ويؤكد «هاينريش» بقاؤهم على ذلك الحال أيام الاستعمار الفرنسي متحدثا عن «القبائل، البسكريون، الميزابيون، الزنوج، اليهود والعرب»⁴، مع بقاء طبعا مصطلح العرب والقبائل (البرين) الذين كانوا يفدون هم أيضا إلى العاصمة، فمرة يُنسبون إلى قوميتهم «القبائلي» ومرة إلى أماكن سكنهم «بني عباس»، «كوكو»، «أهل

مزيتة» وغيرها⁵. ومن هذا نستشف بداية تحول الذهنيات من التمييز على أساس العنصري القومي إلى التمييز على أساس المنطقة والسكنى، وهي مرحلة تقدمت قليلا بل عاصرت وتزامنت مع ظهور مصطلح «الجزائريين» الجامع -سابق الذكر-

بدأ مصطلح «الجزائريين» يتوسع تدريجيا ليشمل جميع سكان الجزائر حاليا ولم يعد يقتصر على سكان العاصمة فقط، فهذا «بفايفر» يحدثنا عن حملة فرنسية وشيكة على سواحل الجزائر مستصغرا قوة الأتراك «فكيف يستطيع هذا العدد حماية الجزائر، لا سيما إذا علمنا أن الأتراك لم يكونوا يخافون نزول الفرنسيين فحسب، بل كانوا يخشون أيضا ثورة الجزائريين ضدهم»⁶، ويضيف في موضع آخر: «لقد أثار الأتراك الشعب الجزائري ضدهم بسبب ما أحقوه في عصور مضت من أذى وإهانة واضطهاد، ومن ثم بدأ الجزائريون يشعرون على مهل بقواهم الكامنة ويطالبون بحقوقهم كاملة»⁷، ورغم أن

1 _ نفسه، ص 239.

2 _ بفايفر: مصدر سابق، ص 154.

3 _ بفايفر: ص 155-156. ويتكلم عنهم أيضا الرحالة الألماني هابنسترايت واصفا إياهم بالعرب ويعملون في تنظيف الشوارع. (هابنسترايت: مصدر سابق، ص 33).

4 _ هاينريش: مصدر سابق، ص 80-126.

5 _ غطاس: ص 30-31، 252-253.

6 _ سيمون بفايفر: مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتعليق أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 72.

7 _ بفايفر: مصدر سابق، ص 73. طبعا كل هذا الكلام من أجل شرعنة الاحتلال الفرنسي للجزائر، ومحاولة إظهار أن الجزائريين كانوا في عدا مع الأتراك.

هذا الكلام فيه الكثير من المغالطات لإظهار قبج الأتراك فإن استعمال مصطلح «الجزائريون» يدل على التجانس ضمن بوتقة الشعب الواحد، ويؤكدده أيضا شاهد آخر في حديثه عن «بربروس خير الدين» سنة 1530 وهي السنة التي قرر فيها تحطيم حصن البنيون الإسباني قال هايدو: «أن تجارة سفن التجار المسيحيين كانت لفائدة الجزائريين»، ثم أشار إلى شكوى «الجزائريين» من أذى حصن البنيون^١.

مع تسجيل بقاء استخدام مصطلحي «العرب والقبائل»، فهذا «هاينريش» في كلامه عن السكان في الجزائر يذكر «الحضر» ويقول إنهم نواة سكان مدينة الجزائر «وهم شعب خليط يرجع أصلهم إلى عنصرين أساسيين: قسم منهم عربي أصيل، والقسم الآخر جنسي بربري لكنه تعزب منذ زمن طويل، ويوجد بينهم أحفاد الزنادقة الأوربيين... وعددهم قليل... وهناك قسم آخر من الجزائريين لحقه اليوم انصهار كبير ينحدر من مسلمي الأندلس...»^٢. إذن هو انصهار وتمازج بين السكان، ويؤكد على وجود هذين العنصرين الأساسيين «العرب» و«البربر» حول مدينة الجزائر وغيرها من المدن، وذلك في حديثه عن «البدو»، حيث يؤكد «أنهم يحيطون بمناطق المدن من جميع نواحيها... والقسم الأكبر من بدو الجزائر يطلقون على أنفسهم اسم العرب... ويقسم أهالي البلاد في الحياة العادية على نصفين غير متساويين: القبائل الذين يتكلمون اللغة القبائلية، والعرب الذين يتكلمون اللغة العربية»^٣، ثم يخصص فصلا كاملا هو الفصل الثامن للقبائل^٤، ويؤكد في موضع آخر عن التجانس والتمازج مرة أخرى بين القبائل والعرب ضاربا المثل بمنطقة مهممة من مناطق بومرداس هي دلس وضواحيها: «وأحفاد تلك القبائل البربرية التي تخلت عن لغتها منذ الفتح العربي شيئا فشيئا لتتخذ العربية لغة لها، وهذا النوع الأخير من تعريب القبائل لا يزال مستمرا حتى يومنا هذا، فهناك أربع قبائل تسكن بجوار «دلس» كانت قبل خمسين سنة تتكلم لغة قبائلية سليمة أما اليوم فلا يتكلمها غير الشيوخ»^٥. وهو ما يؤكد أحد شهود العيان الجزائريون (أحمد توفيق المدني) بقوله عن نفس المدينة: «وأهل دلس

1 _ هايدو: مصدر سابق، ص 49.

2 _ هاينريش: مصدر سابق، ج 1، ص 60. يُنظر: سعيدوني: تاريخ، ص 232 وما بعدها.

3 _ هاينريش: مصدر سابق، ج 1، ص 73. ويجعل « عدد القبائل في الجزائر ما يقارب 1 مليون في حين أن عدد العرب ضعف عدد القبائل» (نفسه).

4 _ نفسه، ص 79 وما بعدها.

5 _ هاينريش: مصدر سابق، ج 1، ص 75.

يمتازون بين البربر باستعرابهم لدرجة أنهم نسوا البربرية لغة وأخلاقا وعوائد»^١.

وهذا بفايفر لما انهزم «الجيش الجزائري» في سطح الوالي (اسطاوالي) فرت جموع العرب والقبائل إلى الجبال بأقصى سرعتها، بينما عاد الإنكشاريون إلى الجزائر^٢، وفي موضع آخر وصف «العرب الرعاة أو البدو» الذين يسكنون السهول والوديان بين جبال الأطلس الممتد أو فوقها، ثم وصف «القبائل» الذين يسكنون في الغالب في الجبال الوعرة التي يصعب الوصول إليها، والطريق من تونس وقسنطينة وعنابة إلى الجزائر يمر عبر جبالهم^٣، وهم عند هايدو «البربر»^٤، كما خصص بفايفر فصلا عن «عرب المتيجة» الذين يطلق عليهم الأوربيون عادة اسم «المور»^٥، وهو نفس الاسم الذين يطلقونه على «عرب البلد» وهم «عرب المدينة» سكان العاصمة، وهم الذين تزوج الأتراك بيناتهم أو بالقبائليات فأنشأ عن ذلك

«الكراغلة» أو «الزواتنة» الذين يشكلون (عشية الاحتلال الفرنسي) القسم الأكبر من سكان المدينة، « كما يسكن بضعة آلاف منهم في إقليم الزيتون بجبال الأطلس الممتدة في اتجاه قسنطينة»^٦.

وعن التمازج الذي حدث قبل مجيء المستدمر الفرنسي ذكر أحمد توفيق المدني عام (1931م) ما أشرت إليه سابقا. وهو يتحدث عن « البربر المستعربين» فقال بعدما ذكر البربر الخالص «يوجد قبائل بربرية أخرى لا تمت إلى البربرية إلا بالنسب فقط وقد ابتلعتها العرب فأصبحت عربية لغة وأخلاقا وعوائد، ومنها الكثير يجهل أنه من أصل بربري مستعرب»، وجعل مواطنها في عمالة الجزائر : «في المناطق الجبلية من وادي الساحل؛ إلى المدينة، ومن سور الغزلان إلى سهول متيجة»^٧.

ويذهب سعيدوني إلى تأكيد هذا التمازج مع نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م بقوله: « لكن مجتمع مدينة الجزائر وبقية المدن الساحلية تحول تدريجيا

1 _ المدني: كتاب، ص 218.

2 _ بفايفر: مصدر، سابق، ص 81.

3 _ بفايفر: نفسه، ص 137، 149، 151.

4 _ هايدو: تاريخ ملوك الجزائر، ص 20.

5 _ بفايفر: سابق، ص 160 وما بعدها. بينما سفاهم هايدو « أعراب متيجة» (هايدو: ص 29).

6 _ بفايفر: سابق، ص 166-167، 184-185. يذكر أن اسم الزواتنة مستمد من منتوج أراضيهم وهو الزيتون.

7 _ المدني: كتاب الجزائر، ص 126-127.

إلى مجتمع يسوده التجانس ويغلب عليه الاندماج من حيث اللغة ونوعية الثقافة والانتماء الحضاري»¹.

ولما جاءت فرنسا الاستعمارية إلى الجزائر حاولت أن تقف في وجه هذا التمازج باتباع أسلوب الاستعمار المعروف «فرق تسد» فراحت تنفخ في نار العنصرية والقومية والتفرقة العرقية، وهذا ما أشار إليه أحد شهود العيان «أحمد توفيق المدني» وهو يتحدث عن قبائل زاوية: «وهم مسلمون يتكلم أكثرهم العربية إلى جانب الأمازيغية، وقد حاول الاستعمار أن يفصل بينهم وبين العرب وأن يقطعهم من جسم الإسلام، فنشربين ربوعه التعليم الحكومي الفرنسي، وقاوم العربية مقاومة عنيفة، وحارب الإسلام حربا لا هوادة فيها وأفسح الطريق أمام الإرساليات المسيحية التي تنادت بالنعرة البربرية»². لكن كل مخططات الاستعمار كلها تصدعت أمام صخرة «وحدة» الشعب الجزائري الذي جمعته كلمة المقاومة الشعبية، ثم نضالات الحركة الوطنية ثم الثورة التحريرية الكبرى.

خاتمة:

لقد استقطبت أراضي منطقة بومرداس عددا كبيرا من الشعوب والأجناس داخليا وخارجيا وذلك لما توفرت فيها من عوامل جذب للساكنة سواء بسبب الموقع الجغرافي المطل على البحر المتوسط الذي وفر لها إمكانات الملاحنة من جهة وجعلها على الطريق الساحلي الذي يصل الشرق بالغرب من جهة ثانية، وهذا ما جعل سفن الفينيقيين تصل إلى مدينة دلس وجنات في العصور القديمة، وجعل سفن الأندلسيين التجار ترسو بدلس أيضا ومرسى الدجاج ثم رست سفنهم بعد فرارهم من اضطهاد النصارى الإسبان بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين بشبه جزيرة إيبيريا، وسواء بسبب الإمكانيات الزراعية التي جعلت القبائل الأمازيغية والعربية تأوي إليها للاستقرار، وجعلت من سكانها يتاجرون بالمحاصيل المختلفة في أسواقها المحلية أو مع التجار من مختلف الأصقاع كما تشير كتب الجغرافيا، فكان كل هذا مدعاة لتعدد سكانها وتنوع أصولهم فقد سكنتها القبائل البربرية قديما ثم العربية وسيطيا، وعرفت الأحداث السياسية المتلاحقة بين القديم والوسيط والحديث تلاحم وتخاصم بين هذه القبائل أحيانا وتلاحم وتفاهم في أحياء أخرى أدى إلى تغير في النسيج السكاني بالمنطقة، فكان من الساكنة

1 _ سعيدوني: تاريخ، ص260.

2 _ المدني: هذه هي الجزائر، ص33-34.

التي وطئت أقدامها أراضي منطقة بومرداس من البربر، قبائل صنهاجة ومنهم زواوة

وصنهاجة (نفس اسم القبيلة الأم)، بنو مزغنة، ثم قبيلة فليسة، إضافة إلى قبائل صغرى في مناطق مختلفة بين الخشنة إلى بني عمران (على المرتفعات) وبين برج البحري وأزفون (على الساحل)، أما من العرب فكانت قبيلة زغبة التي سكنت السواحل ثم العرب الثعالبة الذين أسسوا إمارة مستقلة بالعاصمة الجزائر وامتدت مواطنهم لتشمل المتيجة التي منها بعض أراضي منطقة بومرداس، وعرفت هذه الأخيرة خاصة منها السواحل وبالخصوص مدينتي دلس ومرسى الدجاج (زموري) وفود الأندلسيين خلال العصر الوسيط ليتضاعف مع بداية حكم العثمانيين، فكانت بصماتهم الحضارية واضحة على سكان المناطق التي سكنوها، وعرفت السلطة العثمانية اهتماما بالغا بمنطقة بومرداس بسبب موقعها الاستراتيجي المطل على البحر ووجودها على الطريق الشرقي المؤدي إلى بايليك الشرق (قسنطينة) وكذا الطريق المؤدي إلى جبال زواوة أو إمارتي "كوكو" و"ابن عباس" فأقامو على أراضيه وحدات إدارية (ولايات) وقيادات وأبراج تضم حاميات عسكرية للسيطرة على المنطقة والحفاظ على الأمن وضمان ولاء المنطقة، فكان «وطن الخشنة» و«وطن يسر» و«قيادة سيباو» و«برج منايل» و«برج سيباو».

وبعدما كانت المنطقة تعج بأولئك الأجناس المختلفة الأعراق والأصول، وبعدما كان ينسب الفرد أو الجماعة إلى أصلها وعرقها فيقال فلان عربي، وفلان الزواوي أو البربري، وفلان الأندلسي، وفلان التركي، استطاعت هذه الأجناس المتمايزة عبر الزمن العيش في بوتقة واحدة وتمازجت فيما بينها، فاختلف السكان عبر الزواج والسكن والتجارة وغيرها فأضحى الجميع يعرف بالجزائريين وأهل الجزائر، لتذوب تدريجيا الفوارق العنصرية والإثنية واللغوية لتجتمع كلها في وطن واحد وتحت راية واحدة ذات هوية واحدة جامعة ذات أبعاد ثلاثة هي: الإسلام، العربية، الأمازيغية، وإنها الجزائر الواحدة الموحدة الموعدة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر العربية:

- _ ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1995.
- _ الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد الشريف (ت. 560هـ/1166م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
- _ البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت. 487هـ/1094م): المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ولبنان، ط1، 1424هـ/2003م.
- _ البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- _ البلاذري أبو الحسن: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت ولبنان، 1988.
- _ ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط3، 03، 1971.
- _ ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض، مطبعة بريل ليدن، ط2، 1983.
- _ ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ ابن خلدون، بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية.
- _ الزهار الحاج أحمد الشريف: مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- _ أبي راس الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق محمد غالم، منشورات CRASC، الجزائر، 2008.
- _ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار الطباعة المدرسية، 1833.
- _ ابن سعيد المغربي: ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- _ الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد: عنوان الدراية فيمن عرف من المائة السابعة بجاية، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979.
- _ المدني أحمد توفيق: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية.
- _ الوزان الفاسي الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، 02، 1983.

المراجع العربية:

- _ أبو الأعلى الزواوي: تاريخ الزواوة، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2005.
- _ بن نعمان إسماعيل: مدينة دلس -دراسة تاريخية وأثرية في العهد الإسلامي. دار الأمل ، تيزي وزو، ط01، 2011 .
- _ بوزياني الدراجي : القبائل الأمازيغية، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط01، 1999.
- _ بوعزيز يحيى : الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- _ حتاملة محمد عبده وآخرون : موسوعة الأندلس والمغرب العربي، دار المدار الثقافية، البليلة، ط01، 2009.
- _ حسبلاوي نسيم: برج منايل عبر التاريخ، مطبعة ألوان أوفسيت، الجزائر، ط1، 2010م.
- _ حسبلاوي: محطات في تاريخ منطقة بومرداس، نواصري للطباعة والنشر، المسيلتة الجزائر، 2020م.
- _ غطاس عائشة: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830م، منشورات ANEP، 2012م.
- _ لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، دار الأمل للدراسات والنشر، الجزائر، 2007.
- _ سعيدوني ناصر الدين : النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط02، 1985 .
- _ سعيدوني ناصر الدين: الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني 1791-1830م، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- _ سي يوسف محمد : مقاومة القبائل للاستعمار الفرنسي، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، ط01، 1985.
- _ شريط عبد الله و محمد مبارك الميلي : مختصر تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- _ شنيقي محمد البشير: الإحتلال الروماني لبلاد المغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985.
- _ مصطفى أبو ضيف : القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- _ مؤنس حسين : تاريخ المغرب. 3ج، العصر الحديث للنشر، لبنان، 1992.
- _ الميلي مبارك بن محمد : تاريخ الجزائر في القديم والحديث. 2ج، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

المصادر باللغة الأجنبية:

- Chenouf Aissa : Les Juifs d'Algérie 2000 ans d'existence, édition el maarif, Alger, 1999.
- Docteur Shaw : Voyage dans la Régence d'Alger, traduit de l'anglais par J.Mac Carthy, éditions bouslama, Tunis, 2eme edition/
- Dumas :La Grande Kabylie –Etude Historique ,
- Joséph Nil Robin : la Grande kabylie Sous le Régime Turc ,Edition Bouchéne
- Joseph Nil Robin : « Notes Historique sur la Grande kabylie de 1830 a 1838 » in Révue Africain , vol.20, 1876.
- Joseph Nil Robin : La Grande Kabylie Sous le Régime Turc, édition bouchéne, 1999,

_ الأجنبية المترجمة:

- بفايفر سيمون: مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتعليق أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009،
- شارل أندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي إلى 1830، تعريب محمد مزالي، الدار التونسية للنشر، 1930،
- كاثكارت: مذكرات أسير الداى، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982،
- هايدو فراي ديغو: تاريخ ملوك الجزائر، ترجمة أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى، الجزائر، 2013م.

المرأة و الماء في الميثولوجيا الأمازيغية لمنطقة بومرداس

بين الماضي و الحاضر

طالبة دكتوراه : مضوي زاهية

جامعة ابن خلدون _ تيارت

عناصر الدراسة:

- I_ بومرداس النشأة والتطور
 - 1- أصل التسمية
 - 2_ مراحلها
 - 3_ الموقع والمساحة
- II_ ماهية التراث وعلاقته بعادات وتقاليد المجتمع المحلي
 - 1_ مفهوم التراث
 - 2_ مجالات التراث الشعبي
 - 2-أ_ العادات (Les Coutumes)
 - 2-ب_ الطقوس (Les Rites)
 - 2-ج_ التقاليد (Les Traditions)
 - 2-د_ الأسطورة (Mythe)
- III_ أنزار وطقوس الاستمطار بمنطقة القبائل (بومرداس) بين الحاضر والماضي
 - 1_ قدسية الماء عبر التاريخ
 - 2_ قداسة الماء في الاسلام
 - 3_ تأليه المياه
 - 4_ المرأة و الماء في الميثولوجيا القبائلية لمنطقة بومرداس
 - 4-أ_ أسطورة أنزار عروس المطر
 - 4-ب_ أداء الطقس وحيائه في المناطق القبائلية بومرداس أنموذجا
 - 5_ بوغنجة، تلاغنجا.

الملخص :

يعتبر التراث الشعبي الذاكرة التاريخية لبناء الهوية الثقافية و الفكرية والاجتماعية لدى مختلف الشعوب و المجتمعات منذ آلاف السنين تعود جذورها إلى بداية الخلق وفترة ما قبل التاريخ مرورا بالثورة النيوليتية وفجر التاريخ ، واستمرت إلى يومنا هذا عبر مختلف الأجيال ،فهو المرأة التي تعكس آمال و آلام الشعوب فمن خلاله يمكن إبراز تلك الاختلافات الفكرية و العقائدية للإنسان في بيئته ، وكثيرا ما ارتبط هذا بمجموعة من الأساطير التي تعد المادة التراثية من صنع الفكر الإنساني منذ العصور القديمة ويعبر بها عن ظروفه القاسية اتجاه الوجود، حيث مارس الفرد طقوسا خاصة بغية التقرب إلى من هو أعظم شأنا منه وأعلاه منزلة لغرض جلب الخير ومن بين تلك الطقوس ما يتعلق بطقس الاستمطار أو ما يعرف بأسطورة أنزار عروس البحر فهي من الطقوس المعهودة لدى شعوب شمال إفريقيا عامة ومنطقة القبائل خاصة الغرض منه إنماء الزرع وهطول الأمطار والاستسقاء ، فعندما يحل الجفاف وتتضرر المحاصيل تجتمع النسوة والأطفال الصغار ويؤدون طقسا معيناً أطلق عليه مع الزمن تاسليت أنزار والذي لا يزال يقام لحد الآن.

الكلمات المفتاحية : المرأة، التراث، الأسطورة أنزار، الاستمطار الفلاحة ،مدينة بومرداس .

المقدمة:

تعد الأسطورة المادة التراثية التي صنعها الفكر الإنساني في العصور الغابرة ،وجعلها الوسيلة الوحيدة للتعبير عن ظروفه اتجاه الوجود وبالأخص فكره ومشاعره اتجاه ما يدور حوله من أمور فاقت إدراكه ،فكونت له فكره مزج فيها بين الخيال ميتافيزيقيا والواقع، أي مزج بين الفكر والحواس واللاشعور في أن واحد ،وبذلك اتحد الماضي مع الحاضر تنبأ بالمستقبل القريب ، فعرف عنها النتاج المعرفي الجمعي الذي يحضى فيه الماضي في وعاء الحاضر، ولقد مارس الإنسان مجموعة من الطقوس في وعائها الأسطوري بغية التقرب إلى من هو أعظم شأنا منه وأعلاه منزله حتى يحظى بالمباركة وينعم في الخير ومن بين تلك الطقوس نجد طقوس الاستمطار في بعض المناطق الأمازيغية أو ما يطلق عليه طقس أنزار أو عروس البحر وذلك من أجل الحصول على موسم زراعي كثيف عن طريق هطول الأمطاء

والاستسقاء، وتعتبر أسطورة أنزار الصورة العاكسة لتلك القيمة التي اكتسبتها المرأة في المجتمع القبائلي الأمازيغي البومرداسي، وهو دليل على الرقي الذي تحتله في الفكر الأمازيغي، وكذلك الدور الفعال الذي تؤديه المرأة بحيث يمكنها التأثير سواء بالإيجاب أو بالسلب على المستقبل والعلاقات الاجتماعية. ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث الذي سنتطرق له ونظرا للأهمية التي يكتسبها طرح الإشكال التالي: فيما تكمن العلاقة التي تجمع المرأة والماء في أساطير الاستمطار الأمازيغية لمنطقة بومرداس؟ وإلى أي مدى ساهمت أسطورة أنزار في الحفاظ على الموروث الشعبي للمنطقة؟ وما الذي نقصده بأسطورة أنزار وما علاقتها بالزرع والفلاحة؟ وهل مازالت تلك الأساطير تقام لحد الآن؟ ولماذا تم ربط هذه الأسطورة بمنطقة القبائل فقط؟ وما دور المرأة في هاته المعتقدات الشعبية المتوارثة؟

I) بومرداس النشأة والتطور: لكل مدينة تاريخ يمكن الرجوع إليه لمعرفة أصول المنطقة ونشأتها وحتى خصائصها ومميزاتها ومساحتها وغيرها من الجوانب والمجالات التي من خلالها يمكن التعرف عليها، وفي مايلي يتم استعراض لمحة تاريخية عن ولاية بومرداس وأهم مقوماتها ومجالاتها⁽¹⁾.

1) أصل التسمية: تعود تسمية بومرداس إلى الشيخ احمد بن علي البومرداسي الذي حل بهذه المنطقة واستقر فيها في نهاية القرن 18م، فقد كان المجال الحالي لبومرداس قبل 1958م يتكون من قرية الصخرة السوداء من جهة، ومن مساحة 03مزارع تابعة للفرنسيين (قيما، كلوس سانت أندري، فريما)، وفي سنة 1958م تم إنشاء بلدية الصخرة السوداء، وكانت مقر السلطة التنفيذية للحكومة المؤقتة طبقا لاتفاقيات ايفيان⁽²⁾.

بعد الاستقلال وكلت مهام إدارتها وتسييرها إلى مؤسسة سونطراك قصد تثمينها، وهذا بتحويلها إلى قطب للدراسات الجامعية والبحوث العلمية، لهذا قامت سونطراك و مكتب الدراسات الاسكندنافية بانجاز مخطط التعمير في مرحلتين 1970م و 1976م، الذي حدد كيفية توسعها، ومن بين المشاريع التي أنجزت نجد المعهد الوطني للصناعات الخفيفة (Inil)، سونطراك والمعهد الوطني

1 دليلة مسدوي، 2019، مقومات العرض السياحي في ولاية بومرداس والسبل الممكنة للاستثمار فيها، مجلة أبعاد اقتصادية، مج. ع. 2، ص 463.

2 المرجع نفسه، ص 463.

للإنتاجية والتنمية الصناعية (Inped) ١.

انشتت ولاية بومرداس بموجب التقسيم الإداري لسنة 1984م طبقا للمرسوم التنفيذي رقم 79.84 الخاص بتصنيف البلديات، وتبعاً لأخر تنظيم إقليمي للمنطقة تضم ولاية بومرداس 32 بلدية و9 دوائر ٢.

2) مراحلها: يمكن إبرازها في مايلي:

يعود تاريخها إلى فترة ما قبل التاريخ، وقد مرت بعدة مراحل منها:

المرحلة الفينيقية في الفترة الممتدة (500 146 ق.م)، المرحلة الرومانية بين عامي (43/42م)، والمرحلة الوندالية ما بين (431-534م)، فالمرحلة البيزنطية في الفترة الممتدة بين (534-707م)، وفي سنة 707م تم ضمها إلى حكم الدولة الإسلامية بعد فتحها من طرف موسى بن نصير ٣.

3) الموقع والمساحة: تقع في الجزء الشمالي المركزي للجزائر، يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب ولاية البويرة، ومن الشرق ولاية تبزي وزو، ومن الغرب ولاية الجزائر، ومن الجنوب الغربي ولاية البليدة، تتربع الولاية على مساحة 145668 كلم² ويقطنها حوالي 802083 نسمة سنة 2019 ٤.

وتقع الولاية في الشريط الشمالي الذي يتميز بتضاريس غنية بالمنظر المختلفة، مما يسمح للقيام بالسياحة الجبلية الاستكشافية الرياضية والصيد، إذ يمكن أن تصنف الولاية إلى 03 مناطق: السهول والأراضي المستوية في الشمال وتمثل نسبة (36.5%)، مؤخرة سلسلة مرتفعات الأطلس المتيجي من الجنوب والوسط وتمثل (26.5%)، سلسلة المقدمة (Les Avant-monts) لجبال القبائل حيث تمثل نسبة (26%)، كما أن شواطئ الولاية تطل على شريط ساحلي يقدر بـ 80.33 كلم يمتد من بودواو البحري غربا إلى اعفير بدلس شرقا ٥.

1 دليلة مسدوي، المرجع السابق، ص 463.

2 المرجع نفسه، ص 463.

3 المرجع نفسه، ص 463.

4 المرجع نفسه، ص 463-464.

5 دليلة مسدوي، المرجع السابق، ص 465.

II ماهية التراث وعلاقته بعادات وتقاليد المجتمع المحلي:

1) مفهوم التراث: يشكل التراث الإطار التاريخي الذي تنطلق منه حضارة أي شعب، فهو بمثابة الوعاء الذي يجمع بين جنباته الحصيلة الإنسانية لكافة جوانب تطور الشعوب ونموها، وعليه فإن التراث بما يتضمنه من عناصر يعمل على ربط الماضي بالحاضر والدراسة في ميدان التراث إنما تعني البحث في حياة المجتمع على اختلاف أصنافه ونشاطه وعاداته وتقاليد، إضافة إلى فهم العلاقات ومكوناتها الأساسية وانعكاسها على المواقف والأخلاقيات، حيث أن صورة من تراثنا وخصوصا الشعبي منه إنما هي صورة حية صادقة، مصدرها الوجدان الشعبي بعيدة عن أي كلفة بل هي طبيعية وتظهر شخصية الأمة وهويتها من خلال هذا التراث الذي ينقله لنا التاريخ والزمن اللامتناهي⁽¹⁾.

إن كلمة التراث من الكلمات الشائعة في اللغة العربية والتراث مأخوذة من الفعل ورث، يرث، نقول ورث فلانا، أي انتقل له مال فلان بعد وفاته، وبذلك فهي تعني حصول الفرد على مخلفات مادية ممن سبقه، بمعنى آخر كل ما يخلفه الخلف للسلف ويبقى متوارث وقابل للتوارث من بعد بحكم التقادم والانتقال، واصل الكلمة يعود إلى أقدم النصوص الدينية حيث وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم بمعنى الميراث⁽²⁾ وذلك في قوله تعالى: "وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما"⁽³⁾، وقوله تعالى: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا"⁽⁴⁾.

ويظهر حسب الآيتين أن للتراث معنيان معنى مادي كما ورد في الآية الأولى والثانية روعي فكري حسب الآية الثانية، ويتضح أن كلمة تراث كلمة أصلية مستمدة من ينبوع الحضارة العربية الإسلامية⁽⁵⁾.

أما على الصعيد الثقافي فالتراث يعني كل ما أنتجته الحضارات وتراكم

1.فايزة اسعد، 2012/2011، العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة مقارنة سوسيوانثروبولوجية لعادات الزواج والختان مدينتي وهران وندرومة أنموذجا، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة وهران، صص72-73.

2. المرجع نفسه، صص72، 73.

3. سورة الفجر، الآية19-20.

4. سورة فاطر، الآية32.

5.فايزة اسعد، المرجع السابق، صص73، 74.

عبر التاريخ وتم نقله إلى الخلف من السلف ويشمل بذلك نتاج تجارب الإنسان وأحاسيسه، أي انه مجموعة التاريخ المادي والمعنوي لحضارة معينة، وعليه يمكن اعتباره يحمل بين طياته موروثات مادية ملموسة تظهر في أسلوب الحياة وأدوات وأساليب الإنتاج، وفي غيرها من الأشياء المحسوسة والموروثات الفكرية والوجدانية متجسدة في القيم والعادات والتقاليد¹.

2) مجالات التراث الشعبي: تعددت مجالاته ويمكن حصرها في:

2-أ) العادات (Les Coutumes): يتبع الناس مجموعة من السلوكيات ويخضعون لها دون أي سلطة ملزمة تسهر على تنفيذها، وتتمثل هذه السلوكيات الملزمة في ما يطلق عليه العادات ويقابلها في الانجليزية (Customs) وفي الفرنسية (Coutumes) إذ أن لفظة (Custom) تشير إلى الأساليب المعترف بها للتفكير والعمل، والعادة مصدرها التعود والاعتياد والتقليد، فالعادة تقليد يكتسب اجتماعيا، يتحقق اجتماعيا ويتوارث اجتماعيا، والعادة هي ما يجري في مجتمع معين في فكر قيمي حيث يصعب تمييزها من التراث، إلا أنها تعتبر من مقومات التراث وأولوياته².

2-ب) الطقوس (Les Rites): لقد تم تناول هذا المصطلح الكثير من العلوم والتخصصات، وهو من المواضيع الهامة فالدراسات المهمة بالطقوس التي تعود مجملها إلى علوم مختلفة مثل الأنثروبولوجيا الدينية وعلم الاجتماع وعلم النفس، تقدم تعريفات متقاربة للطقس باختلاف استخداماته³، إن كلمة طقس تشتق من الكلمة اللاتينية (Ritus) وهي عبارة تعني عادات وتقاليد مجتمع معين، كما تعني كل أنواع الاحتفالات التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإطار التجريبي، وجاء في معجم الأنثولوجيا الأنثروبولوجيا

أن الطقس يندرج في الحياة الاجتماعية بعودة الظروف التي تستدعي إعادة القيام به، ومن هذه الظروف والمناسبات الزواج والميلاد والوفاة على سبيل الذكر

1 المرجع نفسه، ص74.

2 عبد المالك نافجة، 2018/2017، عادات وطقوس الزواج مقارنة أنثروبولوجية للمجتمع المحلي بالشريعة، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع الأنثروبولوجيا، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، ص33

3 عبد المالك نافجة، المرجع السابق، ص37.

لا الحصر^(١).

ويعرف علماء الانثروبولوجيا الطقوس بأنها مجموعة حركات سلوكية متكررة يتفق عليها أبناء المجتمع وتكون على أنواع وأشكال مختلفة تتناسب والغاية التي دفعت الفاعل الاجتماعي والجماعة للقيام بها، ويقوم الطقس على مبدئين أساسيين هما المرجعية الدينية الماورائية ومبدأ التكرار والثبات ضمن نظام طقسي معين^(٢).

2-ج) التقاليد (Les Traditions): لكل شعب عاداته وتقاليدته التي تطبع حياته الاجتماعية بطابع خاص وتميز عن باقي الشعوب ويقوي سلطات هذه العادات والتقاليد عند الناس حتى تصبح لها قوة القاعدة الواجب إتباعها، هذا ما هو حاصل في المجتمع الذي يحترم ويبجل العادات والتقاليد وكأنها مبادئ دينية بل تراهم في بعض الأحيان تحكمهم العادة والتقاليد^(٣).

إن لفظ التقليد مقارب للفظ العادة في مدلولها العام لأن الأصل لفظ التقاليد في الوضع اللغوي اقتباس فعل ما، أو عادة ما، أو مظهر ما من طرف آخر وهذا الطرف قد يكون الجد بالقياس إلى الحفيد، وقد يكون الأب بالقياس إلى الابن كما قد يكون المسود أو المحكوم بالنسبة للسيد أو الحاكم، ونجد أن الناس إذا بنوا تقليدا معينا أصبح شيئا مألوفا شائعا ومتبعا في أفعال وسلوكيات أفراد المجتمع، فلا يسأل الناس العاديون عن أصولها الأولى ولا يبحثون في جذورها الخفية^(٤).

ويطلق مصطلح التقاليد على أنماط السلوك المقننة التي تنتجها الجماعة وتعمل على تدعيم تماسكها ووعيها بذاتها، كما يطلق المصطلح على عناصر الثقافة التي تنتقل من جيل إلى آخر، بمعنى إنها عبارة عن قواعد السلوك الخاصة بجماعة أو طائفة معينة والتي يتناقلها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل^(٥).

2-د) الأسطورة (Mythe): تعد الأسطورة تراثا إنسانيا اشتركت فيه الشعوب

1 المرجع نفسه، ص 37-38.

2 المرجع نفسه، ص 38.

3 المرجع نفسه، ص 48.

4 المرجع نفسه، ص 48.

5 عبد المالك نافجة، المرجع السابق، ص 49.

على مر الزمان وامتداد المكان، حيث أنها تحكي الأم وأمال الشعوب والأمم، ولقد انحصرت الأسطورة في البدء في ألوان الأدب لكن مع الوقت أضحت ميدانا للدراسة في العلوم الحديثة كالانثروبولوجيا وعلم النفس كونها شكلت مصدرا خصبا لدراسة المجتمعات¹.

ولقد أعطى العلماء عدة مفاهيم للأسطورة فمنهم من رأى أنها "حكايات القدماء في الدين"، ومنهم من قال هي: "التاريخ في صورة متحركة"، والبعض ذهب إلى أنها "رواية للمقدس وللديني الذي يتضمن مجموعة خبرات وتعرض الشعور الجمعي"، وفي ق18م ظهر العديد من العلماء الذين فسروا الأسطورة في ضوء علم

الاجتماع من أمثال هؤلاء ماكس ملر (Max Muller) وهربرت سبنسر (Herbert Spencer) على أنها مرآة عاكسة لنفسية أولئك الذين ألفوها حيث كانوا عاجزين عن التعبير عن أنفسهم².

في حين ترى ميرسا الياد "أن الأسطورة تجرية وجودية كان يعانها الإنسان البدائي"³. ويمكن القول أن الأسطورة مصدر أفكار الأولين ملهمة الشعر والأدب، كما أنها تمثل شكلا من أشكال النشاط الفكري البشري فإنها دون شك على صلة وثيقة بعقائد الأمم والشعوب وبأديانها وبتاريخها الممتد وتعد مستودع الرمزية والخيال⁴.

III) أنزار وطقوس الاستمطار بمنطقة القبائل (بومرداس) بين الحاضر والماضي: عرف المجتمع الجزائري (الأمازيغي) طقوس الاستسقاء منذ زمن مبكر أي قبل الفتح الإسلامي، وهي لا تزال راسخة بالذاكرة الشعبية للمنطقة بأسماء عديدة: أنزار، تاسيليت، عروس المطر، مغرف بوغنجة، وهي طقوس مرتبطة بالاحتفالات الدنيوية على حد تعبير إميل دور كايم (Emile Dur Kheim) حيث ترتبط بطقس مقدس يتواصل من خلاله الفرد الجزائري في علاقة حميمية مع الإله (أنزار)، فعبّر ترميمات يرددها الأطفال تتواصل روابط روحية بين الإله والفرد، تترجم براءة وظهر العلاقة بين "تسيليت" واله المياه مما يحول المكان إلى جغرافيا مقدسة بها النساء

1 المرجع نفسه، ص38.

2 لمرجع نفسه، ص38.

3 مرسيا الياد، 1991، مظاهر الاسطورة، تر: نهاد خياط، ط.1، دار كنعان للدراسات، دمشق، ص ص9، 10.

4 عبد المالك نافجة، المرجع السابق، ص ص50-51.

أملا في الظفر بزواج يقاسمها أعباء الحياة، وطقس الاستسقاء في الحقيقة مرتبط بالنار، نار الاستسقاء في المجتمع الجزائري القبائلي وقد عرف "بمغرفة بوغنجة" وهذا الإيمان متكرر، لأن النار ولدت من الماء حسب ما أخبرت به الأساطير القديمة، ويعتبر هذا الطقس من أقدم الطقوس الاستسقائية المعروفة في شمال أفريقيا التي يمارسها سكان المنطقة في جلب المطر ورفع البلاء والضرر على الإنسان والحيوان لأن الماء هو الحياة¹.

1) قدسية الماء عبر التاريخ: شعر الإنسان منذ القدم وأدرك بغرائزه أن الماء هو الحياة، فقام بإنشاء هالة أسطورية وقصص خرافية حول المياه وكانت الغلبة لمن يمتلك

الماء ويعمر ضفاف الأنهار والأودية والمصببات، فكانت الإمبراطوريات العظمى تشن حروبها لتجديد مواردها المائية وبالاستيلاء على مناطق تتوفر على الأرض الخصبة والمياه العذبة، وبالتقصي قليلا في صفحات التاريخ نجد أن عبادة المياه وتقديسه كانت منتشرة انتشارا كبيرا بين الحضارات البائدة بكل أشكالها البدائية والمتحضرة، وفي جميع الأديان المتعارف عليها².

وجميع الديانات القديمة الوضعية منها والسماوية كانت قد أرخت لتقديس المياه، فالمصريون القدامى كانوا يعتقدون أن عرش الآلهة يستوي على الماء، والاعارقة قدسوا البحار وبعجوا إليها بوسايدون وجعلوه من أهم الآلهة ورمز القوة كما كان الماء مشاركا كاله للخصوبة والطعام، أما السومريون فرأوا أن الماء هو أصل الحياة³.

قداسة الماء في المسيحية: نجد أهمية الماء في إقامة مراسيم التعميد ولا يعوض بمادة أخرى، حيث تقول أساطير المسيحية أن المسيح عليه السلام تم تعميده بالماء الجاري (نهر الأردن) على يد النبي يحيى عليه السلام (يوحنا) فكان لهذا التعميد أثره الخاص والمهم بلاهوت المسيح والكنيسة وصلوات القربان المقدس عند المسيحيين كرمز للتطهير من الذنوب.

1 أمال ماي، 2021، استدعاء طقس الاستسقاء «تلاغنج» عروس المطر» في ديوان طاسيليا، مجلة النص، مج.7، ع.1، ص.120.

2 إبراهيم بن عرفة، 2019/2018، الممارسات الطقوسية والاحتفالية وعلاقتها بالنشاط الفلاحي دراسة انثروبولوجية في منطقة بئر الذهب ولاية تبسة، الجزائر، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة علي لونييسي، البليدة، ص.237.

3 إبراهيم بن عرفة، المرجع السابق، ص.241، 242.

2) قداسة الماء في اليهودية: فالماء عندها مقدس تقديس كبيرا وهذا يظهر جليا واضحا في مراسيمها الدينية، وفي فكرها أيضا (روح الله ترف على وجه الماء) حسب سفر التكوين، ومن فرائض اليهودية أيضا استخدام الماء في طقوس التنظيف وتبرئة الذات من الذنوب وفي التعميد أحيانا، كما يعمد اليهود إلى غسل أياديهم قبل كل وجبة طعام وعن طريق تقليب الماء بين الكفين اليسرى واليمنى بمثابة تبرك¹.

3) قداسة الماء في الإسلام: الماء مقدس في جميع الأديان والشرائع، فهو في مرتبة عالية في الممارسات والفكر الديني الإسلامي²، وذلك لقوله تعالى "وجعلنا من الماء كل شيء حي"³، فهو الحياة في حد ذاتها وهذا تقديس كبير للماء، ولا يخلو أي مسجد من مصدر للمياه النظيفة السائلة يستخدمه المسلمون للوضوء قبل الصلاة خمس مرات في اليوم، وبالتالي فقد كان الماء عنصرا رمزيا للتنظيف والطهارة وغسل الذنوب عند البشر، والله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان من ماء وتراب وكانت معظم المجتمعات البشرية تعيش قرب الماء لكي يضمنوا الماء والشراب والغذاء الوفير لهم ولإنعامهم، ويطبقون عمليات التطهير وطقوس العمادة والغسل والوضوء ومختلف الممارسات المتعلقة بالماء وقداسته⁴.

4) تأليه المياه: حسب الأساطير القديمة وتبعاً للدراسات التاريخية فإن أهل بابل وأشور هم أول من ابتدع وعبد الآلهة الخاصة بالمياه، وقد عبدت وتقرب إليها بمختلف القرابين والعطايا ونذكر منها⁵: الإله ايدا (ID) كان هو اله المياه العذبة والآلهة نينا (Nina) آلهة الينابيع والأنهار والأمطار⁶، والإله نندارا (Nindara) اله البحر المتحكم في هذؤوه وهيجانته، وكذلك الإله انبيللوا (Anpillou) المسئول والمتكلف بالأنهار والبحيرات وهو صاحب النهرين وحاميهما أي الدجلة والفرات⁷.

1 المرجع نفسه، ص 242.

2 المرجع نفسه، ص 242.

3 سورة الأنبياء، الآية 30.

4 ابراهيم بن عرفة، المرجع السابق، ص 242، 243.

5 المرجع نفسه، ص 243.

6 المرجع نفسه، ص 243، وينظر كذلك: الأمين محمود، 1958، أشعار سومر، مجلة بغداد، ع 8، ص 226.

7 خزلع الماجدي، 1992، متون سومر، بيروت، لبنان، ص 153.

أما عند الاغارقة فنجد الآلهة الأكثر شهرة هي ايزيس وبوسايدون^١، وحسب مرسيا الياد كل له طقوسه ووظيفته التي يؤديها في الحفاظ على السلم والسلام وإعادة البعث والحياة الأبدية من خلال الحفاظ على الماء ومنحه لمحتاجيه، والماء المقدس أو مايسمى بإكسير الحياة والذي لا يمنح إلا للحكام والملوك والعظماء والأشخاص في مصاف الآلهة^٢.

أما عند الفراعنة حسب الكتابات الهيروغليفية أن اله الماء تمثل في أمون العظيم، حيث يقوم المصريون بالتقرب إلى أمون بالقربين والذبائح والأطعمة ليمنحهم بركة ويجعل عامهم خيرا من الثمار والمحصول^٣. ويشير كارل

ارمسترونغ أنهم يهبون له عروس النيل وهو طقس يقيمه الفراعنة القدماء على شرف الإله أمون حيث يقومون باختيار حساء عذراء يتقربون بها إليه وذلك بتزويجها إياه عن طريق إلقائها في النيل وقت الفيضان وإلقائها وقت الجفاف والانحسار حتى يضمن لهم العام الجيد الخالي من الفيضان والقحط^٤.

أما في شمال إفريقيا (المغرب القديم) تعتبر الربة تانيت (Tanit) من اكبر الأرباب التي عرفت انتشارا واسعا طال كل المناطق المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط والصحراء الكبرى خلال العصور القديمة^٥، وقد ظهرت عبادتها في قرطاج منذ ق05ق.م وتأتي في المرتبة الثانية بعد الإله بعل حامون، ثم حلت محله وأصبحت في المرتبة الأولى ابتداء من ق04ق.م^٦، واكتسبت شعبية واسعة في أواسط المجتمع النوميدي كونها ترمز لفكرة الخصوبة والإنتاج^٧، ثم ظهرت الآلهة

- 1 اليينهارت، 1994، الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، تر: هاشم حمادي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ص19.
- 2 ميرسيا الياد، 1987، تاريخ الافكار والمعتقدات الدينية، ج.2، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا، صص396-399.
- 3 ابراهيم بن عرفة، المرجع السابق، ص244.
- 4 كارل ارمسترونغ، 2008، تاريخ الاسطورة، تر: وجيه فانصو، ناشرون الدار العربية للعلوم، لبنان، ص47.
- 5 عبد الرحمان خلفه، 2008/2007، الديانة الوثنية المغاربية القديمة (منذ النشأة الى سقوط قرطاجنة146ق.م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، ص99.
- 6 احمد الفرجاوي، 1993، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجنة، المعهد الوطني للتراث، تونس، ص103.
- 7 رشيد الناضوري، 1981، المغرب الكبير، ج.1، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت، ص209.

كايليستيس(Caelestis) في الفترة الرومانية كوريثة لتانيت القرطاجية¹ كي تضمن الخصب والنماء للأرض².

5) المرأة والماء في الميثولوجيا القبائلية لمنطقة بومرداس: إن أهمية الماء في حياة الإنسان جعلته يكتسي طابعا متميزا في الموروث الشعبي، ويتجلى ذلك في ضرورة توفره، البحث عنه مهما كلف الأمر، لأنه يمثل الحياة لكل الكائنات الحية ويظهر ذلك من خلال الممارسات الطقسية التي يقوم بها سكان المنطقة³.

وتعتبر ظاهرة الاستمطار من الطقوس القديمة في الحياة الإنسانية حيث كان الناس يلجؤون الى معابدهم وألتهم، ويطبقون فيها صلواتهم وطقوسهم ويقدمون قرابينهم راجين سقوط المطر⁴.

وقد قدست الشعوب القديمة الماء ولعل سبب حسب ستيفان قزال(Gsell) يعود الى طبيعة المناخ الجاف الذي ميز المنطقة(المغرب القديم) حيث اوجب على سكانه الحصول على الأمطار الضرورية لتأمين محاصيلهم الزراعية، لذلك قاموا بتقديس هذه المياه واسترضائها تفاديا لغضبها وشرها والروح التي تسكنها⁵. وهاهو هيرودوت(Hérodote) يحدثنا عن قبيلة النسامونيون(Nasamons)، حيث كان أفراد هذه القبيلة إن لم يجدوا ماء يأخذون التراب من الأرض ويقومون بلعقه⁶، ويشير محمد الصغير غانم أنهم كانوا يخرجون على شكل جماعات لأداء هذا الطقس في الهواء الطلق معربين عن حاجاتهم للمطر ويظهرون ضعفهم وخضوعهم لاعتقادهم أن الجفاف الذي حل بهم وأرضهم ما هو إلا عقابا لهم وان الآلهة التي تسكن السماء والأماكن العليا في قمم الجبال غاضبة عليهم⁷.

1 مصطفى توريرت، زاهية مضوي، سبتمبر 2021، الدور الاقتصادي للمرأة في بلاد المغرب القديم، مجلة العبر للدراسات التاريخية والآثرية في شمال افريقيا، مج.4، ع.2، ص96.

2 نضار الاندلسي، (د.ت)، المرأة والزراعة في تاريخ شمال افريقيا القديم، تطوان، المغرب، ص.5.

3 جيلالي هناني، 2021/6/5، الممارسات الدينية والطقوسية لطرق الاستمطار ببلاد المغرب الاوسط خلال العهد الزياني(ق10.7-13.16م)، مجلة الانثروبولوجية الاديان، مج.17، ع.2، ص179.

4 جيلالي هناني، المرجع نفسه، ص179.

5 Gsell(S), 1927, Histoire ancienne de L'Afrique du Nord, Tome6, Librairie 5 Hachette, Paris, p122.

6 Gsell(S), 1916, Texte relatifs a L'histoire de L'Afrique du Nord (Hérodote), Alger, 6 IV, CXXVII.

7 محمد الصغير غانم، (د.ت)، بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب القديم، مجلة الحوار الفكري، ع.2، ص61.

15) أسطورة أنزار عروس المطر: يتحدث الدكتور محمد جلاوي عن أسطورة أنزار فيقول: "هذه الأسطورة عرفت رواجا واسعا في الأوساط الاجتماعية القبائلية وظلت تمارس ممارسة طقسية الى عهد قريب إذ كلما عم الجفاف وأصيبت الأرض بالقحط والجفاف إلا وانبعثت أصولها الأولى من أعماق الذاكرة الجماعية من جديد ليناشد بها الأهالي اله الأمطار أنزار ليعيد إليهم الغيث المفقود"¹.

ومن بين العادات والممارسات التي ألفها سكان القبائل (بومرداس ومجاورها) القيام بها ارضاء وتبركا لإله المطر، عادة رش موكب العروس بالماء وعادة رش الماء حين الخروج من البيت وهناك من يصلي (لأنزار) متمنيا موسما مطرا وخصيبا، وهذا كله نابع من الثقافة القبائلية والتي ورثتها عن الأجيال السابقة دون الاهتمام بالرقص الديني لمثل هذه الأنواع من المعتقدات والممارسات الطقسية².

ومن بين الممارسات المرتبطة بقداسته الماء في المنطقة (بومرداس) عادة رش العروس بالماء اثر خروجها من منزل العبور- كما اشرنا سابقا -، وهذا الطقس عبارة عن ممارسة تهدف الى إعادة إحياء خرافة لا يعرفها الكثير من ممارسيها اليوم ولا يعرفون مدلولها فهم بالتالي يمارسون طقسا ميثيا يدعو الى تقديس الماء³، ويروي لنا الدكتور محمد جلاوي بعض الممارسات الطقسية التي كان سكان القبائل يمارسونها في زمن ليس ببعيد وقد نجدها تمارس في وقتنا، لان هناك من لا يزال يعتقد بها لأنها موروث شعبي راسخ في الذاكرة وهو ما نراه من خلال القيام ببعضها، كرش موكب العروس بالماء سواء كان ماء عادي او ماء الورد المقطر، وإذا أردت الاستقصاء عن سر هذه العادة لوجدتها نابعة من الفكر القبائلي القديم له علاقة بأسطورة أنزار⁴.

وحسب الروايات الشفوية المتناقلة التي تروي لنا نص أسطورة: عاشت (تيسليت) تتجول بين الجداول والينابيع، حيث تحمل بيديها الماء وتستلذ باللحظات الجميلة من الحياة، حيث تحمل الماء في كفيها وترميه نحو السماء ليتفرق الى قطرات متألثة وهي تنشد وتغني بصوتها العذب، وتكررت هذه

1 سالم بن لباد، 2017، رمز المرأة في الأسطورة الأمازيغية الجزائرية-أسطورة أنزار انموذجا، مجلة معارف، مج.12، ع.22، صص-294 295.

2 ابراهيم بن عرفة، المرجع السابق، ص295.

3 المرجع نفسه، صص-245 246.

4 سالم بن لباد، المرجع السابق، ص295.

العملية أياما عديدة، وكانت (تيسليت) تنتقل بين الوديان والينابيع وكأنها تعبر عن عفافها وجمالها، حيث تمضي أوقات طويلة بعيدة عن أنظار القرية وشبابها، ومرت الأيام وزادت (تيسليت) جمالا، وبينما كانت كعادتها ترتوي من احد الينابيع¹، تلبدت السماء بسحب كثيفة وممرت سحابة رعديّة كان يقودها اله المطر انزار² نحو إحدى البلدات يسقي أرضها ويحيي زرعها ويبشر قاطنيها بموسم حصاد وفير، ولوهلة انتبه الإله انزار لشعلة مضيئة فوق الأرض آية في الجمال، فقرر التوجه نحو تلك الزجاجاة المشرقة وما زاد انتباهه ذلك الصوت العذب المنبعث من هذه الشعلة فاقترب أكثر فوجد فتاة فاتنة الجمال كاشفة الساقين تهم بالدخول الى المنبع وتغني بصوت أصيل، توقف انزار لحظات يتأمل في هذه الفتاة لأنه لم ير إنسية فاتنة الجمال مثل تيسليت وبما انه اله يرى بعين الآلهة نظر الى عمق روحها فاستغرب لنقاء وصفاء روحها وأبصر في فكرها فوجد ذلك الحياء والتعفف³.

فقرر انزار الاستقرار أياما فوق هذه البلاد منزلا على المنطقة كل أشكال الغيث تعبيراً منه عن حبه وغرامه لـ (تيسليت) فاخضرت الأرض وأنتجت الخيرات، ولاحظ قوم (تيسليت) هذا التغيير الذي لم يحدث من قبل وخاصة عندما تصعد (تيسليت) الى الجبل وامتلاّت السماء بالسحب، فأصبحت الفتاة قديسة واضحي انزار يعاني عاطفيا يتساءل: هل يصارحها بحبه لها ورغبته في الزواج منها او يحافظ على كبريائه الإلهي؟ وبعد تفكير طويل قرر مصارحتها وطلبها للزواج بعد أن قدم مهرها المتمثل في الغيث الذي حول المنطقة الى جنة⁴، نزل انزار وكأنه برق خاطف نازل من السماء على شكل عاصفة ضربت الأرض بقوة اهتز لها كل شيء، تحول فيها الى رجل شاب في مقتبل العمر لكن هذه الحركة أفزعت الفتاة وبقيت جامدة في مكانها خوفا وفزعا، تقدم إليها بكل احترام وطلبها للزواج مبينا لها عدم إمكان البشر من ملاقاتة الآلهة إلا إذا بلغوا تلك الدرجة من العظمة التي يبينها حسن الخلق ونقاء الروح، لكن (تيسليت) رفضت بشدة وأخبرته بذلك بكل شجاعة لأنها رأت انه من العار ملاقاتة رجل غريب دون

1 سالم بن لباد، 2016، سوسيولوجية الاسطورة الامازيغية في الجزائر، انزار طقس الاستمطار انموذجا، مجلة علم، مج.1، ع.2، ص.6.

2 ابراهيم بن عرفته، المرجع السابق، ص.246.

3 سالم بن لباد، سوسيولوجية الاسطورة...، المرجع السابق، ص.7.

4 سالم بن لباد، رمز المرأة...، المرجع السابق، ص.296.

علم والديها، فهي بالنسبة لها خيانة لهم وإخوتها وأهلها، لم يتقبل انزار ما حصل، فغضب كثيرا وقرر أن يسلط غضبه على المنطقة ويحرمها من الغيث، فعادت الشمس الحارقة وبدأت البرك والبحيرات تتقلص وأضحت الوديان والينابيع تجف وتنقص^١.

طال هذا الأمر أشهرا عديدة وحل بالمنطقة الجفاف حتى قضى على كل الاخضرار وأصاب الناس اليأس وفقدت المنطقة رونقها، فضاعت تيسليت في هذه الحالة وعرفت مدى تعلق انزار بها وقررت قبول عرضه فراحت تناجيه وتتضرع إليه راجية عودته^٢ وطلبت منه أن يعيد لها ماء الوادي، وفجأة تجلى هذا الإله على شكل برق عظيم وأعاد النهر الى سابق عهده واخضرت الأرض^٣ وكان لها ما أرادت، فرقص السكان فرحا مستبشرين بذلك، وقدموا الولائم وأعلنوا الأفراح والاحتفالات^٤.

وتقدم لنا هذه الأسطورة نموذجا عن النصوص الروائية العالمية التي ترى بضرورة اتصال السماء بالأرض، فاتصال انزار السماوي مع الفتاة الأرضية هو المسئول حسب الأسطورة عن الخصوبة والاخضرار، بما يعني أن هطول المطر إنما ينتج عن زواج كوني بين سيد المطر وعروسه، وبالتالي فإن طقس الاستمطار ما هو إلا إحياء للأسطورة واحتفال بأحداثها^٥.

ومن هنا يكون الاعتقاد حول الأسطورة ورسخ في المخيل الشعبي القبائلي، وأصبح المجتمع يقوم بالممارسات الطقسية كلما حل الجفاف بالمنطقة معتقدين بغضب إله المطر انزار على المنطقة ولا بد من إرضائه بمنحه (تيسليت) عروسا له^٦.

5-ب) أداء الطقس وإحيائه في المناطق القبائلية بومرداس أنموذجا:

- 1 سالم بن لباد، سوسيولوجية الاسطورة...، المرجع السابق، ص 7.
- 2 سالم بن لباد، رمز المرأة في...، المرجع السابق، ص 296
- 3 - Géné Vois Henri, Unrite D'otention de pluie (La Fiancé des dans Les actes du deuxième congrès international) etude des cultures des La Méditerranée occidentale, Société nationale d'Édition et distribution, Alger, p399.
- 4 سالم بن لباد، سوسيولوجية الاسطورة...، المرجع السابق، ص 8.
- 5 ايت اومغامر سمير، (د.ت)، المعبودات المائية في المغرب بين العصر القديم والزمن الراهن، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ص 5.
- 6 سالم بن لباد، رمز المرأة في...، المرجع السابق، ص 297.

ويسرد الدكتور محمد جلاوي هذه الوقائع التي تقام لإحياء الأسطورة قائلا: "ولما يحين الموعد المحدد تجهز العروس بكامل تجهيزات الزفاف وبعدها ينطلق الموكب الذي يتشكل من نساء وفتيات وأطفال ليطوف الجميع بالقرية بيتا إثر بيت وأثناء الطواف يردد الجميع بصوت واحد "انزاري انزار، يا إله لطف هذا الحر، لتينع خيرات الجبال، وكذا غيرها من السواحل"¹.

ويواصل في سرد الممارسات بقوله: "وعند كل باب تجمع الصدقات من زيت ولحم ودقيق ويصل...وينظم الى الجمع عدد آخر من النساء والأطفال، وعند آخر نقطة-عادة ما يكون معبدا او مسجدا- حينها تبدأ عملية إعداد الوليمة بما جمع من صدقات ولما تنتهي الوليمة تغسل الأواني وترتب وتصب مياه الغسيل في ساقية(Targa) كتذكير الإله بعدم حرمان جريانها".

وبعض الروايات التي تم الحصول عليها من احد العجائز تقول: إن في هذا اليوم وهو يوم الجمعة تذبج الذبائح ويطبخ الكسكس بكميات هائلة تكفي كل القرية- من المؤونة التي جمعت من البيوت- وبعدها يذهب السكان للصلاة شاكرين الله ومتضرعين له لقبول هديتهم ودعواتهم، كما تجد بعض الروايات تؤكد سقوط الأمطار مباشرة بعد إنهاء الحفل لذلك هم يتركون الأواني دون غسلها حتى تغسل بمياه الأمطار"².

أما الحلقة الحاسمة في هذه الممارسات الطقسية وهي الأهم، التي تقدم فيها العروس لزوجها اله الأمطار أنزار في الصورة التي يرتضيها، حيث تأتي الحماية بابنتها وسط الحلقة من المتجمهرين، وتجردها من ثيابها بحيث تبدو عارية تماما، وتدعوها لتطوف بالمعبد او المسجد سبع مرات وهي تحمل في يدها مغرفا (Ifwayenja) طالبة به قطرات غيث من الإله انزار قائلة: يا ألهة الأمطار منوا علينا بالمياه، ومنا لكم الأرواح فداء وقربانا"³.

ثم تواصل بعد انتهائها من الطواف في توسلها لزوجها المفروض اله المطر مستعملة بعض الكلمات الشاعرية مذكرة إياه بما حل بأهلها وقريتها جراء الجفاف فتقول: قحط حل بالبرك، أصبحت قبرا للسمكن جذب وبور، الجماعة

1 سالم بن لباد، سوسيولوجية الاسطورة...، المرجع السابق، ص5.

2 سالم بن لباد، رمز المرأة في...، المرجع السابق، ص297.

3 المرجع نفسه، ص ص-297 298.

أفلست وجاءت ١.

وتشارك النساء الحاضرات في هذه الحفلة حيث تقمن بإظهار جمال العروس، ومدح الإله، اله الأمطار انزار مرددين العبارة التالية: انزار أيها الإله، يسرك غائر أوحد، فزت بفتاة كالياقوت، شعرها حريري ممد، خذها وألهمها أجنحة، وفي غور السماء بها اصعد، من اجل حسنها الفتان، أرويت كل ظمئ عطشان ٢.

وفي الأخير وختاما لهذه الممارسات "تتجمع كل الفتيات اللواتي بلغن سن الزواج، في ساحة قرب المعبد ليشاركن خطيبة (انزار) التي لاتزال عاريتها لعبة يطلق عليها زرزاري (Zerzari) وذلك على مرأى الحشد الغفير من النساء والأطفال تدوم اللعبة وقتا محمدا لتنتهي بدفن الكرة الفلينية المستعملة داخل حفرة أعدت لذلك من قبل" ٣.

وحين إنهاء اللعبة تدعو الفتيات (انزار) متمنيات قبوله للفتاة كزوجة له، وان يرضى عنهم لما قدموه كقربان يدعونه بان يبذل هذا الحال الجاف الى حال آخر تغمره الأمطار، وفي نفس الوقت يرددون: فزنا بالمطلب المقصود، قران العروس بالند المنشود، الإله الى الأرض ينزل، والعروسة راضية به بعل، أيها الإله اعد إلينا الأمطار، رفقا الأرض كساها الاصفار، لكي تثمر النعم والعلف، كما أثمرتم النسل والخلف. مقتنعين بأنهم قدموا واجبههم تجاه اله المطر(انزار) ومتأكدين انه سيغيثهم حتما ولن يخيبهم بعد الذي قدموه له ٤. ويؤكد لنا الدكتور محمد جلاوي نقلا عن احد الرواة الذين شاركوا في إحدى الممارسات الطقسية حول أسطورة(انزار) "بان الأمطار تعرف النزول أياما قلائل بعد هذه المناشدة(لانزار) ٥.

وملخص الممارسات الطقسية لهذه الأسطورة تتمثل في أن جمعا من النساء حين يجتمعن في احد المنازل لتنظيم مراسيم الاحتفاء ابتداء من شهر(Ayurar) (الحر الشديد) حين يحل القحط بالبلاد بتحديد الموعد، ثم اختيار الحمامة(اي ام الزوجة او العروس) التي تقدم ابنتها عروسا لانزار ويشترط فيها أن تكون اشرف نساء القرية وان تكون ابنتها على قدر كبير من الجمال والبهاء ونيتها صادقة لا

1 سالم بن لباد، رمز المرأة في...، المرجع السابق، ص298.

2 المرجع نفسه، ص298.

3 المرجع نفسه، ص ص298 299.

4 المرجع نفسه، ص299.

5 المرجع نفسه، ص299.

يشوبها كدر ولا تعكير، وهذا يعود كمحاولة لإحياء القصة الأسطورية(انزار) التي جرت في زمن بعيد، بحيث يشترط في إحياء الأسطورة توفر شروطها التي وجدت في الأصل كجمال الفتاة(تيسليت)، التي اشتهرت بين قومها بصفة الحياء وحبها الشديد لينايع المياه والأنهار¹.

وما يمكن ملاحظته في هذا الاحتفال هو الحضور القوي والكلي للنساء والغياب التام للرجال، وهو ما يسمح لنا باستحضار فكرة الخصوبة المرتبطة بالمرأة والأرض والعلاقة

الكامنة بينها².

6)بوغنجة، تلاغنجا: وقد نلمس بعض التحولات في هذه الممارسات سواء من حيث التسمية وحتى من خلال الطقوس، وهذا يعود لأسباب عديدة نذكر منها طبيعة التراث الشفهي الذي يتغير بالزيادة او النقصان بحكم التناقل بين الأجيال مشافهة، وقد يرد السبب الرئيسي في تغير اسم الأسطورة من أسطورة انزار الى أسطورة تلاغنجا للتغيير الطارئ على بعض الحلقات³. مثل حلقة استبدال الفتاة بالدمية التي تشكل من المغرفة(اغنجا) ومكسوة بزي العروس فإنها تظل تحمل اسم غونجا او تلاغنجا وتقام بها نفس الطقوس السابقة⁴.

تلاغنجا من الطقوس المعروفة في شمال إفريقيا منذ القدم، ويمارس عادة عند شح المياه وجفاف الأرض وتتشابه ممارساته بين مختلف المناطق(بومرداس ومجاورها)، إلا أن الاختلاف لم يكن كبيرا، فقد ظلت الطقوس المتعلقة به محافظة على هيكلها العام، وان تغيرت بعض الشيء مع مرور الوقت لاسيما الوقت الحالي عنها قديما، فالشخصية الرئيسية استبدلت، فبعدها كانت فتاة عارية حافية أصبحت ملقعة خشبية تعرف ببوغنجة او تلاغنجا او مغرف بوغنجة(Taghonja) كلمة امازيغية أصلها(Aghnja) التي تعني المغرفة(الملقعة) ويسمى المرق بـ(Arwa) أي ارتوت الأرض بدل(Dzwa)، وهو أمل لتحسن الوضعية الزراعية والاقتصادية وتحقيق لمزيد من الاستقرار والعيش الكريم، بمعنى أن الكلمة تحمل دلالة السقي والخير وهذه هي وظيفة الطقس فالتسمية إذن أخذت من

1 سالم بن لباد، رمز المرأة في...، المرجع السابق، ص295.

2 عبد الرحمان خلف، المرجع السابق، ص50.

3 سالم بن لباد، سوسيولوجية الاسطورة...، المرجع السابق، ص6.

4 المرجع نفسه، ص6.

الوظيفة^(١).

ونجد في لسان العرب عند ابن المنظور: "غنج: امرأة غنجية: حسن الدل، وغنجها وغناجها، شكلها، الأخيرة من كراع وهو الغنج، والغنج وقد تغنجت، فهي مغناج وغنجة، وقيل الغنج ملاحاة العينين^(٢)، بمعنى أن غنجة هو التدلل والملاحاة والحسن، وهي دلالة لا تختلف عن المعنى العامي الغنجة التي كانت تعني أنها امرأة جميلة المنظر نفية السريرة وعفيفة وزاهدة أحبها إله المطر وقتن بجمالها وروحها التي كانت قريبة إلى الروح الإلهية، وهي القريان الذي يقدم للآلهة كلما حبست السماء دموعها^(٣).

وغنجة عبارة عن ملعقة وهي تمثل يدي الدمية الخشبية المغطاة بقماش في مسورة عروس، موجهة لاستقبال المطر^(٤)، التي تم تزيينها من طرف النسوة ببراعة كبيرة لتجول بيوت الحي يرافقتها الأولاد في تمايل وتغنج وتجمع الطعام، وهي ترقص على أغاني وأهازيج الصغار وهم يرددون: غنجة أم الرجا اللي عند ربي راه جا، غنجة حنات راسها يارب بلبل ناسها، غنجة حنات راسها يارب بلبل حراسها، ولعل جمع هذا الطعام بعد زيارة البيوت وطهيه وتوزيعه على الفقراء والمساكين تقربا من الله حتى ينزل الغيث وهو ترجمة لكلمة الغيث المأخوذة من غرف، فكلمة مغرف تفيد اخذ الماء والرزق وقد حافظت على دلالتها في الأسطورة، فالمغرفة المزين هو طلب الرزق والماء، ولعل هذا ما تترجمه تلك الأهازيج التي يرددوها الأطفال والنسوة ومنها: ايا انزار المغرفة ييبست، اختفت علامات الخضرة، عروسك تتوسل إليك، ايا انزار لأنها ترغب بك، انزار انزار، أيها الملك كف عن الجفاف، كي ينضج المحصول على الجبل، وينمو منتوج السهل^(٥).

إن المخيلة القبائلية(بومرداس) لاتزال تحتفظ بداخلها بهذه الطقوس كلما جفت الأرض وحبست المطر طالما أنهم يؤمنون بان احتباس المطر هو عقاب الهي لعباده و اذا كان هذا حال العامة^(٦)، ورغم قدم طقس الاستسقاء(انزار) إلا انه لا يزال يمارس في بعض القرى والمجتمعات كلما دعت الحاجة الى ذلك، ولكن

- 1 امال مادي، المرجع السابق، ص122.
- 2 ابن المنظور، 2003، لسان العرب، ج.1، دار صادر، ط.3، ص91.
- 3 امال مادي، المرجع السابق، ص122.
- 4 نضار الاندلسي، 2017، الحياة اليومية للمرأة في المغرب القديم، (د.ن)، ط.1، المغرب، صص34-35.
- 5 امال مادي، المرجع السابق، ص123.
- 6 المرجع نفسه، ص123.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل الممارسة في وقتنا الراهن هي نفس الممارسة التي كان يحظى بها في قديم الزمان؟ لقد تغير طقس انزار بعض الشيء فلم يعد يمارس هذا العمل الجماعي أثناء أداء تلك الطقوس اذ لم يعد له أي اهتمام¹. أما بالنسبة لأشكال هذا الطقس فلم تعد المعرفة تزين بالحلي ولم تعد تغمس داخل الماء²، ويعود سبب هذا التغيير في الطقوس الى رفض الإسلام مثل هذه الممارسات التي تتنافى وقيم الدين ومبادئه بحكم أن المنطقة بعد الفتوحات الإسلامية قد تغيرت فيها الكثير من السلوكيات³، بل بعد ظهور الإسلام مع الوقت أبطل كل تلك الاحتفالات وتم تعويضها بصلاة الاستسقاء التي يؤديها المسلمون في الساحات العامة لطلب الغيث ونزول المطر⁴.

الخاتمة

وحسب ما تم تناوله في البحث عن الموضوع نخلص بمايلي: جسدت أسطورة انزار العلاقات الاجتماعية التي انبثقت من العلاقات الروحية و العاطفية بين أفراد المجتمع القبائلي البومرداسي.

تعتبر أسطورة انزار المرأة العاكسة للموروث الثقافي الامازيغي الذي عبر عن أهم المعتقدات التي لاتزال راسخة في الذهن بكل ما تحمله من مبادئ متعلقة بطقوس الاستمطار لجلب الخير والنماء للحصول على موسم زراعي.

تبنى أهم طقوس في أسطورة انزار على اختيار فتاة التي ستقدم قربانا للإله المطر وهي حسب المعتقد الامازيغي العروس تيسليت.

إحياء هاته الطقوس بتأديته ما يشبه مسرحية تؤديها الفتيات في موسم الجفاف لجلب المطر.

استمرار تأدية هاته الطقوس مع تغيرات التي طرأت عليها في ظل الفتح الإسلامي للمنطقة .

1 شهيرة بوخونوف، 2012/2011، اساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع في منطقة خراطمة(مقاربة اثنولوجية)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأداب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص89.

2 المرجع نفسه، ص89

3 سالم بن لباد، سوسيولوجية الاسطورة...، المرجع السابق، ص6.

4 محمد الصغير غانم، 2011، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج4، دار الهدى، عين المليلة، ص355.

تم مع مرور الزمن ومع ترسيخ المبادئ الإسلامية في المنطقة استبدال هاته الطقوس بصلاة الاستسقاء لكن لا يعني ذلك زوال كلي لهاته الأساطير والطقوس المحفوظة في ذاكرة الموروث الشعبي للمنطقة.

قائمة البيبليوغرافيا

- 1- سورة الانبياء، الاية 30.
- 2- سورة الفجر، الاية 19، 20.
- 3- سورة فاطر، الاية 32.
- 4- الينهارت، 1994، الآلهة والابطال في اليونان القديمة، تر: هاشم حمادي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا.
- 5- ابراهيم بن عرفة، 2018/2019، الممارسات الطقوسية والاحتفالية وعلاقتها بالنشاط الفلاحي دراسة انثروبولوجية في منطقة بئر الذهب ولاية تبسة، الجزائر، اطروحة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة علي لونييسي، البليدة.
- 6- ابن المنظور، 2003، لسان العرب، ج.1، دار صادر، ط.3.
- 7- احمد الفرجاوي، 1993، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجت، المعهد الوطني للتراث، تونس.
- 8- امال ماي، 2021، استدعاء طقس الاستسقاء«تلاغنجا» «عروس المطر» في ديوان طاسيليا، مجلة النص، مج.7، ع.1.
- 9- الامين محمود، 1958، اشعار سومر، مجلة بغداد، ع.8.
- 10- ايت اومغامر سمير، (د.ت)، المعبودات المائية في المغرب بين العصر القديم والزمن الراهن، مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
- 11- جيلالي هناني، 2021/6/5، الممارسات الدينية والطقوسية لطرق الاستمطار ببلاد المغرب الاوسط خلال العهد الزياني(ق7-10/13-16م)، مجلة الانثروبولوجية الاديان، مج.17، ع.2.
- 12- خزعل الماجدي، 1992، متون سومر، بيروت، لبنان.
- 13- دليمة مسدوي، 2019، مقومات العرض السياحي في ولاية بومرداس والسبل الممكنة للاستثمار فيها، مجلة ابعاد اقتصادية، مج. ع.2.
- 14- رشيد الناضوري، 1981، المغرب الكبير، ج.1، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت.

- 15- سالم بن لباد، 2016، سوسيولوجية الاسطورة الامازيغية في الجزائر» انزار طقس الاستمطار انموذجا»، مجلة علم، مج.1، ع.2.
- 16- سالم بن لباد، 2017، رمز المرأة في الاسطورة الامازيغية الجزائرية اسطورة انزار انموذجا، مجلة معارف، مج.12، ع.22.
- 17- شهيرة بوخنوف، 2012/2011، اساطير وطقوس الاستسقاء واستقبال الربيع في منطقة خراطمة(مقاربة اثنولوجية)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأداب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.
- 18- عبد الرحمان خلفة، 2008/2007، الديانة الوثنية المغاربية القديمة(منذ النشأة الى سقوط قرطاجة 146ق.م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة.
- 19- عبد المالك نافجة، 2018/2017، عادات وطقوس الزواج مقارنة انثروبولوجية للمجتمع المحلي بالشريعة، اطروحة لنيل شهادة دكتوراه في علم الاجتماع الأنثروبولوجيا، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.
- 20- فائزة اسعد، 2012/2011، العادات الاجتماعية والتقاليد في الوسط الحضري بين التقليد والحداثة مقارنة سوسيوأنثروبولوجية لعادات الزواج والختان مدينتي وهران وندرومة انموذجا، اطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع، جامعة وهران.
- 21- كارل ارمسترونغ، 2008، تاريخ الاسطورة، تر: وجيه فانصو، ناشرون الدار العربية للعلوم، لبنان.
- 22- محمد الصغير غانم، (د.ت)، بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب القديم، مجلة الحوار الفكري، ع.2.
- 23- محمد الصغير غانم، 2011، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج.4، دار الهدى، عين الملية.
- 24- مرسيا الياد، 1991، مظاهر الاسطورة، تر: نهاد خياط، ط.1، دار كنعان للدراسات، دمشق.
- 25- مصطفى توريرت، زاهية مضوي، سبتمبر 2021، الدور الاقتصادي للمرأة في بلاد المغرب القديم، مجلة العبر للدراسات التاريخية والاثريّة في شمال افريقيا، مج.4، ع.2.
- 26- ميرسيا الياد، 1987، تاريخ الافكار والمعتقدات الدينية، ج.2، تر: عبد الهادي عباس، دار دمشق، سوريا.
- 27- نزار الاندلسي، (د.ت)، المرأة والزراعة في تاريخ شمال افريقيا القديم،

تطوان، المغرب.

28- نضار الاندلسي، 2017، الحياة اليومية للمرأة في المغرب القديم، (د.ن)،

ط.1، المغرب.

- Géné Vois Henri, Unrite D'otention de pluie (La Fiancé des dans Les actes du deuxième congrès international) etude des cultures des La Méditerranée occidentale, Société nationale d'Edition et distribution, Alger.
- Gsell(S), 1916, Texte relatifs a L'histoire de L'Afrique du Nord(Hérodote), Alger, IV, CXXVII.
- Gsell(S), 1927, Histoire ancienne de L'Afrique du Nord, Tome6, Librairie Hachette, Paris.

بومرداس في الأرشيف الجزائري خلال العهد العثماني

1519 - 1830

مقاربة تاريخية اجتماعية

د / ياسين بودريعة - جامعة البويرة

مخبر التاريخ المحلي والذاكرة الجمعية والمقاربات الجديدة

جامعة البويرة

عناصر الموضوع:

مقدمة

1_ الوضعية الإدارية لمنطقة بومرداس خلال العهد العثماني

2_ الوثائق الأرشيفية المتعلقة بالمنطقة خلال العهد العثماني

3_ يوميات البومرداسي بمدينة الجزائر

4_ الحياة اليومية للبومرداسيين بمدينة الجزائر

خاتمة

مقدمة

تعد بومرداس أحد أهم المناطق التاريخية بالجزائر. فقد كان لها حضور في المشهد التاريخي الجزائري في كل الحقب التاريخية. باعتبار أن مجالها الجغرافي هو امتداد للعاصمة التاريخية مدينة الجزائر. و هو ما جعلها تتفاعل مع أغلب الأحداث التاريخية التي شهدتها الجزائر خاصة خلال الفترة العثمانية.

وتوجد ببومرداس مدن تاريخية على غرار دلس، زموري، جنات التي كان للفنيقيين دور في تأسيسها. ثم مع مرور الزمن اشتهرت مدن أخرى خلال العهود التاريخية الموالية. منها الخشنة ويسر في العهد العثماني. وقد أصبحت بومرداس تعرف بالصخر الأسود بعد الاحتلال الفرنسي.

لقد تم رصد العديد من الكتابات حول بومرداس بمختلف مناطقها. خلال مختلف مراحلها التاريخية. وذلك للاعتبارات السالفة الذكر. مما يجعلها مجالاً خصباً للبحث التاريخي. وعلى هذا الأساس أردنا الوقوف على الوثائق الأرشيفية التي تخص بومرداس خلال العهد العثماني

إن تناول تاريخ بومرداس جعلنا أمام إشكالية مريكة تتعلق بالشخصية التاريخية للمنطقة فهي امتداد للمجال الجغرافي لمنطقتين كبيرتين. مدينة الجزائر عاصمة البلاد من جهة. ومنطقة القبائل بثقلها التاريخي من جهة أخرى. ما جعل تاريخ بومرداس يكتب كجزء من تاريخ المنطقتين المذكورتين وعليه فالتساؤل الذي يطرح هنا هل بإمكان الوثائق الأرشيفية أن تسهم في كتابة التاريخ المحلي لبومرداس أو هل بإمكانها تكوين شخصية تاريخية للمنطقة.

أهدف من خلال هذه المداخلة إلى الوقوف على بعض النصوص التاريخية التي تخص بومرداس بغية تحقيق هدفين على الأقل

أولهما محاولة تسليط الضوء على المنطقة من خلال التعريف بالأرشيف المتعلق ببومرداس خلال العهد العثماني من خلال التعريف بالأرصدة وأماكن تواجده

ثانيهما تحليل المعطيات التي وردت في تلك الوثائق و إبراز أهميتها في التأريخ للمنطقة.

1_ الوضعية الإدارية لبومرداس خلال العهد العثماني:

سجلت منطقة بومرداس حضورها في المشهد التاريخي خلال العهد العثماني. يظهر ذلك من خلال اتخاذ أحد مدنها عاصمة للجهة الشرقية للأملاك التابعة لعروج. وقد وقع الاختيار على مدينة دلس عام 1516م. وقد استمر ذلك إلى غاية 1565م عندما تغير الوضع وتم تحديد مدينة قسنطينة عاصمة لبايلك الشرق الجزائري¹.

أصبحت بومرداس بموجب التقسيم الإداري الجديد تابعة لدار السلطان. وقد وجدت بها وحدات إدارية تسمى بالأوطان وتنطق بالوطن (سكون الواو). وهي المناطق المحيطة بالفحوص. وإطارها الجغرافي المناطق السهلية المعروفة بالمتيجة. عددهم سبعة من بينهم وطني الخشنة، يسر التابعين لبومرداس الحالية².

يشرف على الأوطان موظف سامي معروف بأغا العرب. فهو الذي يقوم بتعيين قائد (القايد بتفخيم القاف) الوطن بحيث يلبسه الخلعة المتمثلة في البرنوس³. من أجل إضفاء الشرعية على هذا التعيين. وعادة ما يكون هذا القائد من خارج القبائل التي تنتمي للوطن. من أجل تفاعلي الحساسيات والصراعات حول القيادة⁴. ويتم تسليم وظيفة القايد بالالتزام بحيث يتم دفع جزء مما ينتجه الوطن. مواد فلاحية وغيرها دوريا إلى خزينة الدولة. كما أن قايد الوطن يلتزم بتوفير الجنود الصبايحية لصالح الجيش الجزائري⁵.

يقع وطن الخشنة شرق مدينة الجزائر ابتداء من الضفة الشرقية لوادي الحراش. ليصل إلى غاية وادي يسر في الشرق. و يحده شمالا البحر المتوسط إلى

1- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر، 1964، ص 65.

2- سعاد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519، 1830)، دار السلطان أموجا، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة وهران، السنة الجامعية-2013-2014، ص 19.

3- أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب الأشراف، تحقيق أحمد توفيق المدني، الطبعة الثانية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص 48.

4- حرفوش عمر، الإدارة الجزائرية في العهد العثماني «الإدارة المركزية نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2009، ص 115.

5- أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص 49.

غاية جبال الأطلس جنوبا¹. نجد فيه خشنة السهل (هراوة، أولاد هداج، المرجة، أولاد بسام، أولاد ساعد....) وخشنة الجبل (بني عيشة، بني عمران، دبارة، بوتقوية، بني خليفة....² أما وطن يسر فيحده شمالا البحر المتوسط، وجنوبا حمزة، وشرقا سيباو، وغربا واد قورصو الذي يفصله عن وطن الخشنة يضم الدروج، يسر الجديان، يسر الغربي، يسر أولاد سمير وغيرها³.

كما وجدت بدار السلطان وحدات إدارية و عسكرية بالأوطان. كالتقادات والأبراج العسكرية. ويبدو أن الحكام قاموا باقتطاع بعض المناطق من البايلكات وقاموا بضمها بشكل مباشر للمناطق التابعة لدار السلطان. وقد تأسست هذه القيادات في أزمنة مختلفة. وكان يعين على رأسها قائد تركي⁴. بحيث يلتزم قادة تلك القيادات بالدنوش دوريا من أجل دعم الخزينة العامة.

وقد كان لبومرداس حظ من هذه الوحدات حيث تم تأسيس قيادة سيباو بعد ضم قبائل يسر والخشنة⁵. وعلى حسب ما يفهم من بعض الدراسات أن مركز القيادة هو برج سيباو وهو البرج الذي تم الانطلاق في بناءه ابتداء من عام 1679م، وكان علي خوجة منشأ البرج هو أول قائد لهذا البرج. ويقع عند سفح جبل ذراع الكروش على الحافة الشمالية لنهر سيباو وعلى بعد ثلاث كيلومتر من تادميات⁶.

وفيما يخص الحدود الإدارية للقيادة فهي تقع شرق دار السلطان و غرب بايلك الشرق وإلى الشمال من بايلك التيطري⁷. وكان يتم تعيين قائد سيباو من قبل أغا العرب ويدفع الدنوش كل ثلاث سنوات على غرار البايات الثلاث⁸. وتمثلت

1 - سعاد عقاد، مرجع سبق ذكره، ص 20.

2 - صالح عباد، مرجع سبق ذكره، ص 29.

3 - سعاد عقاد، مرجع سبق ذكره، ص 19.

4 - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1830-1514، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004 ص 291.

5 - Aucapitaine (Le Baron Henri) Et Federmann.H, Notices Sur L'histoire Et 5 L'administration Du Beylik De Titeri, In Revue Africaine, Volume N9, Année 1865, P238.

6 - ناصر الدين سعيدوني، الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد العشرون، أوت 2004، ص 204.

7 - حرفوش عمر، مرجع سبق ذكره، ص 43.

8 - نسيم حسبلاوي، محطات في تاريخ بومرداس، نواصري للطباعة والنشر، المسيلة، الجزائر، 2020، ص 62.

دفعاته ما تنتجه منطقة القبائل من زيت الزيتون، التين المجفف وغيرها¹.

2- الوثائق الأرشيفية المتعلقة ببومرداس خلال العهد العثماني:

2.1- عقود المحاكم الشرعية:

تعد وثائق المحاكم الشرعية من أهم أرصدة مؤسسة الأرشيف الوطني. وهي عبارة عن لفافات يختلف حجمها - طول أو عرض - من واحدة إلى أخرى حسب نوعية القضية المسجلة فيها، وكذا حسب عدد العقود الموجودة بها. لأن بعض اللفافات عبارة عن عدة عقود ملصقة ببعضها. ويبلغ عددها في حدود 13583 وثيقة². ويبدو أن هذا الرقم قد يتضاعف إلى بضع آلاف أخرى في حال اعتبار كل عقد على أنه وثيقة³.

وزعت هذه اللفافات في مائة وأربعة وخمسون (154) علبة⁴. وقد تم حفظها بشكل يناسب العلب⁵. ويختلف عدد الوثائق داخل العلب من واحدة إلى أخرى. كتبت معظم وثائق هذا الرصيد باللغة العربية، على أنه توجد بعض الوثائق مكتوبة باللغة العثمانية وأخرى مكتوبة باللغة الفرنسية. بحكم أن عمل المحاكم الشرعية توصل بعد الاحتلال الفرنسي.

لم تخضع تلك العقود إلى أي تصنيف لا موضوعي، لا مكاني ولا كرونولوجي، لذا فالباحث في موضوع معين عليه القيام بعملية قراءة كل وثائق المحاكم الشرعية. من أجل حصرو الإحاطة بذلك الموضوع. ونشير أيضا أن هذه الوثائق تغطي تقريبا كل الفترة العثمانية. مع وجود فارق في عدد الوثائق لكل مرحلة. فعددها يزيد كلما اقتربنا من نهاية العهد العثماني⁶.

1- نسيم حسبلاوي. برج منايل عبر التاريخ من الممالك النوميديّة إلى الجمهورية الجزائرية من القرن 3 ق.م إلى 2010، مطبعة أنوان أوفيس، الجزائر، 2010، ص 43.

2 - تكور، فضيلة. «رصيد الفترة العثمانية من وثائق الأوقاف بالأرشيف الوطني الجزائري»، دراسات إنسانية، عدد خاص بأعمال ندوة الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر و التاسع عشر، جامعة الجزائر، 2002، ص 70.

3 - خليفة حماش، مرجع سبق ذكره، ص 08.

4 - شهاب الدين بن يلس، مرجع سبق ذكره، ص 07.

5 - المقصود أنها حفظت بشكل مطوي يناسب العلب.

6 - عائشة غطاس، حول الوثائق المتعلقة بأوقاف الحرمين الشريفين بمدينة الجزائر، دراسات إنسانية، عدد خاص بأعمال ندوة الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر و التاسع عشر، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص 142.

هذا الرصيد في عمومها عبارة عن عقود صدرت عن المحاكم الشرعية بمدينة الجزائر وبعض المدن القريبة منها، على غرار شرشال، مليانة، المدينة، البلدية. وفيما يخص بومرداس فإننا نجد عقودا تخص وطني الخشنة و يسر. ومناطق أخرى مثل زموري، أولاد موسى. كما سجلنا في بعض العقود معاملات أحد أطرافها أشخاص من بومرداس كالزموري، واليسري، وغيرهم.

وهي تعكس الدور والصلاحيات التي كان يتمتع بها القاضي في تلك المدن والمناطق خلال الفترة العثمانية. فهو المكلف والمشرف على عقود الزواج، الطلاق، البيع، الوقف، العتق، الهبة، الوصية، وغيرها من المعاملات الاجتماعية، ومختلف الأنشطة الاقتصادية¹.

إن الدارس للفترة العثمانية ببومرداس، عليه استغلال المعطيات الموجودة في هذه النوعية من الوثائق. ورغم قلتها إلا أنها توفر لنا معطيات جد مهمة تخص مختلف النواحي الاجتماعية و الاقتصادية. و لا يمكن لأي باحث في الفترة العثمانية بالجزائر عموما وبومرداس خصوصا الاستغناء عنها في معالجة أبحاثه².

ويكفي للتعرف على الوثائق التي تخص بومرداس، ملاحظة نسب الشخص المذكور في تلك الوثيقة إلى إحدى المناطق التابعة لبومرداس، على غرار زموري، الخشنة، يسر، دلس، سيباو، برج منايل وغيرهم، أو ذكر المنطقة على أساس أنها مكان الحدث المسجل في تلك الوثيقة. ويمكن الإشارة هنا إلى تلك المراسلات بين قادة الأبراج الموجودة ببومرداس والموظفين السامين بمدينة الجزائر³.

2-2 دفاتر التركات:

- 1 - غطاس، عائشة. «سجلات المحاكم الشرعية و أهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر - العهد العثماني»، إنسانيات، عدد 3، 1997، ص 71.
 - 2 - حول أهمية وثائق المحاكم الشرعية في كتابة التاريخ للفترة العثمانية، أنظر: الساحلي، خليل أوغلي. «سجلات المحاكم الشرعية كمصدر فريد للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي»، م.ت.م، عدد 1، 1974.
 - 3 - من الأمثلة على ذلك الرسالة التي بعثها مصطفى صفة نائب عمالة سيباو إلى إبراهيم وكيل الحرج يخبره فيها بأنه أرسل عوائد شهر رمضان إلى وكيل الحرج وتمثل في ثلاثين شمعة وثلاث قبل زيتا وقلعة واحدة. ينظر:
- حماش خليفة، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنية الجزائرية والتونسية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة 2012. ص 44.

تعد دفاتر التركات الصادرة عن مؤسسة بيت المال أحد الأرصدة الأرشيفية للمؤسسة وهي تتضمن معطيات حول الشخص المتوفى وممتلكاته بأدق تفاصيلها وتتميز بكونها وافية ودقيقة في ذكر وجرد محتويات التركة المخلفة أو الغائب إذ تعرضها بدقائقها من أواني، لباس فراش، ومصاغ وكمثال عن اللباس فإننا نجد القمجة، السروال، البدعية، الغليلة وغيرها¹، هذه المعطيات تعطينا نظرة عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي السائد بالمناطق التي أتت على ذكرها وقتئذ².

تمتاز دفاتر التركات الصادرة عن مؤسسة بيت المال بمدينة الجزائر بكونها مكتوبة باللغة العربية ونجد بعض الكلمات التركبية وحتى الدارجة كون الكثير من المخلفات لها تسميات من غير العربية وتكتب هاته المخلفات في سجلات مما يجعلها متتابعة كرونولوجيا³، وعادة ما نجد أن بداية السجل الخاص بالتركات يبدأ بالتعريف بالدفتر ويشير إلى أنه يخص حفظ تركات أشخاص من غير وارث أو غائبين أو أسرى وغير ذلك ثم بعدها يشير إلى متولى مؤسسة بيت المال.

ومن أجل التوضيح نورد ما جاء في بداية السجل رقم 2 حيث جاء على هذا النحو: "بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه هدى دفتر مبارك ميمون قيد بحول من يقول للشيء كن فيكون لحفظ متروك من مات من الجزائر من غير وارث أو غاب أو أسر وغير ذلك في مدة المعظم المحترم السيد الحاج علي ابن رمضان التركي الناظر وقت تاريخه على شغل الموارد المخزنية في أوائل قعدة الحرام من عام 1200"⁴

ونجد تركة كل شخص على حدة بحيث تكون مرتبة على شكل مستطيل بشكل أفقي وتبدأ التركة بمعلومات شخصية حول المتوفى مثل الإسم

1 عائشة غطاس، الحرف والحرفيون...، مرجع سبق ذكره، ص 13.

LARGUECHE ABDELHAMID, les ombre de la ville, pauvre, marginaux et-2 minoritaires a Tunis (XVIII et XIX éme siècle), centre de publication universitaire, 2002.p85

3 هي عكس عقود المحاكم الشرعية التي كتبت في أوراق منفصلة عن بعضها البعض مما جعلها غير مرتبة كرونولوجيا.

4 بيت المال، سجل رقم 2، ورقة رقم 1.

و المهنة و السكن و الورثة و في بعض الأحيان نجد معلومات أخرى من مثل العيوب المتعلقة بالشخص المتوفي كالعَمى أو نجد كذلك سبب الوفاة مثل القتل أو الغرق في البحر و غيرها، فالمعلومات الشخصية تختلف من شخص إلى آخر، و فيما يخص التاريخ فكل التركات يكون تاريخها بالشهر و السنة فقط مع الإشارة إلى أوائل أواسط أو أواخر الشهر دون ذكر اليوم، وهذا التاريخ يخص تصفية التركة و هو في العموم لا يتعدى الشهر منذ وفاة الشخص¹.

بعد ذلك يتم التفصيل في حيثيات ما تركه المتوفي بحيث يتم تسجيل الثمن على اليمين وهو بالريال دراهم صغار و على يساره نوعية المتروك المقابلة لهذا المبلغ و في الأخير نجد المجموع أي المبلغ المالي المقابل للتركة و هو نظريا يمثل ثروة المتوفي، و الملاحظ أن ترتيب التركات لا يراعى فيه أي تصنيف فقد تجد مادة غذائية بعدها أثاث بعدها أواني منزلية بعدها مادة غذائية مرة أخرى. و عندما تكون التركة كبيرة قد تكتب في عدة ورقات فكان الكاتب يستعمل كلمة تتمة بدل إعادة كتابة كل تفاصيل عن صاحب التركة².

وقد قمنا بحصر تركات 20 شخصا من بومرداس في الفترة ما بين 1785-1800م. منهم حميدة الزموري الذي جاء التعريف به على هذا النحو "مخلفات ولد سي عبد القادر الزموري من عند عين الشيخ حسين أوائل رجب من عام 1201³، و منهم الشريف الدلسي الذي جاء التعريف به على النحو "مخلفات الشريف الدلسي المتوفي عن زوجه وبيت المال جيء بها من حوانيت..... أوائل ربيع الثاني من عام 1205⁴، علي الجناتي و الذي يبدو أنه من جنات وقد جاء ذكره لى هذا النحو "متروك علي الجناتي جيء بها من وطن الخشنة بتاريخ أواسط ربيع بل جمادى الأولى عام 1208⁵. وغيرهم.

1- عائشة غطاس، الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اجتماعية اقتصادية، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث، الج الأول، جامعة الجزائر، 2001، 2000، ص(ظ).

2- ياسين بودريعة، الثروة و الفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني(1800-1785م) دراسة اقتصادية و مقارنة اجتماعية من خلال دفاتر المخلفات، أطروحة لنيل دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2017-2016، ص30.

3- سجلات بيت المال، دفتر 02، ورقة 10.

4- سجلات بيت المال، دفتر 02، ورقة 326.

5- سجلات بيت المال و البايلك، دفتر 19، ورقة 37.

2-3 وثائق المراسلات:

تعد المكتبة الوطنية إحدى المؤسسات الثقافية التي تضم في مخازنها مجموعة وثائق أرشيفية موزعة على مجموعات ولكل مجموعة رقم محدد.

والمميز في الوثائق الأرشيفية الموجودة بالمكتبة الوطنية أنها مرتبة على حسب ترتيب المخطوطات كون هذه الوثائق عوملت على أساس أنها مخطوطات لذلك نجد أن أول مجموعة مرتبة بالرقم 1641 ويأتي هذا الترتيب بعد المخطوط المعنون بتتبر السبوك في جهاد غزاة الجزائر والملوك¹.

أما المجموعة الثانية فتأتي مباشرة بعدها بالرقم 1642، هاتان المجموعتان هما مفهرستان في كتاب إدموند فانيان (Edmond Fagnon) الذي قام بفهرسة المخطوطات الموجودة بالمكتبة الوطنية ووضعها في كتاب بعنوان: Catalogue général des manuscrit de la bibliothèque nationale d'Algérie هذا الكتاب يحتوي على فهرسة ل 1987 مخطوط².

قام الباحث خليفة حماش بعمل كبير تمثل في فهرسة شاملة لوثائق المكتبة الوطنية في كتاب بعنوان كشاف وثنائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية حيث قام بتحليل محتوى كل وثيقة على حدى. الأمر الذي أدى إلى تسهيل عمل الباحثين من معرفة المواضيع التي شملتها وثائق المكتبة الوطنية، وكذا المكتبة الوطنية التونسية، وبلغ عددها 1642 وثيقة³.

يوجد في مخازن المكتبة الوطنية عددا من هذه الوثائق يخص منطقة بومرداس. منها الوثائق 22، 31، 32، 40، 61، 67 من المجموعة⁴ 1903. والوثائق 19، 23، 25، 26، 41 من المجموعة⁵ 2316. ونجد بين أسطر هذه الوثائق معلومات حول وقائع جرت ببومرداس أو وقائع شارك فيها أشخاص من بومرداس. وسنقوم بتحليل

1 - وهو كتاب مخطوط باللغة التركية لصاحبه مصطفى بن حسان يتكلم عن غزو الأسان للجزائر عام 1198 هـ/1785م.

2 - Fagnan.E, Catalogue général des manuscrits de la bibliothèque national d'Algérie 2 (première tranche : de n Lau n 1987), Bibliothèque Nationale D'Algérie, 1995,

3 - حماش خليفة، مرجع سبق ذكره، ص 12.

4 - نفسه، صص 40-47.

5 - نفسه، صص 48-53.

معطيات بعض منها بالتفصيل في العنصر المخصص لذلك.

3- يوميات البومرداسي بمدينة الجزائر:

1-3 هبة وبيع بحيرة بدلس:

سجلنا بعض العقود التي تخص بعض مناطق بومرداس. والمفارقة أننا عثرنا على عقد يعود إلى ما قبل العهد العثماني بالجزائر. وهذا يعد أقدم يتم العثور عليه إلى حد الآن¹. وهو مؤرخ في في 01 محرم 11/هـ 1514م أي 1508م. حيث أن هذا العقد تمزق واندثر وتم إعادة كتابته في أواخر رجب من عام 103/هـ 1662م. وقد تم الإشارة إلى ذلك في بداية الوثيقة على هذا النحو "الحمد لله هذا نسخة رسم واحد ينقل هنا للحاجة إليه والتوثيق به لتمزقه واندثار أصله نصه بعد سطر افتتاحه بعد..."³.

والوثيقة عبارة عن عقد هبة وبيع لبحيرة من قبل علي بن وارث لصالح أبو عبد الله ابن جابر بن علي بثمان قدره خمسة وعشرون دينار فضية دراهم والبحيرة كانت في الأصل ملكية لأختي البائع قامت بمنحة البحيرة على شكل هبة. والبحيرة تقع في خارج قرية دلس وهي معروفة بذب الثعلب.

فقد ورثت الأختان حمودة وكلية تلك البحيرة عن أبيهما وارث ابن مامي. فقامتا بوهبها لأخيها علي بن وارث. وقد كان في البحيرة المذكورة أشجار تين وكذا كان لها حق في ماء. ثم قام الموهوب ببيع تلك البحيرة بمبلغ 25 دينار فضية دراهم. لصالح ابن محمد عبد الله ابن جابر.

2-3 حكم قضائي لصالح دلسية تسترجع بموجبه دارها بدلس:

باعت فاطمة بنت علي دارها الموجودة بقرية دلس إلى السيد إسماعيل يولداش التركي بثمان قدره 190 ريال. قبضت منه 60 ريالاً. وقد سجل كل ذلك أمام قاضي الملكية بمدينة الجزائر. وبعدها توفي المتباع السيد إسماعيل عن

1- أشارت العديد من الأبحاث على أن أقدم العقود في رصيد المحاكم الشرعية إلى حدود عام 1525م.
2- يعد هذا العقود من أقدم وثائق المحكمة الشرعية فهو يعود على ما قبل انضواء الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية

3- مركز أرشيف أكس بروفانس بفرنسا، ميكروفيلم 7 Imi أنظر الملحق رقم 01.

وريث وحيد إسمه مصطفى. حيث طالبت السيد فاطمة من الوريث المذكور ما تبقى على ذمة والده من ثمن شراء الدار المذكورة. لكن مصطفى عجز عن تأدية الدين المترتب على والده.

حيث لم يجد من أين يحصل على الأموال التي تفي بهذا الغرض. على هذا الأساس قام بالتنازل عن الدار والمبلغ الذي دفعه والده في مقابل تلك الدار. وقد وافقت فاطمة بنت علي على هذا العرض. وبالتالي استرجعت دارها وأصبحت من جملة أملاكها. وقد تم كتابة هذا التنازل في أواخر ربيع الأول عام 1623م¹.

وقد جاء التنازل في العقد على هذا النحو “..وطلبت الولية فاطمة المذكورة من العاصب مصطفى المذكور أن يوذي لها جميع ما بقي لها بذمة والده المسطور في الدار المذكورة فعجز الابن المسطور عن ذلك عجزا كليا ولم يجد من أين يوذي العدد الباقي المسطور فرغبها بأن يسلم لها في العدد الذي قبضته من والده يوم البيع وتأخذ دارها فارتغبت لذلك ثم أشهد الشاب مصطفى المذكور أمام الشيخ القاضي أسعده الله تعالى شهيديه على نفسه أنه سلم لها في العدد الذي قبضته من والده وفي الدار المذكورة التسليم الشامل العام قبلت ذلك منه ورضيت به....”².

3-3 بيع موضع بوطن الخشنة:

حصلنا على عملية بيع موضع في وطن الخشنة. مسجلة في أحد عقود المحاكم الشرعية. ويبدو أنه عبارة عن أرض تقع بوطن الخشنة معروفة بالدهسة هي على ملك لبيت المال. لصالح علي بن محي الدين وأخيه السيد عبد الكريم بن محي الدين بثمن 250 ريال. وقد قبض المبلغ المذكور السيد خليل ناظربيت المال.

تظهر أهمية هذا العقد من خلال ما ورد فيه من معطيات. فبغض النظر عن المعاملة المتمثلة في عملية البيع التي وقعت في إحدى مناطق بومرداس. فإنه وردت في العقد بعض المناطق بولاية بومرداس عند ذكر حدود ذلك الموضع على غرار وادي قدارة وقد ورد ذلك في الوثيقة على هذا النحو “.... يحده من جهة الأعلى الخربة التي بإزاء غار الضريان هابطا على خط السواء إلى الوادي المعروف بواد قدارة مارا مع الوادي المذكور إلى العناصر من ناحية الجوف والعناصر المذكورة داخله...”³.

1- مركز أرشيف أكس بروفانس بفرنسا، ميكروفيلم 71mi.

2- مركز أرشيف أكس بروفانس بفرنسا، ميكروفيلم 1m7.

3- م.ش.ع 142-143 و 63.

4-3 نزاع حول مسألة زواج بدلس:

سجلنا في إحدى الوثائق قضية مثيرة تتعلق بمسألة نزاع حول زواج. فقد أرسل يحيى آغا¹ إلى إبراهيم وكيل الحرج يوضح له فيها أن قضية النزاع بين محمد الجبروني الدلسي و عمر بن الوئيس حول قضية زواج². قد تم الحكم فيها في دلس بحضور علمائها وحكموا بصحة زواج عمر بن الوئيس من ابنة خصمه محمد الجبروني الدلسي.

إذ كتبوا له في ذلك عقدا تم تسجيل فيه وقائع النزاع. فقد خاطب يحيى آغا وكيل الحرج إبراهيم على هذا النحو "و كما تعلم اخونا أن هاذه(هذه) أي هؤلاء الخصمين المذكورين قدموا لبلاد التدلس و حضر علماء الدلس وعقدوا لهام مجلسا وادعي كل واحد حجته فظهر لهم العلماء رضي الله عنهم أن الحق ثابت لعمر بن الوئيس وحكموا له بصحة التزويج...."³

ويجب التنويه أنه وردت العديد من المعطيات في هذه المراسلة. وهي معطيات لها أهمية كبيرة في معرفة طرق معالجة القضايا الاجتماعية المتعلقة بالمناطق المحيطة بمدينة الجزائر و منها التابعة لبومرداس الحالية. و فيما يلي عرض لبعض ما تم استنتاجه من خلال هذه المراسلة.

- أن محمد الجبروني الدلسي عمل كل ما في وسعه حتى يبطل زواج ابنته من عمر ابن الوئيس. حيث طرق كل الأبواب بدءا من الداى.

- أحال الداى القضية على يحيى آغا العرب حيث أرسل الخصمين رفقة وكيل الحرج⁴ إلى يحيى آغا. الذي كان أصدر قرارا بحل القضية في دلس وفق الشريعة الإسلامية. وذلك بسبب وجود الشهود هناك. وقد أرسل معهما أحد الصبايحية

1 - يحيى أحد أشهر ممن تولوا منصب آغا العرب و هو منصب سامي له صلاحيات عسكرية و مدنية. تولى المنصب عام 1818، وبقى فيه إلى غاية 1828 أين تم عزله ثم اغتياله بأمر من الداى حسين. للمزيد حول هذه الشخصية ينظر:

ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني. البصائر للنشر و التوزيع، باب الزوار، الجزائر، 2014، صص 367-361.

2 - حماش خليفة، مرجع سبق ذكره، ص 46.

3 - وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة 1903، الوثيقة رقم 66. ينظر الملحق رقم 03.

4 - يبدو أن القضية وقعت في عهد وكيل حرج آخر غير إبراهيم الذي هو الطرف الذي أرسلت له هذه المراسلة.

واسمه بوحلوان من أجل الوقوف على الحكم.

- لم يرض محمد الجبروني و أراد مقابلة يحيى آغا ثانية في يوم الغد. فعاقبه بوحلوان الصبا يحيى و ضربه بالسوط. وقد غضب الداى من تصرف الصبا يحيى.

- في الأخير تم حل القضية في دلس بحضور العلماء و كتبوا رسما وتم إرساله إلى الداى الذي قام بدوره بتسليمه إلى العلماء بمدينة الجزائر وبهذا انتهى هذا النزاع.

و نشير إلى أن هذه الرسالة مؤرخة في أوائل محرم من عام 1243/1827م^١.

4- حياة البومرداسيين اليومية بمدينة الجزائر:

1-4 أماكن الإقامة:

عاش أهل مدينة بومرداس بمدينة الجزائر كغيرهم من السكان من مناطق أخرى. وقد تم تسجيل عدة أشخاص نسبة إلى المنطقة التي جاؤا منها على غرار الزموري، اليسري، الخشني، الدلسي... وقد شكل البومرداسيون نسبة معتبرة من السكان الوافدين المدينة. المعروفين إداريا بالبرانية. وقد حصلنا على معلومات جد مهمة حول جانب من حياة البومرداسيين بمدينة الجزائر. من خلال المخلفات التي تركوها و التي سجلت بدفاتر التركات الصادرة عن مؤسسة بيت المال^٢.

ففي الفترة ما بين 1785 و 1800م حصلنا على 21 تركة تخص أشخاص من بومرداس . و هذا يعني أنهم كانوا في المرتبة الثالثة من حيث الحضور في المشهد اليومي بمدينة الجزائر بعد الجواجلة و القبائل^٣. وقد كان حميدة ولد سي عبد القادر الزموري أهم شخصية تم رصدها في العينة التي بين أيدينا باعتبار حجم

1 -وثائق المكتبة الوطنية، المجموعة رقم 1903، الوثيقة رقم 66.

2 - ظهرت مؤسسة بيت المال منذ العهد الأول للتواجد العثماني بالجزائر وقد حددت غطاس فترة ظهور هذه المؤسسة في الفترة السابقة لعام 1563. و يرأسها موظف يدعى بيت المالجي و هو أحد أهم إطارات الدولة يعاونه قاض وموثقان وكاتب ضبط و هو مكلف بإدارة أملاك المتوفين الذين لا وارث لهم و في هذه الحالة تستفيد الدولة من تركته كما يقوم بحفظ الودائع و تسيير أملاك الغائبين و التصرف فيها في حال عدم رجوع أصحابها و ذلك بتسليمها للورثة أو ببيعها في المزاد العلني و كرائها في حالة عدم وجود الورثة، مع الإشراف على الأملاك المصادرة من طرف الدولة. ينظر:

- سعيدوني، ناصر الدين، وراقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني. د.غ.إ. بيروت 2000. ص 222.

- غطاس، عائشة، الحرف و الحرفيون...، ص 79.

3 ياسين بودريعة، مرجع سبق ذكره، ص ص 60-62.

التركة الكبير التي خلفها. وقد تم التعريف به على هذا النحو“ مخلفات ولد سي الحاج عبد القادر الزموري من عند عين الشيخ حسين أو ايل رجب من عام 1201“¹.

وقد توزعت تركتات البومرداسيين في العديد من نواحي مدينة الجزائر على غرار تركتة أحمد الزموري المتوفي عام 1788م من باب عزون²، ومصطفى الزموري المتوفي عام 1796م من سيدي رمضان³. وأخرى لشخص من شخص من دلس متوفي عام 1797م من حوانت سيدي عبد الله⁴.

والمفارقة أنه تم جلب تركتات بعض المتوفين من مقر إقامتهم في بومرداس. على غرار العربي ابن الأطرش. الذي توفي بوطن الخشنة عام 1793م. حيث تم نقل تركته إلى مدينة الجزائر أين تم تصفيته في مؤسسة بيت المال على يد بيت المالجي. وقد تم ذكره على هذا النحو“مخلفات العربي ابن الأطرش التي جيء بها من وطن الخشنة بتاريخ أواسط ذي القعدة عام 1207“⁵.

و الأمر نفسه ينطبق في حق علي الجناتي الذي تم نقل تركته من وطن الخشنة إلى مؤسسة بيت المال بمدينة الجزائر. وقد حدث ذلك في عام 1793م. وقد تم ذكره على هذا النحو“ متروك علي الجناتي جيء بها من وطن الخشنة بتاريخ أواسط ربيع بل جمادى الأولى عام 1208“⁶.

ويجب أن نشير إلى وجود تركتات لنساء من بومرداس على غرار العجوز دلسية من جامع البلاط و المتوفية عام 1788م⁷، و فاطمة الزمورية من سوق الكتان المتوفية عام 1791م⁸. و زوجة ابن الأطرش المذكور آنفا من وطن الخشنة المتوفية في عام 1793م ونسجل أن وفاتها كان بعد حوالي شهر من وفاة زوجها⁹. وقد كان الزموريين الأكثر حضورا في العينة التي بين أيدينا فقد بلغ عددهم ثمانية أشخاص بينما جاء الدلسيون في المرتبة الثانية.

1- سجلات بيت المال، الدفتر رقم 02، ورقة رقم 10.

2- سجلات بيت المال، الدفتر رقم 02، ورقة رقم 214.

3- سجلات بيت المال والبايلك، دفتر رقم 19، ورقة رقم 129.

4- سجلات بيت المال والبايلك، الدفتر رقم 21، ورقة رقم 33.

5- سجلات بيت المال والبايلك، الدفتر رقم 19، ورقة رقم 25.

6- سجلات بيت المال والبايلك، الدفتر رقم 19، ورقة رقم 37.

7- سجلات بيت المال، دفتر رقم 02، ورقة رقم 228.

8- سجلات بيت المال، دفتر رقم 02، ورقة رقم 359.

9- سجلات بيت المال والبايلك، دفتر رقم 19، ورقة رقم 27.

4-2 الممارسات اليومية:

أهملت دفاتر التركات في معظم الأحيان الإشارة إلى نشاطات أو ممارسات صاحب التركة. ومن المؤسف أنه في العينة التي بين أيدينا لم نحصل على معلومات تخص هذا الجانب. لكن باستقراء التركة وتحليلها يمكن عمل مقارنة حول النشاط الذي مارسه بعض المتوفين فعلي الجناتي كان فلاحا بوطن الخشنة. يظهر ذلك من خلال تحليل التركة التي خلفها والمتمثلة في مبلغ من المال قدره 160 ريالاً وهو يمثل ثمن القمح الذي كان بحوزته، و 90 ريالاً تمثل ثمن جنان وبلاد بوطن الخشنة¹.

و الأمر نفسه ينطبق على ابن لطرش فقد ضمت تركته ما يدل على أنه كان فلاحاً من شعير، حوش، بغلة، وغير ذلك وفيما يلي جدول يخص تركة ابن لطرش تم نقلها من خلال السجل.

جدول رقم (1) مخلفات ابن لطرش من وطن الخشنة المتوفي عام 1793م²

الثلث بالريال	المتروك
1179	ناض
221	شعير
162	قمجة
30	بغلة
39	مزير
27	مهر
27	فرس
5400	ثمن ثلاث أرباع
478	الحوش

1 - سجلات بيت المال والبايلك، الدفتر رقم 19، ورقة رقم 37.

2 - يتم إعداد هذا الجدول من خلال إعادة كتابة تركة ابن لطرش وأشير فقط أن حجم التركة المقدر بـ 7659 ريالاً لا يتوافق حسابياً مع مجموع المبالغ المذكورة في الجدول وسبب ذلك عدم حساب الفواصل في الأثمان المذكورة. ينظر:

دفاتر بيت المال والبايلك، دفتر رقم 19، ورقة رقم 25. ينظر الملحق رقم 02.

40	ثمن رهينة
46	مناب زوجة
7659	المجموع

4-3 حجم الثروة:

تتضمن التركة معطيات تخص حجم التركة ما يجعلنا نقف على حدود الثروة لدى البومرداسيين. وقد حل حميدة ولد سي الحاج عبد القادر الزموري في الرتبة الأولى بتركة بلغ حجمها 11860 ريال¹. بينما حل ابن الأطرش في الرتبة الثانية بتركة بلغ حجمها 7659 ريالاً². وحل رجل من دلس في الرتبة الثالثة بتركة بلغ حجمها 2915 ريالاً³.

وفي المقابل فقد كانت أصغر تركة ترجع لرجل من دلس قدر حجمها ب2 ريال فقط⁴. ما يعبر عن التفاوت الكبير بين أكبر تركة وأدناها.

ومن أجل معرفة وضعية البومرداسيين بين الجماعات الموجودة بمدينة الجزائر قمنا به إجراء حساب متوسط الثروة (La Moyenne de la Richesse) عند كل الجماعات المتواجدة بالمدينة مع استثناء الجماعات التي يقل عدد أفرادها عن خمسة، ومنهم جماعة بني ميزاب التي يبدو أن تصفية تركاتهم لا تخضع لمؤسسة بيت المال⁵.

وهكذا فقد كانت أغنى الجماعات البرانية هي جماعة مليانة بمتوسط تركة تقدر ب 3964.33 ريال، أما ثاني أغنى متوسط تركة فهو يخص جماعة زموري ب 2625.5 ريال ما يعبر عن الحظوة التي كان عليها الزموريين بمدينة الجزائر ثم جماعة شرشال ب 2567.9 ريال⁶. وفيما يلي جدول بقائمة عشرة أثرياء

1 بيت المال، سجل رقم 2، ورقة 10+11.

2 بيت المال والبايلك، سجل رقم 19، ورقة 25.

3 بيت المال والبايلك، سجل 21، ورقة 33.

4 بيت المال والبايلك، سجل 19، ورقة 128.

5 عثرنا على حالة واحدة تخص أحد أفراد جماعة بني ميزاب و حول موضوع بني ميزاب أنظر:

محمد وقاد، دور جماعة بني ميزاب في النهضة والتحول العمراني والاقتصادي بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني 1700.1830 من خلال وثائق الأرشيف الوطني والوثائق المحلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2010، 2011.

6 ياسين بودريعة، مرجع سبق ذكره، ص 67.

جماعة البرانية مرتبة من أعلى مجموع تركة وهذا ما بين (1785-1800 م).

جدول رقم(2) كبار أثرياء البرانية (1785-1800م)

الإسم	المدينة	تاريخ الوفاة	التركة بالريال
فاطمة بنت الحاج الهاشمي	مليانة	1797	23263
الحاج عبد الرحمن الحرار	شرشال	1792	17459
بركان ابن سعدون	تلمسان	1790	16913
ولد سي الحاج عبد القادر	زموري	1787	11890
المستغانمي	مستغانم	1787	9990
محمد بن الحاج إبراهيم	تلمسان	1800	8571

نلاحظ في الجدول انه ورد اسم شخص في قائمة الأثرياء من زموري. الذي حل في المرتبة الرابعة من بين أثرياء البرانية في مدينة الجزائر. وهذا يعبر عن المكانة التي حظي بها أهل بومرداس بالمدينة.

خاتمة:

سلطت هذه الدراسة الضوء على تاريخ بومرداس من خلال الأرشيف وقد تم التركيز على الفترة العثمانية. وقد تم التوصل إلى بعض الاستنتاجات نوجزها فيما يلي:

- من أجل فهم التاريخ المحلي لبومرداس وجب التنقيب في مختلف الوثائق التاريخية. لاحتمال وجود إشارات حول تاريخ المنطقة. فالأرشيف الذي بين أيدينا تم العثور عليه صدفة بحكم أن بعضه يخص مناطق بعينها على غرار عقود المحاكم الشرعية التي عالجت قضايا تتعلق بمدينة الجزائر. لكن بحكم قرب محاكم مدينة الجزائر من بومرداس فإنها عالجت العديد من قضاياها.
- تعددت الأرصدة الأرشيفية التي تناولت مناطق بومرداس بين طياتها. وهي على الرغم من قلتها إلا أنها تضمنت معلومات جد مهمة يمكن من خلالها عمل مقارنة للواقع الذي كانت تعيشه بومرداس خلال تلك الحقبة.
- تمتاز المعطيات التي تم استخلاصها من الوثائق الأرشيفية بتناولها النواحي الاقتصادية والاجتماعية. من خلال تسليطها الضوء على بعض الممارسات التي كان يقوم بها البومرداسيون في حياتهم اليومية.
- يتم حل القضايا المستعصية التي تخص البومرداسيين في مدينة الجزائر. بحكم قربها وكان آغا العرب له صلاحيات حل تلك القضايا على غرار النزاع الذي جرى بين محمد الجبروني و عمر ابن الوئيس. رغم أن آغا العرب أحال تلك القضية على فقهاء مدينة دلس.
- إن ما توصلنا إليه من نتائج ليست أحكاما قطعية. بل هي محاولة لعلاج التاريخ المحلي لولاية بومرداس من خلال استغلال الإشارات التي وردت في الوثائق المختلفة التي بين أيدينا والتي نرجو أنها قد أنارت الدرب من أجل التطرق إلى إشكاليات تاريخية أخرى تخص هذه الولاية.

الملحق رقم 01

هبة وبيع بحيرة بدلس

219

الحركة هـ نزل نضم روع وادع نفلنا لعمامة التوفيق لعزيمه وانرشاد
 اصله فخصه بعرضه ابتاعهم بعرا و هبت الاثار التي في حياضهم و كلة بنتا
 وارث نزل من اشدقها على له وارثا التوكر جمع ملجوا الارضا اليها من ايدى التوكر من البيعة
 السماوية في التعلب اللانته بخروج الفلاس من الوضوع التي في حياضهم و ملجوا لبيع
 التوكر من نصيبه في ملجوا تار خلافة لك تلك طر على ملك وارثا التوكر في انا التوكر
 وجميع صفة التير التي بخير الهيس التوكر و هبت اجمع حذما في ذلك لله الاخير
 التوكر في الكسح في زوج كل واحد من الواهين التوكر في روضها من ملك قبض
 اركان جمع ما في على الفصول العشر في اشدق و على حيرة الله و هبت عرض
 الشاه الشيخ ابو محمد عبد الله ابراهيم من ملجوا ابر و ارثا التوكر و جمع البيعة و ملجوا
 لغا من حيرة الله و اشدق عليه من صفة التير التوكر في روع حذوا و ناصها
 و من ايدى الفلاس و يملجوا و ناصها من ملجوا و ملجوا و ناصها من ملجوا و ناصها
 اشدق و صفة حذوا من الفلاس و ملجوا و من الفلاس و الشير و النصار
 عن ملجوا من ريعا و ناصها و ملجوا و لا حيلة منه بغير حيرة في جمع البيعة
 التوكر و ملجوا في ملجوا خمس و عشر و ناصها من ايدى حيرة عشر في العدة اعترفا
 البايع التوكر في حيرة في جمع العدة التوكر على الروا و التمس من البايع التوكر
 و ابره من ملجوا و ملجوا و ملجوا له حيرة في جمع العدة التوكر و جميع حذوا
 في حيرة من ملجوا و ناصها و ملجوا و ملجوا في املاكه في و الاموال
 في امواله بعرا التعلب و التي في على السنة في ذلك و اجمع ملجوا و حيرة
 حيرة على اشدق التبايع التوكر في جمع ملجوا عندهم من اشدق الله في على
 انفسها و ما بحال حيرة و جوازها من روعها و على الهيس التوكر و في روعها على ذلك
 و يضمن حيرة حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة
 و حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة
 فابلحها من حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة
 و على ذلك و يضمن حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة
 من على الله و الله و الله و الله و الله و الله و الله و الله و الله و الله و الله
 و حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة
 و حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة في حيرة

المصدر: عقود المحاكم الشرعية بأكس بروفانس - مرسيليا بفرنسا.

ميكروفيلم 7mi1

الملحق رقم 02

مخلفات ابن الأطرش من وطن الخشنة بومرداس

The image shows a handwritten Arabic ledger with columns of text and numbers. The text is written in blue ink on a light-colored background. The ledger appears to be a record of transactions or accounts, with names and amounts listed in columns. The numbers are written in a traditional Arabic style. The text is somewhat faded and difficult to read in some places, but the overall structure is that of a financial or administrative record.

Text (Left Column)	Text (Middle Column)	Numbers (Right Column)
الخشنة	الخشنة	1144
الخشنة	الخشنة	224
الخشنة	الخشنة	142
الخشنة	الخشنة	2
الخشنة	الخشنة	39
<hr/>		19394
الخشنة	الخشنة	274
الخشنة	الخشنة	27
الخشنة	الخشنة	5742
<hr/>		7072
الخشنة	الخشنة	4
الخشنة	الخشنة	4
<hr/>		74090

المصدر: الأرشيف الوطني الجزائري، سجلات بيت المال والبايلك، الدفتر رقم 19، ورقة رقم 25.

الملحق رقم 03.

مراسلة تخص نزاع حول زواج بدلس



المصدر: وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة 1903، وثيقة رقم 66.

المصادر والمراجع:

الأرشيف:

- عقود المحاكم الشرعية

- مركز أرشيف أكس بروفانس بفرنسا، ميكروفيلم 71mi.

- م.ش.ع 142-143 و 63.

- سجلات بيت المال

- سجلات بيت المال، الدفتر رقم 02.

- سجلات بيت المال والبايلك

- سجلات بيت المال والبايلك. دفتر رقم 19.

- سجلات بيت المال والبايلك، الدفتر رقم 21.

- وثائق المكتبة الوطنية:

- المجموعة 1903، الوثيقة رقم 66.

المصادر والمراجع باللغة العربية:

- الساحلي، خليل أوغلي. «سجلات المحاكم الشرعية كمصدر فريد للتاريخ

الاقتصادي والاجتماعي»، م.ت.م، عدد 1، 1974.

- بودريعة ياسين، الثروة و الفقر بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني(1785-

1800م) دراسة اقتصادية و مقارنة اجتماعية من خلال دفاتر المخلفات، أطروحة

لنيل دكتوراه علوم في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر2، الموسم الجامعي

2016-2017.

1 - تقع هذه المدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتبعد عن مدينة الجزائر بحوالي 100 كلم غربا

، ولحوالي 145 كلم عن مدينة بجاية شرقا تحيط بها قرى منتشرة في الجبال القريبة والبعيدة، يتميز

مناخها بالاعتدال. انظر: بن نعمان اسماعيل، قصبة مدينة دلس: تراث في حاجة إلى توثيق، مجلة الآثار

مجلة علمية محكمة، العدد 15، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2016م، ص: 105.

2- يمكن الاستئناس بمقالتنا المنشورة في مجلة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانية، ع 21ع، غزة، 2019.

- تكور، فضيلة. «رصيد الفترة العثمانية من وثائق الأوقاف بالأرشيف الوطني الجزائري»، دراسات إنسانية، عدد خاص بأعمال ندوة الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، جامعة الجزائر، 2001-2002.
- حسبلاوي نسيم. برج منابيل عبر التاريخ من الممالك النوميديّة إلى الجمهوريّة الجزائرية من القرن 3 ق.م إلى 2010، مطبعة ألوان أوفيس، الجزائر، 2010.
- حسبلاوي نسيم، محطات في تاريخ بومرداس، نواصري للطباعة والنشر، المسيلة، الجزائر، 2020.
- سعيدوني ناصر الدين، الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد العشرون، أوت 2004.
- سعيدوني ناصر الدين، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، 2014.
- عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.
- غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اجتماعية اقتصادية، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث، الحج الأول، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص(ظ).
- غطاس عائشة، حول الوثائق المتعلقة بأوقاف الحرمين الشريفين بمدينة الجزائر، دراسات إنسانية، عدد خاص بأعمال ندوة الوقف في الجزائر أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، جامعة الجزائر، 2001-2002.
- غطاس، عائشة. "سجلات المحاكم الشرعية و أهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمدينة الجزائر - العهد العثماني"، إنسانيات، عدد 3، 1997.
- وقاد محمد، دور جماعة بني ميزاب في النهضة والتحول العمراني والاقتصادي بمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني 1700-1830 من خلال وثائق الأرشيف الوطني والوثائق المحلية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.
- الزهار أحمد الشريف، مذكرات نقيب الأشراف، تحقيق أحمد توفيق المدني، الطبعة الثانية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980.
- حرفوش عمر، الإدارة الجزائرية في العهد العثماني «الإدارة المركزية نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2009.
- حماس خليفة، كشاف وثائق تاريخ الجزائر في العهد العثماني بالمكتبتين الوطنية الجزائرية والتونسية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة

2012.

- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية. دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني. د. غ. إ. بيروت 2000.
- عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519، 1830)، دار السلطان أنموذجا، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، جامعة وهران، السنة الجامعية 2013-2014.
- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر، 1964.

المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

- Aucapitaine (Le Baron Henri) Et Federmann.H, Notices Sur L'histoire Et L'administration Du Beylik De Titeri, In Revue Africaine, Volume N9, Année 1865.
- Fagnan.E, Catalogue général des manuscrits de la bibliothèque nationale d'Algérie (première tranche : de n 1-au n 1987), Bibliothèque Nationale D'Algérie, 1995.
- LARGUECHE ABDELHAMID, les ombre de la ville, pauvre, marginaux et minoritaires a Tunis (XVIII et XIX éme siècle), centre de publication universitaire, 2002.

الرصد المعرفي والرقمي لأحوال الأسر الأندلسية الوافدة

الى مدينة دلس وماجاورها

من خلال المصادر التاريخية والنوازلية والجغرافية

د. جمال عناق (جامعة العربي التبسي - تبسة)

أ. أمال رابية (جامعة بن يوسف بن خدة)

_ ملخص

_ أهمية الدراسة

_ مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

_ مقدمة

_ أولا: الدلالات المصدرية على أهمية مدينة دلس في استقطاب الهجرات الأندلسية

_ ثانيا: العوامل التي دفعت بالأندلسيين إلى الهجرة نحو مدينة دلس وما جاورها

_ ثالثا: إحصاء وتعداد المهاجرة الأندلسية إلى دلس باستخدام طرق منهجية:

1- طريقة رصد النمو الديمغرافي أحصائيا

2- أهم الأسر الأندلسية الوافدة إلى مدينة دلس

_ خاتمة

ملخص:

تتناول هذه الورقة دراسة أحد أهم الهجرات للعناصر الاجتماعية المؤثرة في النسيج الاجتماعي والاقتصادي وحتى الحضاري في القرون الوسطى لمدينة دلس وماجاورها. ولا يختلف اثنان حول الدور الذي خلفته هذه الهجرات في إزدهار الحياة في شتى المجالات.

ومن هذا المنطلق سنحاول أن نتحدث عن جانب مهم ذي صلة وثيقة بالظاهرة محل الدراسة ضمن ما يعرف بالعنصر الأندلسي الوافد ضمن مكونات مجتمع المغرب الأوسط في سياقه التاريخي ومجاله الجغرافي . وسنحاول تتبع حركات الهجرة الأندلسية إلى منطقة دلس وما جاورها عبر الزمان والمكان مبرزين الظروف والأسباب الحقيقية وراء ذلك، مع توضيح أهم النتائج والتأثيرات التي خلفها الأندلسيون في مجتمع دلس والمغرب الأوسط بصفة عامة في شتى المجالات.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية مداخلتنا هذه من حيث أنها ستعمل على تحديد الأسس والمبادئ العامة لجمل الأحكام المعرفية وتحويلها إلى معطيات رقمية باعتبارها معطيات مفتاحية دلالية لدراسة الظاهرة الاجتماعية في ذلك العصر، والتي ستعكس فعليا حالة الظاهرة طوال قرون منذ وفود أول فرد أندلسي الى غاية مراحل الاندماج وتبلور التأثير الأندلسي، في شتى مجالات الحياة في مدينة دلس.

وسيمكننا هذا العمل من معرفة أسباب وأهمية نجاح مثل هذه الهجرات وهذه التجارب الإنسانية.

- مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تحدد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي:

كيف أثرت الهجرة الأندلسية وغيرت أو أضافت في المجتمع الدلسي؟

وينبثق عن ذلك السؤال التساؤلات الفرعية الآتية:

• ماهي أهم العوامل التي دفعت بهؤلاء الأندلسيون الى الهجرة نحو مدينة دلس وماجاورها بصفة خاصة؟ (و إذا علمنا انها ظاهرة عامة شملت جميع بلاد المغرب

بما فيها بلاد المغرب الاوسط).

- ماهي الدلالات المعتمدة من طرف المصادر المختلفة لدور وتأثير الجالية الاندلسية في إثراء الحياة بدلس في شتى المجالات؟.
- هل يمكننا إحصاء وتعداد المهاجرة الأندلسيين إلى دلس باستخدام طرق منهجية خاصة ثم بالإعتماد على ما ذكرته المصادر؟.

مقدمة:

تعرف الدراسات التراثية والحضارية المرتبط موضوعها بتاريخ الحواضر، اهتماما كبيرا ومتزايدا بسبب استخدام مصادر ومناهج ومقاربات منهجية متنوعة ساهمت، ومازالت تساهم في حلحلة اشكالات تاريخية كثيرة تخص المدينة والحاضرة في فترتيها الوسيطة والحديثة، ولعل من بين أهم الإشكالات التي تحتاج الى إجابة- بالرغم من قلة الكتابة المصدرية والمرجعية وعمومياتها- في هذا الجانب هو: التداخل والتباين الديمغرافي بين مهجرين من بلدهم الأصلي نحو مجال ومجتمع جديد، وكيف ستؤثر هذه الهجرة بالايجاب وحتى بالسلب على كلا الطرفين؟ هي علاقة اذن بين تيار سالب وتيار موجب او العكس..كظاهرة عرفتها المجتمعات منذ القدم..وفي حالتنا هذه سننظر الى الظاهرة ذات البعد الاجتماعي من خلفية دينية عقديّة، من حيث السبب العام الدافع للهجرة (حروب الاسترداد) والنتيجة التي تجعل هؤلاء يسهل اندماجهم في المجال الجديد..وان كنا سنركز على فترة بداية القرن 16م بالرغم اننا نعلم ان بداية ظاهرة الهجرة بين العدوتين الأندلسية والمغربية قد استمرت قبل هذا القرن، لكن تركيزنا على مدينة دلس وماجاورها سيجعلنا نركز على اخبار أوائل الوافدين الاندلسيين الذين وطئت أقدامهم دلس وما جاورها الى آخر مهاجر حسب ما وفرته لنا المصادر والمراجع على قلتها...

أولا - الدلالات المصدرية على أهمية مدينة دلس في استقطاب مختلف الهجرات الأندلسية:

إن الإشارات الواردة ضمن المصادر العربية في الفترة الوسيطة، حول حواضر ومعالم المدينة الحضريّة كما اسلفنا لا تمكننا من إعادة بناء وتركيب تاريخ هذه الحواضر ومعالمها الأثرية والتاريخية، فما بالك ان حاولنا تجلية موضوع التاريخ البشري والهجرات البينية في مجالات مختلفة فتلك الإشارات يعوزها الكثير من الدقة لعدم تمكيننا من بناء مشهد كامل للحياة بتلك الحواضر في العصر الوسيط، وإن التأريخ المحلي له أهمية قصوى في عملية إعادة كتابة التاريخ الوطني، وذلك لما توفره الدراسة المونوغرافية المحدودة في مجالها الزمني والمكاني، من إمكانية التحري المجهري حول الأحداث والوقائع التي عاشتها المناطق والجهات المختلفة من البلاد، والكشف عن حقيقة مجرياتها، والتعمق في دراسة مختلف التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها هذه المناطق، وهو أمر لا محالة، أنه سيمكن من تجاوز الأحكام الجاهزة، والتعميمات المفرطة التي تسبب فيها الدراسات التاريخية التي تتناول التاريخ العام للمغرب الإسلامي بالرغم أن الكتابة التاريخية المحلية، والمتعلق موضوعها بتاريخ الحواضر على وجه الخصوص، تواجهها العديد من الصعوبات والعوائق لا يسعفنا الحظ الى ذكرها في هذه العجالة¹. ولذلك يمكننا إجمال هذه العوامل المسببة في هذه الوضعية إلى عامل مهم ورئيسي وهو العامل المنهجي، والذي يرتبط بنظرة مؤرخي المغرب الإسلامي التقليديين لعملية التاريخ، فهو لا يهتم إلا بتحركات الشخصيات "الرئيسية" التي يعتبرها صانعة للأحداث وفاعلة فيها، ورغم ذلك لا يستطيع الباحث أن يستغني عن هذه المصادر بسبب ما تحمله من معلومات وإن كانت قليلة وعمامة. وأن يستنجد بمصادر أخرى ككتب الطبقات والتراجم وكذا كتب الفقه والنوازل، وأيضا الاستنجد بالمصادر الأثرية وغيرها...

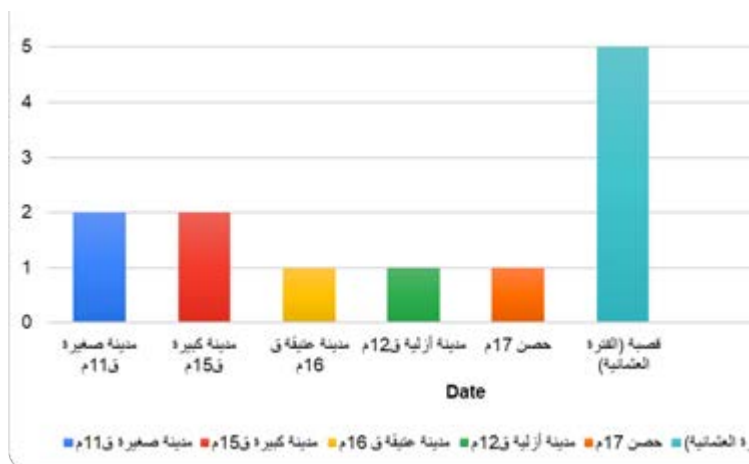
لقد ظهرت مدينة دلس ومرسى الدجاج هذه الاخيرة التي نهضت من خرائبها واستعادت نشاطها على يد الاندلسيين في المؤلفات التاريخية العربية منذ القرن

1 - المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري (336 هـ - 380 هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص218.

4هـ/10م (الجدول المرفق) حين مر ذكرها صاحب أحسن التقاسيم المقدسي¹ ويجعلها ضمن إقليم إفريقية التي قصبته القيروان "ومن مدنها... مرسى الدجاج.." مروراً برواية البكري (ق11/ه5م) في قوله: "بني جناد هي مدينة صغيرة على جبل بينها وبين البحر نحو ميل ومنها إلى مرسى الدجاج.."

هذا وستظهر دلس وما جاورها مثل مرسى الدجاج وبني جناد في الكتابات اللاحقة التي يمكن حصرها في 09 مصادر (أنظر الجدول) كمدينة لها شأن وان لم يستقر هذا المصطلح كرونولوجيا. لكن فقدت أهميتها كنتيجة لتسلط البداوة عليها وتعرضها الى سنوات القحط مع انتشار الاوبئة. فمن الناحية التاريخية تمتد هذه الكتابات زمنيا من المقدسي في النصف الثاني من القرن 04 الهجري/ 10 الميلادي الى محمد بن الحسن الوزان والتمكروتي في القرن 10 الهجري/ نهاية القرن 16 الميلادي. والذي يبدو من خلال افادتهما انهما قاما بزيارتها وقدا عنها معلومات تعطينا رؤية اضافية عن احوالها..

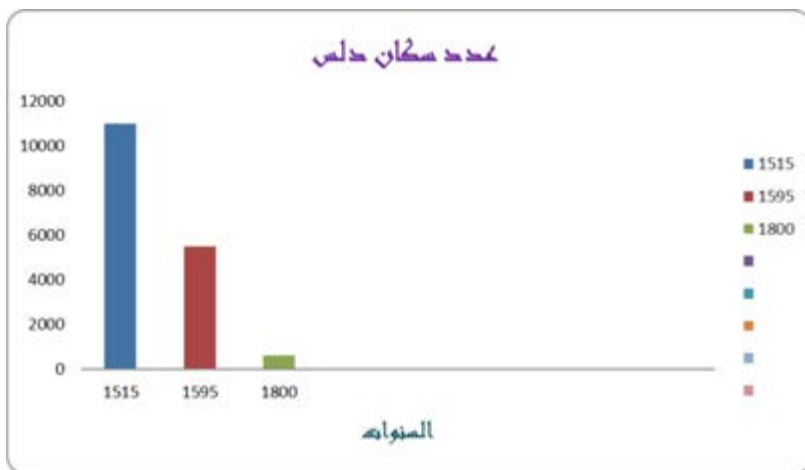
(الشكل البياني 01)



السياق التاريخي	معطيات تاريخية جغرافية	معطيات اجتماعية بشرية	معطيات اقتصادية	معطيات عمرانية
المقدس ر ق 4-10 أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم	ويجعلها ضمن إقليم إفريقية التي قصبتهما القيروان ومن مدنها... مرسى الدجاج.. ص 218	//	//	//
البحري (ق 5-11 م)	ومدينة مرسى الدجاج قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح ومن هنالك يدخل إليها ، وبشرقيها بني جناد وهي اصغر منها. ص 158	يسكنها الاندلسيون وقبائل من كتامة،	واسواقها.. وبها عيون طيبة	وقد ضرب بسور من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية.. ومسجد جامعها داخل ذلك السور له باب واحد، ولها مرفأ غير مأمون لضيقه وقرب قعره وبها عيون طيبة
ياقوت الحموي (بداية ق 6-12 م) بن حوقل	قد رسم على ساحل البحر من أسفله المدن مبتدئا عن اليمين لطرابلس ، قايس ، ... مرسى الخرز... مرسى الدجاج ، جزايرين مزغنة ، تامدغوس	//	//	//
صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار عاش في القرن 12 م	مدينة مرسى الدجاج : مدينة أزلية على شاطئ البحر، والبحر يضرب في سورها . وهي قديمة البناء وفيها آثار عجيبة للاول ، ص 131	//	ولها بساتين وجنات، وبه الطير المسمى بالسماطي كثير من البحر.. ص 131	وهي قديمة البناء وفيها آثار عجيبة للاول ،
نزمة المشتاق في اختراق الأفاق ، الشريف الادريسي (12-906 م)	ومن الجزائر الى تامدغوس شرقا وتامدغوس مرسى حسن عليه مدينة صغيرة خراب واكثر صورها قد تهدم، ومن مدينة مرسى الدجاج كبيرة القطر لها حصن دائريها إلى مدينة تدلس 24 ميلا وهي على شرف متحصنة لها سور حصين	وقل لها (مرسى الدجاج): وبشرها قليل، وربما فر عنها أكثر أهلها في زمن الصيف ومدة السفر خوفا من قصد الاساطيل اليها ولها مرسى مأمون ولها	(ومنها الى تامدغوس وهو مرسى وعليه عمارة ومزارع متصلة.. ص 273 مرسى الدجاج: أرض ممتدة وزراعات متصلة واصابة أهلها في زروعهم واسعة وحنطتهم مباركة وسائر الفواكه واللحوم بها كثيرة وتباع بالثمن اليسير والتين خاصة يحمل منها شرائح طويلا ومنشورا الى سائر الاقطار (ص 259.. تدلس: لها. ديار ومنتزهات وبها من رخص الفواكه والاسعار والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد بغيرها مثله وبها الغنم والبقر موجودة كثيرا وتباع جملتها بالائمان اليسيرة ويخرج من أرضها الى كثير من الافاق. (ص 259)	وبها بقايا بناء قديم وهيماكل واصنام.. ويذكر انها كانت من أعظم البلاد كبرا وأوسعها قطرا (ص 258).

			حول سبب خراب مرسى الدجاج يقول: وكان خراب هاتين المدينتين فيما خرب من أمصار المغرب الاوسط في فتنة ابن غانية .. زناة الخسف والعيث والنهب. وتخريب العمران.	ابن خلدون عبد الرحمان (808.732-1406.1332م)
مرسى الدجاج بال قرب من أشير وهي مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح وعليها السور من الضفة الغربية الي الضفة الشرقية ، ومن هناك يدخل إليها :أسواقها ومسجد جامعها داخل ذلك السور :له باب واحد ولها مرفأ غير مأمون لضيقة وقرب قرب قعره	وبها رخص الفواكه والاسعار والمطاعم والمشارب مما لا يوجد في غيرها والبقر والغنم بها موجودة كثيرة رخيصة الأثمان ..وأرضها ممتدة وزراعتها متصلة وإصابتهم واسعة وحنطتهم مباركة.	وبها عيون يسكنها الأندلسيين وقبائل ككتانة	دلس مدينة كبيرة بحرية بين بجاية والجزائر وبينها وبين مرسى الدجاج أربعة وعشرون ميلا وهي على شرف متحصنة لها سور حسين وأثار ومتنزهات وبينها وبين دلس أربعون وعشرون ميلا .	محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي قرن 15 م
//	وجل سكانها صباغون لوجود عدد من العيون والجداول بها.. يملكون أراضي زراعية كثيرة تنتج القمح بوفرة تعودوا جميعا اصطيد السمك بأسلاك ، فيحصلون على كمية وافرة منه لاتباع ولاتشترى، انما يهدونه لمن يرغب فيه	وهؤلاء السكان ذوو بشاشة ومرح ، يحسنون تقريبا كلهم العزف على العود والقيثار.. ويرتدون لباسا حسنا كلباس الحضريين الجزائريين	دلس (دلس) مدينة عتيقة بناها الأفارقة على بعد نحو تسعة وثلاثين ميلا من شاطئ البحر المتوسط . تحيط بها اسوار متينة كانت ثعلبية تسكن سهل الجزائر وتنتقل في الصحراء حتي تكديت ولهم سيطرة على مدينتي الجزائر ودلس لكن في وقتنا هذا انتزعها منهم بربروس ويوسع ملكا	الحسن بن محمد الوزان الفاسي (960م-1553) شاهد عيان
ولم يبق فيه الا عمارة قليلة ضعيفة			حصن مليح منيع ، الا انه عفى اليوم وخرب	التمكروتي، علي بن محمد نهاية ق16م

ولو نريد استنطاق واختصار ما جاء في هذه النصوص فهذا (الرسم البياني 2) يوضح أحوال وأوضاع مجالات دلس من القرن 10م إلى القرن 19م



ثانيا - العوامل التي دفعت بهؤلاء الأندلسيين إلى الهجرة

نحو مدينة دلس وما جاورها:

إن المكانة التاريخية والحضارية بالإضافة إلى موقعها الجغرافي والاستراتيجي الهام الذي يربط بين بجاية والجزائر يجعل من مدينة دلس وشقيقاتها مثل مدينة مرسى الدجاج (1) من المدن التي حظيت بتوافد الجالية والأسر الأندلسية منذ عهد قديم قد يسبق تأسيس ملك الدولة الحمادية (1105/1106-12م) (2) لكن ما يذكره بن خلدون في لجوء ابن صمادح إلى دلس بعد أن فر من التهديد الصليبي الإسباني عند سقوط ألمرية التي حكمها بين عام 1051م - 1091، وبسقوط ألمرية وزوال دولة المعتمد بن عباد اجتاز معز الدين أحمد بن الصمادح البحر لاجئاً بأهله عند المنصور بن الناصر ببجاية فقام باقطاعه بلدة دلس التي كانت مهجورة من قبل. وبذلك سيكون بن صمادح وأهله وحاشيته أول الأفواج الأندلسية التي

1 - ابن خلدون عبد الرحمن، كتابه العبر، ت. خليل شحادة، ط2، ج6، دار الفكر، بيروت، 1988. ص 187.
أيضا: فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي في جزائر والعالم، جزء الثاني، ص 172.
2 - بن نعمان اسماعيل، مدينة دلس دراسة تاريخية أثرية، بين ق. 3_13 هـ 9_19م، دكتوراه تخصص آثار إسلامية، معهد الآثار جامعة الجزائر، الجوائز، 2008/2007م، ص 27

استقرت بمدينة دلس. (2)

هذا وان تعددت عوامل جذب هؤلاء الأندلسيين بين الرغبة الحضارية والسياسية سواء أكان الطرف المستقبل -حكما ام ساسته- تميل إليهم ويقدررون مواهبهم وبالإمكان الاعتماد عليهم في تسيير الادارة وخدمة الدولة وتدعيم بهم اركان الدولة كما حصل مع حكام الدولة الحفصية في القرن 13/هـ07م بأفريقية لما اسندوا الكثير من الوظائف الرفيعة والمراتب العليا في الادارة والجيش حتى أصبحوا اهل الشورى في البلاط الحفصي نذكر أمثال الرئيس أبو عبد الله محمد بن ابي الحسن الذي تولى شؤون الدولة، وكذا المؤرخ الاديب ابن الابار الذي كلف بكتابة العلامة.

بالإضافة الى ذلك فقد ساعد على استقبال هذه الأفواج من الأسر والمهاجرة الأندلسيين الانهيار الديمغرافي والانكماش البشري الذي كان سببه انتشار الأوبئة وتكرار المجاعات واضطراب الامن منذ منتصف القرن 14م وبداية القرن 15م الذي شهدته إفريقية والجزائر(3) وقد وضع ذلك ابن خلدون بقوله: «... أجاز الأعلام وأهل البيوت إلى ارض المغربيين.» (4)

او كانت هجرتهم بسبب الاخطار والتهديد الصليبي وفي هذا الشأن يذهب عبد الرحمن الجيلاني في كتابه تاريخ الجزائر العام الى ان بداية الهجرة الاندلسية المكثفة الى الجزائر تعود الى عام 856هـ 1452. بفعل الهجمات الاسبانية، بالرغم انه لم يكن غالبيتها يمتلك معارف ثقافية لتضاهي به مستوى الهجرات الطوعية السابقة من حواضر كبيرة مثل قرطبة وأشبيلية، لكن ومع ذلك أمكنها حمل إرث اندلسي كبير استفيد به المدن والفحوص الساحلية بما فيها دلس وقرباتها. وستصبح هجرة الأندلسيين كظاهرة عامة منذ سنة 1570 وهو النزوح الاول للأندلسيين نتج بفعل فشل ثورة جبال البشارت ثم النزوح الثاني مع بداية القرن 17م بسبب قرارات الطرد الجماعي من طرف الملك فيليب الثالث فيما بين سنتي 1609 و1614م ولقد تأثرت بها أغلب الجهات الساحلية(4) بالجزائر بما فيها مدينة

1 عبد العزيز فيلالي، جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلة سيرتا، السنة 6، ع 10، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1988. ص ص 66.67. ينظر أيضا:

ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 20.

2 بن خلدون عبد الرحمن، تاريخ، ص 29.

3 ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص 16.17.29.

4 جورج مارسية، بلاد المغرب وعلاقتها ببلاد المشرق الإسلامي في العصور الوسطى. منشأة المعارف

دلس التي أعيد بناؤها والعمل على ازدهارها من جديد.

ثالثا- إحصاء وتعداد المهاجرة الأندلسيين إلى دلس باستخدام طرق منهجية:

منذ أن أصبحت مدينة دلس كقاعدة ومركزا لإقليم الشرق اتخذه خير الدين بربروسة سنة 1517م عرفت توسعا ملحوظا فقصدها الأندلسيون وأصبحت تضم حوالي ألفي أسرة تنتشر حول القصر الذي كان يقيم فيه حاكمها الذي أصبح مقرا للحامية المكلفة بحراسة ميناء دلس، ثم توسع عمرانها بعد ذلك بتوافد أعداد أخرى من الأندلسيين المورسكيين مع نهاية القرن 16م. أما بالنسبة لنوعية المورسكيين الذين استقبلتهم مدينة دلس وما جاورها فرغم ان بعض المراجع تقسمهم الى فئات وانواع المرتبطة بالتخصص مثل: الأراجونيين والبلنسيين والقشتاليين وغيرهم فانه يمكن اعتبار العنصر الارجونى والإشبيلي الأكثر تعلما وتخصصا لذلك رأيناه الأكثر طلبا في تونس، فكان تأثيرهم بليغا في مختلف مظاهر الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية وقد كان من أبرز العائلات المهاجرة عائلة ابن خلدون (١).

وعلى نفس المنوال لكن بتسميات محلية فهم ثغريون في مدينة دلس. وبالرغم من اختلاف تسميات الفئات الأندلسية المستقرة فقد أصبحت المدينة تحمل طابعا أندلسيا صرفا، يمكن تلمس نتائجه من خلال ما قام به الأندلسيون المورسكيون في ميادين الزراعة والصناعة والثقافة والفن وغيرها (٢). ليتحول النتاج الديمغرافي إلى نتاج حضاري متخصص مرتبط بمختلف النشاطات الحرفية والتي ستتخصص بها الأسر الأندلسية في المدينة كأسرتجارية وزراعية وأسر علمية وأسرفنية.. الخ ويمكننا أن نلمح حسب الدراسة التي قدمها ناصر الدين سعيدوني في كتابه دراسات اندلسية تقسيمات اجتماعية من ثلاث فئات حسب الواقع الذي كانوا يعيشونه في القرنين 16م و17م وهي فئة الحضرة وفئة البحارين وفئة الفلاحين (٣). وهذه الاصناف الثلاث قد نجدها كلها في دلس وماجارها مع إعتقادنا بغلبة طائفة البحارين بحكم اطلالة المدينة على البحر..

وتبعاً لذلك، حرص الجغرافيون على استعمال مصطلحات مميزة لتحديد الأهمية

الاسكندرية، 1999 ص 344. أيضا : محمد زروق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب ، ص 133

1 - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص 43-42.

2 ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 50.

3 محمد حسن، الجغرافية التاريخية، ص 20.

الديمغرافية والمورفولوجية لمجال ما⁽¹⁾. وما ذكره الجغرافيون حول مصطلح دلس ومرسى الدجاج (أنظر الجدول المرفق) (الشكل البياني 1) محددين مصطلحات تسميتها كالقرية أو المدينة، والمدينة الصغيرة أو الكبيرة أو العتيقة أو الازلية وفي عهود سابقة منذ (ق10م/16م) الى عهد الحسن الوزان (ق10م/16م) قد تختلف التسمية في عهد آخر تبعاً لما وصفه التمكروتي في رحلته عند مروره على مدينة دلس سنة 1591م بأنها: « حصن مليح منيع ، الا انه عفى اليوم وخرب ولم يبق فيه الا عمارة قليلة ضعيفة». كما أنها ستعرف في العهد العثماني المتأخر بوصف القصبية وهو انعكاس للحالة الاقتصادية والصحية او الامنية التي تؤدي وتكون سببا للهجرة البشرية، فقد عرفت دلس الأندلسية في هذا التاريخ اضمحلالا مبكرا بفعل انتقال العديد من سكانها الى الجزائر تحت ضغط قبائل جرجة وتهديدات الأساطيل الأوروبية⁽²⁾.

وبما أن طوبونيميا كل مجال جغرافي تكون بالضرورة مرتبطة بجميع اوجه الحياة البشرية مع مختلف النشاطات اليومية الممارسة، كما هو الشأن بالنسبة لمدينة زموري الحالية التي عرفت في الفترة الوسيطة بمرسى الدجاج كدلالة اقتصادية وتجارية لكنه يحيلنا على فترة تاريخية معينة ويحمل في ذاته قيمة كرونولوجية، وهو يخضع بذلك الى نفس المنطق المتبع في مناهج الحفرية الأثرية⁽³⁾، وفي الجملة فإن امتداد النسيج الحضري وتواصله، واحاطته أو مصون بسور، وتوفر المنشآت الأساسية من مسجد جامع وسوق قارة ومدرسة، وعدد السكان وكثافتهم، كل ذلك يعتبر محور التماثل بين المدينة والحصن والقصبية⁽⁴⁾. فتعاقب الاسماء واحدا تلو الآخر يشكل طبقات تاريخية تحتاج الى تحليل وشرح..

طريقة رصد النمو الديمغرافي إحصائيا:

وإذا حاولنا رصد الديموغرافية القروية كما يسميها محمد حسن في كتابه الجغرافية التاريخية وفي مستوى المعطيات المرقمة التي نفتقدها من المصادر العربية

1 ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 62. أيضا: محمد حسن، الجغرافية التاريخية، ص 22.

2 محمد البركة وآخرون، الطوبونيميا بالغرب الاسلامي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012، ص 105.

3 محمد حسن، الجغرافية التاريخية، ص 22-23.

4 ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 42.

ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص 62

عن مدينة دلس وما جاورها فقد كان لزاما علينا البحث والتنقيب في المراجع ووجدنا ضالتنا عند سعيدوني الذي ذكر لنا في كتابه: «دراسات اندلسية» من خلال المعلومات التي إعتدها وذكرها كل من غراماي (Grammayer) ونيكولا دي نيكولا (Nicola de nicolas) سنة 1551م «بأن مدينة دلس أصبحت قاعدة ومركزا لإقليم الشرق اتخذه خير الدين بربروس سنة 1517م فعرفت في عهده توسعا ملحوظا ومقصدا للأندلسيين، واصبحت تضم حوالي 2000 أسرة تنتشر حول القصر الذي كان يقيم فيه حاكمها الذي أصبح مقرا للحامية المكلفة بحراسة ميناء دلس، ثم توسع عمرانها بعد ذلك بتوافد اعداد اخرى من الاندلسيين المورسكيين مع نهاية القرن 16م. فاصبحت اسوارها تضم ما لا يقل عن الف منزل.» (1)

ومن خلال هذا النص قد نلجأ بتخميننا لمعرفة عدد سكان المدينة في تلك الفترة من خلال المعطيات التي بينها النص:

- عدد الأسر الأندلسية المنتشرة حول قصر الحاكم التركي هي : 2000 أسرة.

عدد المنازل التي أضيفت هي 1000 منزل. ثم إذا قدرنا أن متوسط عدد أفراد الاسرة الأندلسية الواحدة يتراوح ما بين 6.5 أفراد إعتبار أن كل منزل يملك طابقين.. سنجري العملية التالية:

2000 في 5.5 يساوي 11000 نسمة، إذن متوسط عدد ساكنة مجال دلس الأندلسية في العقد الثاني من القرن 16م هو: 11000 نسمة.

وبإضافة 1000 منزل على إعتبار ان كل منزل يمثل أسرة واحدة سنجري نفس العملية:

1000 في 5.5 يساوي 5500 نسمة إذن متوسط عدد ساكنة مجال دلس الأندلسية في العقد الأخير من القرن 16م هو 5.500 نسمة

إذن مع نهاية القرن 16م ومطلع ق 17 بلغ متوسط عدد الاندلسيين الموريسك في دلس مع جمع حاصل العملتين الى: 16.500 نسمة.

1 - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في الجزائر أواخر العهد العثماني 1792، 1830، ط3، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 29.

<p>//</p>	<p>تميز نشاط هذه العائلة في المجال العسكري، فقد انخرط محمد السايح الذي ينحدر من أصول أندلسية في سلك الجندية التركية بالجزائر. أيام الحكم العثماني ثم غادر الي اسطنبول ولم يتفقد أهله إلى بعد كبره ومن هنا أخذوا يلقبونه السايح (18)</p>	<p>قدمت نحو عام 400 إلى 500 من اسبانيا بعد تعرض مركبها للغرق قرب سواحل دلس، وهذه الرواية تسجم الي حد كبير مع وجود أسرة تحمل نفس اللقب في مدينة دائية الأندلسية رحل أقوامها سنة 1295 إلى بجاية حسب الباحث الفرنسي دومينيك فاليريان. (18)</p>	<p>أسرة ابن سايح أو بسايح</p>
<p>شهادة أحد أحفاد هذه الأسرة دليل على استمرار الوجود الأندلسي إلى اليوم في مدينة دلس وبقي حيا في ذاكرة بعض سكانها</p>	<p>أسرة بركاني من الأسر الأندلسية الأدبية العلمية التي كانت تشجع على التربية والتعليم وبلوغ المناصب المرموقة، وخير دليل ما وصل له حفيدها الأديب بركاني دري فقد طبق وصية أجداده الأندلسيين بمدينة دلس حيث صرح أنه قد نجح في تطبيق وصية أجداده (20)</p>	<p>أسرة بركاني قد تكون من الأسر الموريسكية التي هاجرت الي المنطقه بعد نهاية القرن 15 م فحسب الباحث الجزائري فوزي سعد الله بين من خلال الحوار الذي أجرته صحيفته Le soir d'Algérie مع الأديب الجزائري بركاني دري أحد أحفاد هذه الأسرة الأندلسية صاحب رواية رحلة أندلسية، بين فوزي سعد الله من خلال قول الأديب أن أحدا الجدات في دلس كانت تحرص دائما على القول لنا بوجود أن نتذكر اننا أندلسيون - وهذه الطريقة في ترك الوصية تشبه ما كان يقوم به الأجداد الموريسكيين في اسبانيا بعد سقوط غرناطة، ومنه يفترض أن تكون هذه العائلة من المورسكيين المهاجرين بعد نهاية القرن 15 م. (19)</p>	<p>أسرة بركاني</p>

هل فروعها مازلت؟	نشاطها	تاريخ وصولها إلى مدينة دلس	2الاسر الاندلسية
//	<p>أصبحت مدينة دلس بفضل حب ابن صمادح لها مدينة حية بدورها وأبراجها ومنتزهاتها البديعة التي تضاهي بعض مدن الاندلس الصغيرة ، فازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة والثقافة ، وتوقفت المودة والمحبة بين المهاجرين من الاندلس واهل المدينة .(14) وقد أشار عبد الرحمان الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر أشار إلى تطور مدينة دلس بفضل هؤلاء الاندلسيين بقوله فأصبحت هذه المدينة بعد ذلك بفضل هذه الجالية الأندلسية مركزا ثريا (15) اخذ اهل دلس ثقافة وتقاليد هؤلاء الاندلسيين ، وذاع صيتهم في المدن المجاورة ، فجذبت إليها التجار وغدت مركز تجارة ، ومقصداً لمحبي الثقافة والفنون الشعر والعلوم . وقد شاعت الموشحات الأندلسية في الأوساط الشعبية وكانت تقام سهرات ليلية بالعزف على العود والكمان .</p> <p>كما شيدت المساجد للصلاة وتعليم القرآن (16)</p>	<p>من اللاجئين الذي جاؤوا إلى المدينة في فترة العهد الحمادي ، هذه الأسرة كانت تحكم ألمرية من سنة 1051م إلى سنة 1091، وبعد إن استولى عليها المرابطون رحل معز الدولة بن المعتصم بن صمادح عند الملك الحمادي المنصور بجاية فأقطعه الملك مدينة دلس الجميلة ، وبذلك كانت 1068م سنة وصول الاسر الأندلسية الأقدم إلى مدينة دلس والاستقرار مع حاكمها ابن صمادح وعلماء ألمرية ومثقفها.(13)</p>	<p>أسرة ابن الصمادح</p>

- 13_ فوزي سعد. الله، الشتات الأندلسي...، المرجع السابق، ص: 172
- 14_ عامر شعباني، الأنفاس الأخيرة للأندلس الصغيرة دلس.، ص: 54
- 15_ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، ط: 2، الحزنتر 1965م، ص: 248.
- 16_ عامر شعباني المرجع السابق، ص: 55
- 17_ فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص: 171
- 18_ محمد بن عبد السلام السايح، اسبوع في باريس، تحقيق د. سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط: 1، 2004، ص: 13.
- 19_ فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص: 182
- 20_ المرجع نفسه، ص: 182.

خاتمة:

ومما سبق نصل الى حاصل دراستنا التي استندت على مقاربات منهجية، حاولنا فيها على القدر المستطاع الإجابة على سؤالاتنا التي كان المفروض أن تستند على مصادر أكثر تخصصية، نظرا لعمومية المصادر التي لم ترو عطشنا في معرفة تلك الخصوصية التاريخية التي تتميز بها مدينة دلس وشقيقاتها، نظرا للطرفية الزمنية التي جعلتنا ننسى أشياء ونغفل عن كثير من المعلومات حول الموضوع الذي تطرقنا إليه، وان كنا نعترف بالزلل والنقصان في مثل هكذا مواضيع وهكذا ظروف، فإننا نعتبر إن هذا البحث هو لبنة ستضيف وتثير طريق الباحثين خاصة من أنها اعتبرت هجرة الأندلسيين إليها وعنها مرتبطة خصوصا بمعطيات أمنية وصحية واجتماعية، وهي احد الدلالات التي استنبطناها من المصادر المعتمدة التي تؤكد على دور وتأثير الجالية الأندلسية في الحياة العامة لمجال دراستنا.. كما أنه أمكننا من استخدام المنهج الكمي والإحصائي لتحقيق و حلحلة كل إشكالية من الإشكاليات الكثيرة التي تحتاج الى اجابة..وان كنا نقر أيضا ان الإجابة عن كل سؤال هو مغامرة بحثية تحمل خصوصية اجتماعية وثقافية، لا يمكن الإجابة عنها كلها إلا بالكشف عن أرشيف ووثائق التاريخ الدفين، وكذا البحث والنزول إلى الميدان والسؤال عن بقايا الأسر الأندلسية المندمجة في

المجتمع المحلي وهذا ما لم نستطع ان نقوم به نظرا لعجالة البحث المرتبط بعقد الندوات والملتقيات .

قائمة المصادر والمراجع:

اولا: المصادر

- 1/ ابن خلدون عبد الرحمن، كتابه العبر ..ت خليل شحادة، ط2، ج6، دار الفكر، بيروت، 1988
- 2/ ابن حوقل أبي القاسم النصيبي، صورة الارض، دار مكتبة الحياة للطباعة، بيروت 1992
- 3/ البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الاندلسي (ت487هـ)، المغرب في ذكر افريقية والمغرب من كتاب المسالم والممالك، دار لغرب الاسلامي، مكتبة بغداد، 1920م .
- 4/ الحميري محمد بن عبد المنعم الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي، تحقيق الدكتور إحسان عباس الطبعة الأولى مكتبة لبنان، بيروت، 1975.
- 5/ لحسن ابن محمد الوزان الفاسي (ليون الافريقي) وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الاخضر، الطبعة الثانية، الجزء الاول، دار الغرب الاسلامي 1983 م، بيروت لبنان .
- 6/ لشريف الادريسي ابو عبد الله، (علماء القرن 10هـ) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 1م، ط01، عالم الكتب، بيروت، 1989.
- 7/ المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري (336 هـ - 380 هـ)، أحسنًا لتقسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1
- 8/ مؤلف مجهول (كاتب مراكشي عاش في القرن 12/12م)، الإستبصار في عجائب الأمصار، ت سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دون تاريخ.

ثانيا : المراجع

1الكتب :

- جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها ببلاد المشرق الاسلامي في العصور الوسطى. منشأة المعارف الاسكندرية، 1999ص 344
- عامر شعباني، الانفاس الأخيرة للاندلس الصغيرة دلس، دون طبعة، دون دار نشر، دون تاريخ.
- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، ط:2، الجزائر، 1965م
- فوزي سعد الله، الشتات الاندلسي في الجزائر والعالم، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، الجزء الثاني
- محمد بن عبد السلام السايح، اسبوع في باريس، تحقيق د. سليمان القرشي، دار السويدية للنشر والتوزيع، ط:1، 2004
- محمد البركة و اخرون، الطوبونيميا بالغرب الاسلامي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2016
- محمد حسن، الجغرافية التاريخية، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004.
- محمد رزق، الاندلسيين وهجراتهم الي المغرب قرن 16.17 الطبعة الثالثة، افريقيا الشرق للطباعة 1998، .
- ناصر الدين سعيدون، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الايبيري والوجود الاندلسي بالجزائر، دار البصائر، طبعة 2، الجزائر، 2013م
- نسيم حسبلاوي، محطات في تاريخ بومرداس، الطبعة الاولى، نواصري للطباعة والنشر، 8، مسيلة الجزائر 2020م.

الأطروحات :

بن نعمان اسماعيل ،مدينة دلس دراسة تاريخية اثرية عملانية 3_13 هـ /9_19م
دكتوراه تخصص آثار اسلامية ،معهد الاثار جامعة الجزائر ،الجزائر، 2008/

المجلات :

اسماعيل بن نعمان ،قصة مدينة دلس :تراث في حاجة إلى تثمين ، مجلة الآثار
مجلة علمية محكمة ،العدد 15،معهد الآثار ،جامعة الجزائر 2،الجزائر، 2016م ،
عبد العزيز فيلاي، جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في
العهد الحفصي، مجلة سيرتا، السنة 6، ع 10، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة
قسنطينة، 1988م.

لمحة تاريخية عن بومرداس خلال العهد العثماني

د. شكري معمر رشيدة - جامعة البويرة

مخبر التاريخ المحلي والذاكرة الجمعية والمقاربات الجديدة

جامعة البويرة

عناصر المقال :

مقدمة

1_ أوطان منطقة بومرداس خلال الفترة العثمانية

2_ الأبراج

3_ تمردات القبائل بمنطقة بومرداس خلال العهد العثماني

4_ الواقع الاقتصادي للمنطقة خلال العهد العثماني

خاتمة

مقدمة:

تنتمي منطقة بومرداس الحالية إلى دار السلطان التي تمتد من دلس شرق حتى شرشال غربا، ومن البحر المتوسط إلى سفوح الأطلس البليدي¹ فمنذ دخول عروج مدينة الجزائر سنة 1516م وضع أخاه خير الدين حاكما على الناحية الشرقية وجعل مركزها دلس²، وهو ما أشار إليه صاحب الزهرة النيرة بقوله: «أن خير الدين استوطن دلس من الناحية الشرقية وجعل معه عسكرا من جماعته وخصص لهم مرتبا ليستعين بهم على فتح تلك الجهة، وجعل له في كل ناحية من تلك العمالة»³.

يمر عبر هذه المنطقة الطريق السلطاني الذي يربط دار السلطان ببايلك الشرق، الذي يبدأ من باب عزون حتى جسر الحراش مروراً بوسط مستنقعات واد السمار و واد الحمير ثم يصل الطريق إلى واد قدارة (واد الأربعطاش) بأرض أولاد عبدي مروراً بمعسكر مصطفى قارة، ثم يتجه إلى واد الزيتون مروراً بطريق جبل عمال (بوزقرة) أين يوجد حوض للشرب يدعى (عين السلطان)⁴ ثم يصل إلى برج حمزة مروراً بجبال بني جعد وبني خلفون وواد الرخام وبني هارون، ليستمر إلى بني منصور ومجانة نحو قسنطينة⁵.

في بعض الأحيان يتحول هذا الطريق الرابط بين متيجة وحمزة إلى الشمال الشرقي، حيث يمر على برج بوعيريج، وأوقات الاضطرابات يتحرك نحو الجنوب الشرقي حيث يصل إلى مجانة مروراً ببني سليمان وبرج سور الغزلان، ويعتبر هذا المسلك أمن رغم طوله. مثلما حدث سنة 1814م عندما تمتد أولاد ماشي وقبائل بوسعادة، حيث سلك أغا العرب عمر طريق بني عايشة وجماعة يسر لصعوبة مسلك بني هني بسبب الأمطار التي عرضت من مجرى واد يسر.

- 1 - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا إلى الجزائر 1766-1791م، م.و.ك، الجزائر، 1986م، ص 24.
- 2 - ابن رقية التلمساني محمد بن عبد الرحمن، «الزهرة النيرة بما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة»، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع1967، 03، م، ص 07.
- 3 - الطريق المعبد بين واد قدارة حتى سهل يسر مده عمر باشا، لا يقصده المسافرون كثيرا لصعوبة مسلكه الصاعد كأنه سلم شبيه بشوارع القصبة. - سعيدوني، النظام المالي.....، ص 22، 23.
- 4 - بناها عمر باشا بجبال عمال سنة 1815م حيث شكلت نقطة استراحة للعثمانيين.
- 5 - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني 1791-1830م، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م ص 286، 287.
- 6 - نفس المرجع، ص 287.

كان لدار السلطان 05 أوطان وهي وطن (السبت) حجوط، بني خليل، بني موسى، الخشنة، يسر، بها 06 قيادات^{3*}، يرأسها «القياد» الذين يكونوا تحت إشراف أغا العرب⁴، ويتم اختيارهم من بين الأتراك أو الكراغلة أو من الأسر الكبيرة المتعاونة مع السلطة على أساس الكفاءة والتجربة، يتلقون البرنوس الأحمر عند توليهم المنصب وتتمثل مهمتهم في مساعدة البايك في أقاليمهم؛ لأنهم يمثلون الإدارة المركزية بالأوطان كما يعملون على الحفاظ على الأمن ومراقبة المبادلات التجارية في الأسواق والسهر على تطبيق القوانين فهم بمثابة الشرطة في الأوطان، وهذا بمساعدة قبائل المخزن⁵ وشيوخ القبائل الذين لديهم سجلات الضرائب والتي تعرف «بالجريدة» بها أسماء سكان كل وطن حسب الأشخاص والأعراش لتحديد وإحصاء عدد الجادات أو الزوجيات⁶ لظن المحروث⁷.

أوطان منطقة بومرداس خلال الفترة العثمانية:

وطن يسر: يدخل ضمن المجال الإداري لدار السلطان ويشكل إحدى قياداتها، يرأسه قائد تخضع له القبائل الواقعة بين سيباو ويسر⁸، يحده من الشرق وطن سيباو ومن الغرب واد قورصو الذي يفصله عن وطن الخشنة ومن الشمال البحر المتوسط ومن الجنوب وطن حمزة⁹ وتشكل قبائل يسر مجموعة ليس لها نفس التركيبة والأصول وهي مقسمة إلى مجموعتين: المجموعة الأولى استقرت في الضفة اليمنى لواد يسر (الشرقي) وتضم يسر الجديان، يسر سمير، زمول الطرفة، أم نايل (برج منايل) أولاد موسى، عبيد آقبو، أما المجموعة الثانية فقد استقرت

1 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص101.

2 * القيادات: وحدات إدارية يرأسها قائد يكون غالبا من خارج الوطن تفاديا للتنافس والصراع بين القبائل.

3 - Venture de paradis, Alger au XVIII^e siècle (1788-1790), E. Fagnan, 1898, p 13. marge

4 - أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب أشرف الجزائر، تقديم أحمد توفيق المدني، ش.ون.ت، الجزائر، 1972م، ص48.

5 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 161.

6 - الجريدة / الزويجة / السكّة: وهي مساحة أرض يحرثها ثوران تتراوح ما بين 8 حتى 16 هكتار، حسب المناطق.

7 - سعاد عقاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية بالجزائر 1519-1830م دارا لسلطان نموذجا، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2014م، ص92.

8 - الزهار، المصدر السابق، ص 47.

9 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 167.

على الضفة اليمنى (يسر الغربي) ¹ قدر عدد أسرها بداية الاحتلال الفرنسي بـ 28000 أسرة من بينهم 2175 في الجهة الغربية (يسر الغربي) ².

وينقسم وطن يسر إلى عدة جماعات وهي :

يسر الدروع (Drouh): ويضم أولاد مجكان، باليسترو (الأخضرية)، عايشة، أولاد عيسى، القيوس ³، وهي خليط بين العرب والبربر ضمت 43 قرية بلغ عدد سكانها 4645 نسمة ⁴.

يسر الجديان: ويضم عين مودور Ain Moudeur، بوبراك، الجديان ⁵، قدرت مساحته بـ 6.109 هكتار. 25. آر. 65 سنتيار ⁶.

يسر الغربي: وضم كل من يسر الوديان، بلاد القيطون، زموري ⁷، تبلغ مساحته 8925 هكتار. 12. آر. 60 سنتيار ⁸.

يسر الأواد سمير: بلغت مساحته 7558 هكتار. 06. آر. 20 سنتيار وعدد سكانه 3345 نسمة ⁹. ويضم أولاد سمير، برج منايل، إضافة إلى تورة Teura، أولاد موسى، قبة سيدي سليمان، سيباو القديم (Sebaou El Kedine)، آيث ثور (بني ثور) دلس، آيت سليقم (بني سليم) ¹⁰.

يفصل وطن يسر عن سيباو واد النسا (واد بوبراك) الذي يخترقه واد يسر الذي ينبع من سهل حمزة ¹¹ يبلغ طول هذا الواد 230 كلم؛ فهو يشبه النهر الصغير يتشكل

1 - عقاد، المرجع السابق، ص 20، 21.

2 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 454، 455.

3 - Rinn Louis, Le Royaume d'Alger sous le dernier dey, A. Jourdan, Alger 1900, pp 29.

4 - نسيم حسبلاوي، برج منايل عبر التاريخ من الممالك النوميديّة إلى الجمهورية الجزائرية من القرن 3 ق.م إلى 2010 م، ط1 مطبعة ألوان أوفيس، الجزائر، 2010، ص 19.

5 - Rinn, op.cit, 29.

6 - حسبلاوي، المرجع السابق، ص 17.

7 - Rinn, op.cit, 29.

8 - حسبلاوي، المرجع السابق، ص 17.

9 - نفس المرجع، ص 19.

10 - Rinn, op.cit, 29, 30.

11 - E. Pellissier de Reynaud, Annales Algériennes de 1848-1854, T01, librairie militaire 1854, p 89.

من اجتماع مياه واد المالح وواد الزروة المنحدرين من الكاف الأخضر ومن مياه جبل ديرة، له عدة روافد عند مروره بالجبال مثل واد عزيز وواد الزيتون اللذان ينبعان من أرض مصباحة ويصبان فيه عند جسر بني هني، يصل عمق الواد 1000م عند مضيق باليسترو الذي يربطه بالساحل، كما يصب في البحر عند رأس جنات¹، و يبلغ عرضه ناحية مرداس 04 فراسخ² وناحية تامنفوست 08 فراسخ، بعض منابعه من الجبال ناحية الجنوب والجنوب الغربي يطلق السكان على جهته الشرقية واد عزيز وعلى جهته الغربية واد الزيتون لتواجد كمية كبيرة من الزيتون على أطرافه³.

تغطي المستنقعات وطن يسر على مساحة صغيرة على ساحل البحر أما الباقي فهو أرض خصبة كانت تستغل بطريقة جيدة تبلغ مساحتها 16.158 هكتار و49 آر و20 سآ، فيه 100 حوش (ملكية زراعية) بها 2000 نسمة، أشهرها حوش القطنة المعروف ببرج القطنة الواقع على الضفة اليسرى لواد يسر تصل مساحته 689ه و89آر و85 سآ، يستغله البايك عن طريق أهالي الزمول (المخزن) تحت إشراف آغا العرب، ليصبح لاحقا ملكا لعائلة بن كانون بحجة أنه كان لشيخهم شواش آغا العرب⁴، إضافة إلى حوش الزاوية الذي تعود ملكيته للباييك أيضا مساحته 207 هكتار و61 آر و05 سآ، استحوذ عليه الاحتلال الفرنسي سنة 1848م رغم مطالبة الوريث سيدي إبراهيم به⁵.

1- وطن الخشنة: يحده شمالا البحر المتوسط حيث يلامس ساحل مدينة الجزائر عند مصب واد الحراش أسفل الدار المريعة، ويحده جنوبا بني جعد، غربا بني موسى وشرقا وطن يسر، فهو يقع بين البحر من مصب واد الحراش إلى مرسى الدجاج (زموري) وشرقا واد المرجا ويسر، جنوبا واد السمار يقطن به تقريبا 2500 أسرة أغلبهم يتمركزون في منطقة الفندق (الحمين)⁶.

1 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 52، 53.

2 - الخشنة الفرسخ يساوي ما بين 04 إلى 05 كلم.

3 - Dr shaw, Voyage dans la régence d'Alger, trad de l'Anglais par J.Mac. Carthy 2ème ed. Bouslama, Tunis, 1980, p 310.

4 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 104، 105.

5 - نفس المرجع، ص 101، 102.

6 - E. Pellissier de Reynaud, op.cit., p 86.

7 - Rinn, op.cit, p 29.

8 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 455.

يرأس وطن الخشنة قائد تمتد سلطته من عمال وبني عايشة حتى يسر، يقدم للبايلك هدايا في عيد الفطروعيد الأضحى تسمى هدايا بيرم، تقدر ب16 بوجو (2976 فرنك)². وينقسم وطن الخشنة إلى:

خشنة السهل: به 06 مجموعات أساسية وهي هراوة، أولاد هداج المرجة، أولاد بسام، أولاد سعد، بن جنان، إضافة إلى زروالته، أولاد أيوب، مسردة، بن كانون، تالة أو لقصر، بن زيتة، مسويرة، بني مسيئنة، الدار المربعة، الدار البيضاء، رويبة، عين طاية، برج البحري (matifou)، رغايتة، حمادي، الفندق، رابطة، الأربعاش، بودواو (Alma)³.

خشنة الجبل: وبها 05 مجموعات أساسية، بني عايشة، بني عمران، دبارة، بوثقوبة (Boutekouba)، بني خليفة، إضافة إلى الثنية، سوق الأحد، زموري، زعاترة، دوار الخشنة⁴، عمال وعرب الزواتنة، وهي قبائل غنية بالزيتون الذي يسوق إلى مدينة الجزائر⁵.

يوجد بوطن الخشنة 185 حوش يسكنها 3700 نسمة⁶؛ وهي مراعي خصبة وأراضي صالحة لزراعة الحبوب، قدرت مساحة الأرض المحروثة في سهل الخشنة 26575 هكتار منها 22269 هكتار 56 أ و 77 سأمقسمة على 72 حوش. تروى من عدة أودية منها واد الحمير، الرغايتة، قدارة، بودواو، قورصو، ومن أهم أحواشه حوش الرغايتة الذي يقع على الضفة اليمنى لواد الرغايتة، تحول سنة 1813م إلى ملكية البايلك، وقد وسعه آغا العرب عمر عن طريق شراء عدد من الملكيات الخاصة لتصبح مساحته حوالي 3200 هكتار، أما يحي آغا العرب فقد قام ببناء إسطلب به 200 حصان والمئات من رؤوس الماشية التابعة للبايلك كما حسن إنتاج الحبوب والخضر والفواكه به، لكن الحوش تعرض للتخريب سنة 1830م من طرف القبائل المجاورة وتم هجره إلى غاية 1834م عندما باعه أبناء عمر باشا

1 - الزهار، المصدر السابق، ص 48.

2 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 190.

3 - Rinn, op.cit p29. - E. Pellissier de Reynaud, op.cit p 87.

4 - Rinn, ibid p29.

5 - E. Pellissier de Reynaud, op.cit, p 87.

6 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 453.

7 - نفس المرجع، ص 107.

8 - E. Pellissier de Reynaud, op.cit, p 86.

باعتبارهم وورثته بثمان زهيد لكل من المعمرين Saussine و Mercier¹.

الإدارة العثمانية بالمنطقة:

لقد طوق الأتراك المنطقة بدءاً من دلس - بالحصون والأبراج منها برج سيباو، برج منايل، برج بوغني، برج حمزة، برج سور الغزلان، زمورة، تيكلا Teklat ثم بجاية، ثم حصن تامقوت الذي أسسوه سنة 1603م²، كما أنشؤا بها قبائل المخزن³ التي تم توطين بعضها بعد مغادرة القبائل الأصلية لأجزاء من أراضيها، منها مخزن حرشاوة وعبيد آقبو وشعبة العامر بيسر، ومخزن الزوانتة بيسر وزمول⁴ بني هارون⁵ ومخزن أم نايل (برج منايل) والخشنة، بني عايشة وعمراوة بسيباو، وغيرها من الزمول التي كانت تقوم بحراسة الأبراج والحصون والمواقع الإستراتيجية والأسواق الأسبوعية والموسمية والقناطر والجسور ومستودعات الحبوب والخوانق⁶، كما تتحكم في نقاط المرور الرئيسية الرابطة بين دار السلطان والمقاطعات (الأقاليم) الأخرى⁷.

وقد منح البايك لهذه القبائل المخزنية الأراضي لحرثها وهو ما أشار إليه الزهار بقوله: «ويعطونهم تلك البلاد يحرثونها ويكسونهم كل عام ويعطونهم الخيل والسلاح وهم يعيشون هناك مقابلين للجيال»⁸.

1 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 108.

2 - Berbrugger (A), *Les époques militaires de la grande kabylie*, Bastide, Alger, 1857p 138.

3 - عرفها سعيدوني على أنها: تجمعات تعمرية اصطناعية متميزة في أصولها، مختلفة في أعراقها، فمنها من أقره الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها لتكون سندا لهم، ومنها من أعطيت لها أراضي تستقر عليها، ومنها من استقدم كأفراد مغامرين ومتطوعين من جهات مختلفة ليؤلفوا جماعة عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية... () .

4 - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 207.

5 - الزمالة: هم أشخاص شردوا من أوطانهم نحو الحدود الجزائرية، سمح لهم الباشا بالمكوث شريطة مده بالفرسان. - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تج وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، ش.ون.ت، الجزائر، 1981، ص 39.

6 - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، ط3، دار هومة، الجزائر، 2011م، ص 291.

7 - سعيدوني، ورقات جزائرية...، ص 217، 218.

8 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 432.

9 - الزهار، المصدر السابق، ص 48.

القبائل المخزنية:

لقد ارتبطت الإدارة العثمانية بالأرياف عن طريق قبائل المخزن التي كانت بمثابة الوسيط بين السلطة والرعية، والملاحظ أن هذا التنظيم كان معتمدا في بلاد المغرب الإسلامي حتى قبل التواجد العثماني بالمنطقة، حيث كان السلطة تلجأ لبعض القبائل لتدعيم قواتها على مستوى الأرياف.

-مخزن عمراوة:

تتواجد أراضيها بالجهة الشرقية لوطن يسروفي حوض سيباو، تدعم مجموعة من الأبراج (برج منايل، سيباو، تيزي وزو)، حيث بإمكانها تجنيد 500 فارس تحت إشراف قائد سيباو، تستغل 20 ألف هكتار من أراضي البايك عن طريق 16 زمالة وهي كاف العقاب برج سيباو، تاورقت¹، ذراع بن خدة، سيدي نعمان، ليتامة، التي تشكل عمراوة السفلى، أما زمالة أولاد بوخالفة وتيزي وزو، وعبيد شمالل وتيميزار لغبار واغيل أورايح، تالة عثمان، تيقوبعين، شيخ أومدور، تامدة، المقلع فهي تشكل عمراوة الفوافة².

للمخزن استقلالية كبيرة عن آغا العرب الذي لا يمكنه تجنيد بعضهم لبعدهم عن دار السلطان وبسبب علاقتهم بالقبائل الشبه مستقلة خاصة فترات الحرث³، لذلك وعندما تمرد التيجانيون استدعى الآغا يحيى كل القبائل للمساعدة، فلبت عمراوة السفلى طلبه عكس عمراوة العليا التي لم ترسل إلا القليل من الرجال والخماسة، حيث تم تجنيد 200 فارس رغم الاتفاق بينهم الذي يقضي بعدم تجنيدها للفرسان إلا في أراضيها⁴. وتجدر الإشارة أن عمراوة السفلى (التحاتة) كانت أكثر ولاء للعثمانيين مقارنة بعمراوة العليا (الفوافة) التي كانت متقلبة في تعاونها مع الأتراك باستثناء مخزن عبيد شمالل، الذي كان ينسحب إلى برج

1 - شككت تاورقة مع بني جعد، بني وقتون، فليسة البحر صقلى يقع جنوب شرق دلس يتكون من 31 قرية، و6600 محارب. L., etudes historiques, la grande kabylie (E), Daumas - Hachette, Paris, 1847 p 26

2 - Robin, note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande kabylie» in R.A., N17:1873, pp 197- 198.

3 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 425.

4 - Robin(n.j), Note sur Yahia agha «in R.A., N18, 1874, p63.

تيزي وزو عند تمرد عمراوة العليا¹.

تواجد مخزن عمراوة قرب حصون برج منايل، سيباو، تيزي وزو، وقرية تامدا أين عمل على حراسة الجزء الأوسط للطريق المؤدي من الجزائر إلى بجاية²، ومراقبة الأسواق التي تقصدها القبائل المستقلة، كما يعمل على تأمين الطرق عند مرور وانسحاب قوات البايك القادمة من مدينة الجزائر كما يحمي الجهات الشرقية لمتيجة ووطن يسر من هجمات القبائل الجبلية التي كانت تغير على الحقول والبساتين من حين لآخر، كما حدث سنة 1758م، 1767م و1807م³.

بد قبيلة فليسة أو مليل: امتدت قبيلة فليسة من دلس إلى أزفون⁴، مقسمة إلى فليسة البحر وفليسة أم الليل، حيث استقرت هذه الأخيرة قرب حوض يسر⁵، وقد أشار الزهار أن أهل فليسة: «كانوا أناسا جهلة لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادتين... وفيهم من يتبع الكتاب والسنة... وكانوا يقتل بعضهم بعضا ويقطعون الطرقات على المسافرين ويذهبون إلى متيجة في الليل ويسرقون ويذهبون إلى جبالهم ويبيعون للسواقين (باعة متجولون) ما عندهم، والذي ذهب له ضالته يذهب للوقاف بجبلهم ويشترىها منهم» كما كانوا يحرمون البنات من الإرث، وإذا مات منهم أحد، يتزوج أخاه زوجته أو ابن عمه، وإذا لم تلزمه يزوجه لرجل آخر ويأخذ صداقا عليها⁶.

شكلت القبيلة مخزن تابع لقائد سيباو، وامتدت سلطتها على قبائل: واقنون، بني جناد، بني سليم، بني خلفون بني ثور⁷، حيث كان بإمكان القبائل القاطنة حول حوض دلس مثل بني سليم وبني ثور تجنيد 1400 محارب⁸. كما كانت القبيلة تساهم ب 500 ريال بوجو كضريبة للباييك بعد إخضاعها⁹، كما شكلت مع بني خلفون ونزليوة و04 فرق أخرى أقل أهمية حلف مكون من

- 1 - Robin, note sur l'organisation...., p198.

- 2 - Berbrugger, op.cit, p 138.

3 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 424.

- 4 - Robin (J.N),- **La Grande Kabylie sous le régime turc**, Ed, Bouchene, Alger, 1998., p 18.

5 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 154.

6 - الزهار، المصدر السابق، ص 28.

- 7 - E. Pellissier de Reynaud, op.cit, p 89.

- 8 - Daumas, op.cit, p 136.

- 9 - Robin op.cit, p 18.

146 قرية وبامكانهم تجنيد 6260 محارب¹.

وحسب «Daumas» فقد سميت بهذا الاسم لأنها دمرت العديد من معسكرات الأتراك ليلا، تزعمتها أقوى عائلة بالمنطقة وهي عائلة بن زعموم وهم من عرب الفتح الإسلامي استقروا قرب القيروان (Kairouan)²، وحسب «Guin» فهم أسلافهم بن قانة حكام بسكرة، اضطر جدهم يحي بن قانة لمغادرة جرجرة نحو فليسة أين تنازل له شخص من بني عمران يملك أراضي واسعة يدعى عبد العزيز عن جزء من أراضيها التي استقر بها، بعدها اتسعت الملكية بفضل شراء الأراضي فيما بعد من طرف زعيم الأسرة بوزيد، ومن 1715-1728 قادها بلقاسم بن طرنيش الذي خلفه ابنه أحمد الملقب بزعموم³، وهي كلمة بربرية منسية تعني الشجاع، أو ربما اشتقت من الصفة العربية «زعموم» ومن هنا حملت العائلة هذا اللقب⁴، ومنذ 1769م تزعمت قبيلة فليسة وخضع لها 14 عرش⁵، كما امتلكت أراضي واسعة سميت بعزيب زعموم⁶ في منطقة الناصرية حاليا. وكان لزعيما الحاج محمد بن زعموم مكانة لدى الداوي حسين، حيث كان يدخل عنده في أي وقت وله ختم معترف به لدى السلطنة⁷، مكتوب عليه «أصلح الله رأي جماعة فليسة وطهرهم من الأمور الخسيصة 1239هـ»⁸.

لقد مثلت هذه العائلة أرستقراطية عسكرية تمتد سلطة شيخها من تامنفوست إلى قيادة سيباو، حيث يقود العديد من القبائل انطلاقا من معسكره في برج القطنة، أين كان بإمكانه تجنيد حوالي 20 ألف متطوع للبايلك من 19 قبيلة من قبائل الأطلس المتيجي وغرب بلاد القبائل، فعند الغزو الفرنسي شارك بعدد من المتطوعين قدر عددهم ما بين 6000 إلى 7000 رجل⁹.

1 - Daumas, op.cit, p 145.

2 - Ibid, p 145.

3 - حسب «دوماس» فإنها تعني الزعامة وكلمة زعموم تعني الرجل ذو المكانة العالية والذي يضرب بالرمح (الطعان) وكذلك الذي يعطي الطعام. Daumas, op.cit, p 145.

4 - Robin, Les oulad ben zamoun, pp32,33.

5 - Rinn, op.cit, p32.

6 - Robin, Les oulad ben zamoun, p39.

7 - Daumas, op.cit, p 146.

8 - Guin, (M), « Notes historiques sur les Nezlioua, » in **R.A**, N°06, 1862, p 425.(marge)

9 - سعيدوني، الحياة الريفية.....، ص 427.

تم تخزين الخشننة: موطنها ما بين البحر والأطلس المتيجي، على ضفتي واد الحمير وتتكون من الفرق التالية الجوب، المراشدة، أولاد بسم، أولاد سعد، هراوة، وتعد الفرق القاطنة السهل بين الجبال ومستنقعات الحمير الأكثر غنى من بين القبائل منها 6 أو 7 دواير لها من 8 إلى 10 خيام ولكل دوار قطن ومواشي كثيرة؛ تتكون القبيلة من 2500 أسرة بها 700 فارس يتركز أغلبهم بمنطقة الفندق (الحمير) وبإمكان قائدها جمع 2000 مقاتل² وتخضع له القبائل الواقعة بين عمال وبني عايشة حتى إلى يسر³.

وإضافة إلى هذه القبائل المخزنية نجد قريبا زمالة عبيد آقبو، وزمالة أم نايل، وزمالة شعبة العامر، وزمالة بني هارون، وزمالة تيقوبعين بدلس⁴.

مخزن نزيوية: تتكون قبيلة نزيوية من 06 خروبات⁵ وهي: أولاد عيسى قدموا من الصحراء، قيروان وأصولهم من فراوسن، أولاد سالم وأولاد راشد قدم كلاهما من ونوغة في القرن 17م، أولاد شعاب هاجروا من أولاد عبد الله بزاوزة من الصحراء، شعبة اخلف مرابطي بني خلفون، تتواجد في أعالي واد يسر الذين شكلوا فرق الصبايحية تحت قيادة برج بوغني، قاموا بعدة انتفاضات ضد السلطة وانتقاما منهم قام قائد سيباو مصطفى بن حسن سوفا سنة 1806م بشن حملته ضدها عند اعتدائهم على أشخاص من بني عايشة، حيث قتل أكثر من 30 رجل في مكان يسمى «ذراع الريح»⁶.

تم ضم القبيلة لاتحاد فليسة ما بين سنة 1823-1824م التي كانت تحت قيادة الحاج محمد بن زعموم، الذي فرض عليها غرامة سنوية قدرت ب 100 فرنك سنويا، عندما هاجمت مع حلفائها قافلة بني جعد، وأعاد لها ما تم سرقة منها⁷.

ولما عين يحيى بن مصطفى آغا العرب ما بين 1818-1828م، أخضعها وجعلها

1 - نفس المرجع، ص 102.

2 - نفس المرجع، ص 455.

3 - الزهار، المصدر السابق، ص 48.

4 - Rinn, op.cit., p 23.

5 - الخروية: تطلق على الوحدة الاجتماعية في نفس الحي به عائلات يجمعها النسب والقرابة.

6 - Guin, op.cit, pp424,425.

7 - Ibid, pp426,427.

8 - Robin, Note sur Yahia agha , p59.

قبيلة مخزنية تابعة لبلقاسم بن بوجمعة من نزليوة قائد برج بوغني¹، الذي أنشأه القائد محمد بن علي الذباح حوالي عام 1724م²، ويتحكم في قبائل قشتولة، بني صدقة، نزليوة وبني خلفون، أين عمل على الحد من تحركاتها التي شكلت خطرا على البايلك منذ منتصف 18م³، والملاحظ أيضا أن السلطة المركزية اعتمدت على مرابطي تازروت التابعين لنزليوة في جمع الضرائب بها⁴.

ج- مخزن الزواتنة: يقع على ضفتي واد الزيتون بين قبيلتي بني جعد والخشنة، تشكل من الكراغلة الذين نفوا من دار السلطان⁵، الناجين من تمرد عام 1633م ضد السلطة استقروا على أرض اشترت من قبيلتي الخشنة وبني جعد على الضفة اليسرى لواد يسر في حوض واد الزيتون⁶. فبعد طردهم من مدينة الجزائر منهم من استقر نواحي زمورة ومنهم من التحق بالمناطق الجبلية أين أسسوا مخزن الزواتنة، الذي أصبحت له شهرة نتيجة خصاله العسكرية ونشاطه وشجاعته وذكاء أفراد⁷، وتجدر الإشارة أنه كانت تقطن واد الزيتون قبائل صنهاجية قبل أن تستقر به قبيلة (أولاد العزین) التي امتد تواجدها من بني هارون إلى بني خلفون (تاليوين)، والتي فقدت سيطرتها على المنطقة بقدوم الكراغلة في القرن 17م⁸.

يبعد مخزن الزواتنة عن مدينة الجزائر بـ 10 فراسخ شرقا⁹، وسمي بهذا الاسم نسبة لواد الزيتون الذي يشكل منطقة وعرة وهو أحد روافد واد يسر، لم يعد يحمل نفس التسمية اليوم بل «واد بوحمود»، وهو ينبع من أعالي بني خلفون ليصب في واد يسر بحيث تنحدر إليه مياه جبال كاف الدبوب، وكاف عالية وذراع السبت

- 1 - Guin ,op.cit,425.

- 2 - Robin, note sur l'organisation, p139.

3 - ناصر الدين سعيدوني، الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل»، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع20، أوت 2004م، ص208.

4 - شويتام أرزقي، «إمارة كوكو (1511-1767)» فعاليات إمارة كوكو بتيزي وزو، 30 سبتمبر 2010م، ص23

5 - سعيدوني، الحياة الريفية.....، ص 136.

- 6- Berbrugger, les époques, p 138.

7 - سعيدوني، الحياة الريفية.....، ص 425.

8 - سعيدوني، الشبكة الدفاعية.....، ص201..

- 9- Rozet et Carette, l'Algérie, l'univers ou histoire et description de tous les peuples,de leurs religions, moeurs, coutumes, etc. Didot frères, Paris, 1850,p 212.

مما جعله حوضا طبيعيا¹.

وينقسم مخزن الزواتنة إلى مجموعتين بودريالته ومصباحة تعملان على حراسة متيجة الشرقية وبلاد القبائل الغربية، وتأمين طريق الجزائر قسنطينة بين الحراش وبلاد حمزة²، وتحرس الجزء الأوسط لواد يسر³ كما تقوم بحراسة طريق البايك المتجه نحو قسنطينة، مهارة أفراده الحربية جعلته مهابا لدى القبائل⁴، وهو الأمر الذي جعل عمر باشا يستنجد بهم سنة 1809م من أجل الإطاحة بالداي علي باشا⁵.

يقود المخزن الحملات على المناطق الريفية المعادية للباييك مقابل امتيازات كإسقاط الضرائب الإضافية ما عدا الزكاة والعشور والسماح لأفرادها باستغلال الأراضي والتصرف في قبائل الرعية المجاورة لهم، وهو ما جعلهم قوة محلية تتمتع باستقلال إداري⁶ حتى أصبح المخزن مستعمرة عسكرية بداية القرن 19م بحيث يمكنه تجنيد 3000 محارب⁷؛ وحسب بعض المؤرخين فإن عدد القادرين منهم على حمل السلاح أواخر العهد العثماني من 08 إلى 10 آلاف نسمة⁸، ما جعله يحظى باحترام قبائل جرجرة وال تييطري و دفع بحكام الجزائر إلى إدماجهم في قبائل المخزن، وأصبح لأغلب أفراد مخزن الزواتنة المدرجين من صنف (جندي عامل) في المحلة الفصلية ومع النوبة أجر كل شهرين قدر بريال بوجو (2 فرنك فرنسي)⁹.

كما كان لمخزن الزواتنة سهل غني استغله أفراده جيدا¹⁰، لهذا تميز دون غيره من الزمالات كونه النموذج الوحيد لتعمير الريف واستغلال الأراضي المكثف، إضافة إلى بعض العناصر الكرغلية بزمورة ونواحي كوكو التي اشتهرت بالفلاحة واستصلاح الأراضي الجبلية الصعبة وتنظيم الري وتحسين نوعية الأشجار المثمرة

1 - سعيدوني، الشبكة الدفاعية...، ص 200.

2 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 425.

3 - Berbrugger, les époques ..., p 138.

4 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 136.

5 - سعيدوني، الشبكة الدفاعية...، ص 201، 202.

6 - نفس المرجع، ص 201.

7 - E. Pellissier de Reynaud, op.cit p 351.

8 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 427.

9 - سعيدوني، الشبكة الدفاعية...، ص 201، 202.

10 - Peyssonnel et Desfontaines, **Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger** T01, Librairie de Gide, Paris, 1838, , p 202.

خاصة الزيتون¹.

لكن بداية الاحتلال الفرنسي لوحظ على مخزن الزواتنة ميله للتعامل مع الفرنسيين، فقد كانوا يعرضون خدماتهم عليهم مثلما كانوا يفعلون مع الأتراك مقابل أجره لكل رجل مسلح²، وهو ما أثار الأمير عبد القادر الذي أراد سنة 1838م فرض غرامة عليهم قدرت بـ200 ألف فرنك عقابا على تعاونهم مع المحتل الفرنسي³.

2- الأبراج:

لقد طوقت السلطة العثمانية المنطقة بمجموعة من الأبراج من أجل الحد من تمردات القبائل في سهول متيجة ويسر، منها برج سيباو، برج بوغني، برج تيزي وزو، برج منايل⁴.

أ- برج سيباو: يقع عند سطح جبل ذراع الكروش شمال واد سيباو، فهو يشكل نقطة التقاء بين عدة طرق، الرابطة بين الجزائر ودرلس وتيزي وزو ومختلف الطرق الفرعية داخل منطقة القبائل⁵، أنشأ سنة 1679/1090م من طرف علي خوجة قائد وطن سيباو لكن هناك من يرجع تأسيسه إلى القائد محمد الذباح⁶ سنة 1718/1131م، وقد ورد اسم البرج لأول مرة في الوثائق سنة 1720/1133م⁷.

كان البرج مدعما بمدافع يتراوح عددها من 8 إلى 10، يديره قائد¹⁰ تحت

1 - سعيدوني، الشبكة الدفاعية...، ص 202.

2 - أدريان بريوجر، رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير عبد القادر 1837-1838م، ترجمة سعد الله أبو القاسم، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2005، ص 20.

3 - نفس المرجع، ص 32.

4 - Robin, note sur yahia agha, p 365.

5 - سعيدوني، الشبكة الدفاعية العثمانية... ص 204.

6 - Robin, note sur l'organisation, p137.

7 - عين قائد على برج سيباو عام 1737م خلفا لعمه حسين عثمان خوجة وسمي بالسفاح لتنفيذه حكم الإعدام في 200 شخص ذبحهم بيده ينظر: Robin, La grande Kabylie...

8 - سعيدوني، الشبكة الدفاعية...، ص 205.

9 - Robin, note sur l'organisation, p138.

10 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 473.

إشرافه 60 فارس يسمون بالمكاحلية¹، ألحقت إدارته لأغا العرب بدار السلطان بعد موت الباي محمد الذباح 1754م²، لكن «صالح عباد» يرجع نقل إدارته من بايلك التيطري إلى دار السلطان سنة 1769م عند تمرد قبيلة فليسة أو مليل³، وشملت قيادة سيباو كل من فليسة أو مليل، دلس، آث واقتون، فليسة البحر، آث جناد، آث الغبري، سيباو العليا، واد الحمام، آث عيسى، آث دوالمة، آث منزر، آث بطرون، آث خليفة وجزء من معانقة⁴.

ويعد إلحاقه بدار السلطان أصبح لقائد البرج مكانة لا تقل عن مكانة البايات، حيث يمكنه لبس القفطان و يدفع قائده سنويا 1000 سكة وله رتبة الباي والموظفين السامين⁵ وله نفس رسوم التولية وهدايا الزيارة ويدفع الدنوش، التي تقدر بألفي قلة زيت للبايلك و500 قلة لأصحاب العوايد، ألف قنطار تين جاف، و100 قنطار شمع و500 صاع قمح ومثلها شعير⁶، شكلت قيادته قوة معتبرة في العهد العثماني، حيث منح لقائده حق الحياة والموت⁷، كما كان يحصل على ضرائب عينية وقندية تدفعها له 20 قبيلة ببلاد القبائل التي يستخلصها الشيوخ التسعة التابعون لقائد برج سيباو⁸ الذين كانوا تزعموا قبائل بني ثور، بني خلفون، بني سليم ونزليوة⁹.

تجدد الإشارة أن البرج كان له دور كبير في إخضاع المناطق الصعبة بمنطقة القبائل وتصدى للكثير من التمردات التي قامت بها قبائل جرجرة، وهو ما جعله يتعرض للمحصارة والحرق والهدم عدة مرات.

برج أم نايل: أسس في القرن 17 ببلاد يسر قرب معسكرات زمالة أم نايل وعبيد أقبو¹⁰. لكن هناك من يشير أنه بني في نفس الوقت الذي بني فيه برج سور الغزلان

1- Robin, note sur l'organisation, p199.

2- سعيدوني، الشبكة الدفاعية.....، ص 205.

3- صالح عباد، المرجع السابق، ص 290.

4 - Robin, note sur l'organisation, p197. - Robin, La Grande Kabylie, p55.

5 - Venture D.P, op.cit, p 13. (Marge)

6- الزهار، المصدر السابق، ص 47.

7 - E. Pellissier de Reynaud, op.cit, p 89.

8- سعيدوني، الشبكة الدفاعية.....، ص 205.

9 - Robin, note sur l'organisation, p201.

10 - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية.....، ص 473.

سنة 1594م، من أجل حماية سهل يسر من هجمات القبائل المجاورة¹، تعرض البرج للتدمير سنة 1718م من طرف القبائل التي رفضت دفع الضرائب، نتيجة الزلازل والجفاف الذي دام 06 سنوات أعقبه موجة جراد أدت إلى المجاعة، لذلك ثارت القبائل ودمرت البرج ونهبت السهول².

الملاحظ أنه بعد تأسيس برج سيباو فقد برج منايل صفته العسكرية وأصبح سكن للوكيل التركي المشرف على خدمة أراضي البايك المجاورة له³، ثم يصبح عبارة عن مستودع للقبائل المخزنية⁴، أين سكنه آغاوات فليسة أم الليل مثل محمد بن زيتون ومحمد بلحاج⁵.

3- تمردات القبائل بالمنطقة:

شهدت المنطقة عدة تمردات خاصة من طرف قبائل فليسة أو مليل التي هاجمت الأبراج التركية مثل برج سيباو، برج تيزي وزو، برج بوغني بأم نائل⁶.

- تمرد عدة مرات منها سنة 1767م ووصلت قواتها حتى مدينة الجزائر، واغتالوا قائد برج سيباو الحاج محمد بن حسان، مما اضطر البايك لتجهيز عدة حملات ضدها، أين ضربت حصارا عليها ومنعت المؤونة عنها، مما اضطرها إلى طلب الأمان سنة 1769م، بسبب المجاعة مع دفع القبيلة ضريبة سنوية تقدر ب 100 ريال بوجو شرط عدم تدخل السلطة في شؤونها الداخلية، ولا تقوم بأعمال السخرة البايك⁷، وهو ما أشار إليه الزهار بقوله: «... لا يخافون الله ولا يخشون الأمير، مانعين الزكاة والأعشار، بعث لهم الأمير محلة 1181هـ (1767م) وقاتلهم فهزموا المحلة الأولى والثانية إلى أن بعث لهم سبعة أمحال... ومات خلق كثير من الجانبين فعند ذلك طلبوا الأمان من الأمير وادعوا التوبة من صنيعهم وتعهدوا بدفع الزكاة والأعشار كل سنة، فجعل الأمير لهم أشياخا...»⁸.

- 1 - Robin, note sur l'organisation..., p 134.

- 2 - De Grammont (H), *Histoire d'Algérie sous la domination Turque (1515-1830)*, E. Leroux, Paris, 1887, p 279

- 3 - Robin, note sur l'organisation..., p 207. marge

- 4 - Rinn, op.cit, p 23.

- 5 - Robin, note sur l'organisation..., p 207.

6 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 154.

- 7 - Robin, les oulad ben zamoum..., pp37-39.

8 - الزهار، المصدر السابق، ص 28.

- ثم تمرت مرة أخرى سنة 1790م بسبب آغا العرب مصطفى بن مصطفى الذي لم يعجبه عدم خضوعها للضرائب مثل غيرها من القبائل، وهو ما طرحه على شيخها الحسين بن زعموم الذي رد عليه، بأن القبيلة ستدفع له الضرائب في حال هزمتها، وهو ما جعل الآغا يستغل شكوى قدمها المرابط سي أحمد العمروسي ضد الشيخ لقتله رغم معارضة مساعديه، وما أدى إلى تمرد القبيلة بقيادة الابن محمد بن زعموم¹، الذي طلب الأمان في عام 1799م، وحدثت هدنة بينه وبين قائد يسر محمد بن كانون مقابل إلقاء القبيلة سلاحها والتزام الأتراك باحترام حرياتها وامتياز أفرادها بسهل يسر ومنحهم حق دخول الأسواق²، مع دفع 50 ريال بوجو لكل قبيلة تابعة لها³.

- لتعود مرة أخرى للتمرد سنة 1814م بعد منعها مرور المحلة آغا المتجهة إلى بوسعادة وعين ماضي بعد تمرد القبائل بهما، مما اضطر قائد المحلة محمد بن كانون إلى الفرار إلى برج منايل والتحصن به، وبعد إرسال الدعم من الجزائر، خضعت القبيلة التي فرض عليها آغا العرب غرامة تعويض الخسائر وتوفير بندقية و10 ريال عن كل بيت يجمعها قائد سيباو، لتعود للتمرد عام 1815م، حيث أحرقت معسكر الروافع وطردت الحامية العسكرية منه⁴ وعقدت هدنة 1816م نصت على دفعها 500 بوجو (900 إلى 1000 فرنك) للبايلك سنويا مقابل الأمان⁵.

وفي سنة سنة 1818م تحالفت مع قبائل سيباو العليا وآت واقنون وآت إيرتان وهاجمت برج منايل وبرج سيباو الذي احتفى به الأتراك من برج بوغني الذي دمروه. الواقع الاقتصادي للمنطقة خلال العهد العثماني:

لقد كان لدار السلطان 862 حوش (مزرعة)، منها 185 حوش في وطن الخشنة و100 حوش في وطن يسر، استفاد مخزن هذا الأخير ومخزن الزواتنة من عزل البايلك الذي أغلبه في يد العائلات الكبرى التي تنتمي للقبيلة المخزنية يأخذ منها البايلك 12

- 1 - Robin, les oulad ben zamoum,p42..

- 2 - Boulifa (S.A), **Le djurdjura à travers l'histoire depuis l'antiquité jusqu'à 1830**, J.Bringou, Alger, 1925,p 271.

- 3 - Robin, les oulad ben zamoum,p42..

- 4 - Ibid,pp46,47.

- 5 - Boulifa, op.cit, p 283.

- 6 - Ibid, p 298.

صاغ قمح ومثله شعير على الجايذة الواحدة أي أقل من 50% مما يزرعه الفلاح¹.
مخزن يسر كان يسخر قبائل الرعية للخدمة في الأحواش التي يستغلها بأم نايل²
أما بمنطقة سيباو فتوزع عزل (أراضي) البايك على شيوخ بني ثور، بني خلفون،
بني سليم، نزلية، وبتاورقة على عطوش، حمامة، وبمخزن عبيد شمال على
بني عيسى وطارفة³ كما احتكر أهل يسر و الزواتنة وعمال تزويد مدينة
الجزائر بزيت الزيتون⁴.

كما كانت قبائل عريب آقبو (يسر الشرقي) تملك 144 زويجة و2532 رأس
غنم و333 رأس ماعز و678 من البقر و105 خيول وبغال وحمير⁵. وحسب دفتر
العشور كان بوطن يسر 7095 زويجة يؤخذ منها 9636 صاع (28908 بوجو⁶
أي 5376888 فرنك، أما وطن الخشنة فيه 1082 زويجة يؤخذ منها 6492 صاع،
19476 بوجو أي 3622536 فرنك)، أما الشعير فكان وطن يسر به 6061 زويجة
يؤخذ منها 6369 صاع (45414 بوجو 2688442 فرنك) أما وطن الخشنة به 1082
زويجة يؤخذ منها 4926 صاع (7389 بوجو 1811268 فرنك). وكان سعر صاع
القمح 3 بوجو وصاع الشعير 5 بوجو، كما كان يتوجب دفع 30% من الربح
من أرباح الصوف، الزيدة، العسل، الشمع، ولا تطبق ضريبة الزكاة على الخيل،
البغال والحمير⁷.

وحسب الإحصائيات فإن محلة برج سيباو قبل الاحتلال الفرنسي جمعت 2000
كيس شعير، ألف كيس قمح، 100 كيلة زيت، 100 حمولة تين، 164 كيس⁸،
كانت القبائل تضطر لدفع هذه الضرائب مقابل حصول أفرادها على تصاريح
للتنقل داخل البلاد وممارسة التجارة في أسواق المنطقة مثل سوق الخميس بوطن
يسر الذي يقام على ضفتي واد يسر، وسوق الأحد الذي يقام بين ثنية الأحد وبني
عمران وسوق الاثنين بشعبة العامر وسوق الأربعاء بعزيب بني زعموم⁹. أما بوطن

1 - د عقاد، المرجع السابق، ص 102.

2 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 229.

3 - Robin, note sur l'organisation, p 201.

4 - سعيدوني، النظام المالي...، ص 26.

5 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 317.

6 - 1 بوجو = 1.86 فرنك.

7 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 180، 179.

8 - Robin, la garnde kabylie,, p 18, 19.

9 - سعيدوني، الحياة الريفية...، ص 282.

الخشنة فيوجد سوق الخميس (سوق الحمير) على الضفة اليمنى لواد الحمير عند سفح جبال عمال تقصده قبائل الأطلس الصغير وقبائل عرب متيجة للبيع والشراء¹، إضافة إلى سوق الجمعة في سفح جبال عمال قرب عيون غزيرة المياه².

أما الضرائب العينية فكانت متنوعة منها الغرامة التي كانت نادرة في بعض الجهات المعادية قبائلها للسلطة مثل قبائل واد الزيتون وبني هارون التي كانت ترفض دفعها إلا تحت التهديد والقوة، أما قبائل بني هني في جهة يسر لم يكن البايك يأخذ منها إلا واحد (01) موزونة عن كل فرد وهي غرامة رمزية لتأكيد نفوذ البايك عليها، وليبعدوا خطرها عن الطريق السلطاني المتجه نحو قسنطينة³.

أما المعونة فقد كان البايك يأخذها من قبائل وطن الخشنة والمقدرة بـ20 ريال بوجو⁴ أما اللزمة عن وطن الخشنة فقد قدرت بـ3330 ريال بوجو (حوالي 81938 فرنك)⁵ كما كان البايك يأخذ من قبيلة فليسة أو مليل 500 ريال بوجو و2000 صاع شعير و100 صاع قمح و100 حمولة زيت ومثلها تين و64 كبش سمين و100 كبش عادي، أما بقية قبائل يسر وحوض سيباو فكانت تدفع ضرائب عينية من شعير، قمح، زيت، تين وأغنام⁶.

أما فيما يخص الإنتاج الفلاحي والصناعي فقد كانت قبائل يسر تربي الماشية وتزرع الحبوب وتنتج التين⁷، كما اشتهرت بتربية وبيع الخيول لبايك التيطري كل سنة من أجل إعداد المحلة لجمع الضرائب، والتي يعيد البايك بيعها بعد انتهاء العملية⁸، كما كان ينتج الفحم وكميات كبيرة من الزيتون بواد الزيتون⁹، أما الصناعة فيشتهر أهل فليسة بصناعة البارود والأسلحة خاصة السيوف التي لها سمعة في الجزائر¹⁰، كما يصنعون السكاكين، سكك المحارث، خشب

1 - بربر وجر، المصدر السابق، ص 21.

2 - سعيدوني، الحياة الريفية.....، ص 282.

3 - عقاد، المرجع السابق، ص 110، 111.

4 - سعيدوني، الحياة الريفية.....، ص 182. - نفس المرجع، ص 111.

5 - سعيدوني، نفس المرجع، ص 182. - عقاد، المرجع السابق، ص 109.

6 - Robin, l'organisation...., p 200. - Robin, la grande kabylie...., p 48.

7 - سعيدوني، الحياة الريفية.....، ص 139.

8 - Federman(H) / Aucapitaine(H), «Notice sur l'histoire et l'administration du beylik de Titteri», R.A N°11, 1867, p294.

9 - E. Pellissier de Reynaud, op.cit, p 356.

10 - Ibid, p 89.

البنادق، المعاول، الأحذية، وحاكاة الملابس الصوفية والبرانس، والحيالك للنساء والشاشية، الفخار، وينتجون زيت الزيتون.¹

أما بخصوص التجارة الخارجية فقد كانت المنطقة تصدر القمح إلى أوروبا عن طريق خليج صغير محصن جيدا اسمه «جنات» وحسب «د. شو» من المحتمل أن يكون هو مرسى الدجاج،² أما مدينة دلس التي بنيت على أنقاض مدينة رومانية Rusucurum والتي يبدو أن أصل اسمها فنيقي مقسم إلى قسمين Rusa وتعني خليج و Cara وتعني سمكة (خليج السمك) لأنها غنية بالأسماك،⁴ وهو ما أشار إليه مارمول كريخال بقوله: «سكانها بين صباغ وصياد... وبهذه الجهة أراضي واسعة يوجد بها القمح وتكثر الماشية، يلقي البحر إلى ساحلها أسماك كثيرة، فليتقط السكان منها كفايتهم، ثم يعيدون ما فاض عن حاجتهم إلى البحر...»⁵

كان بها ميناء تخرج منه السفن محملة بالقمح نحو أوروبا ما بين 3 إلى 4 حمولات قمح فقط وهو ما أشار إليه فونتير دو برادي (Venture.D.p) سنة 1787م، فهو ميناء سيء لأنه مفتوح ناحية الشرق حيث تضيع السفن، لذلك وجب اختيار الوقت المناسب لشحن البضائع من قمح، شعير وفول، وكان قائد الميناء تابعا لباي التيطري، حيث يدفع له 2000 قرش إضافة إلى عدد من الأبقار.

خاتمة:

مما سبق نستنتج أن منطقة بومرداس خلال العهد العثماني كانت تشكل نقطة عبور وحلقة تواصل بين دار السلطان وبايلك الشرق ومنطقة زواوة، التي كانت تقطنها قبائل ممتنعة على السلطة والتي سببت الإزعاج للبايلك، مما اضطره إلى إنشاء الأبراج وتوطين قبائل المخزن من أجل التحكم في المنطقة.

1 - Daumas op.cit, p 26.

2 - Shaw, op.cit, p 311.

3 - يبدو أن «د. شو» أخلط هنا بين «جنات» (كاب جنات) و مرسى الدجاج (زموري البحري)

4 - Rozet/Carrete,op.cit, 66.

5 - كريخال مارمول، إفريقيقا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج3، المعرفة، الرباط، المغرب الأقصى، 1989م، ص 372.

6 - Venture,op.cit, p 22.

7 - Ibid, p 13.

المصادر والمراجع:

- بريروجر أدريان: رحلة وفد فرنسي لمقابلة الامير عبد القادر 1837-1838م ، ترجمة سعد الله أبو القاسم، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2005.
- حسبلاوي نسيم، برج منايل عبر التاريخ من المماليك النوميديّة إلى الجمهوريّة الجزائرية من القرن 3ق.م إلى 210م، ط1 مطبعة ألوان أوفيست، الجزائر، 2010.
- ابن رقية التلمساني محمد بن عبد الرحمن، «الزهرة النيرة بما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جند الكفرة»، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، عدد 03، 1967.
- الزهار أحمد الشريف، مذكرات نقيب أشرف الجزائر، تقديم أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1972م.
- سعيدوني ناصر الدين، الشبكة الدفاعية العثمانية حول بلاد القبائل»، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع20، أوت 2004.
- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي في الجزائر أواخر العهد العثماني 1792-1830، ط3، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- سعيدوني ناصر الدين، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني 1791-1830م، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
- شويتام أرزقي، «إمارة كوكو (1511-1767)» فعاليات إمارة كوكو بتيزي وزو، 30 سبتمبر 2010م.
- عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، ط3، دار هومة، الجزائر، 2011م.
- عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية بالجزائر 1519-1830م دار السلطان نموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2014م.

مارمول كريكال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، ج3، المعرفة، الرباط، المغرب الأقصى، 1989م.

المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا إلى الجزائر 1766-1791م، م.و.ك، الجزائر، 1986م.

ابن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، ش.ون.ت، الجزائر، 1981.

- Berbrugger (A), Les époques militaires de la grande kabylie, Bastide, Alger, 1857.
- Boulifa (S.A), Le Djurdjura à travers l'histoire depuis l'antiquité jusqu'à 1830, J.Bringou, Alger, 1925.
- Daumas (E), la Grande kabylie, etudes historiques,,L.Hachette,Paris,1847.
- De Grammont(H), Histoire d'Algérie sous la domination Turque (1515-1830), E. Leroux ,Paris, 1887.
- Dr shaw,Voyage dans la régence d'Alger, trad de l'Anglais par J.Mac.Carthy 2ème ed. Bouslama, Tunis ,1980.
- .Pellissier de Reynaud, Annales Algériennes de 1848,-1854,To1,librairie militaire1854.
- Federman(H) et Aucapitaine(H), «Notice sur l'histoire et l'administration du beylik de Titteri», R.A N°11, 1867.
- Guin, (M), « Notes historiques sur les Neqlioua,»in R.A, N°06, 1862.
- Peyssonnel et Desfontaines, Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger, To1, Librairie de Gide, Paris, 1838.
- Rinn Louis, Le Royaume d'Alger sous le dernier dey,A.jourdan, Alger ,1900.
- Robin (J.N),- La Grande Kabylie sous le régime turc, Ed, Bouchene, Alger, 1998.
- Robin(N.j)» Les oulad ben zamoun» R.A,N19,1875.
- Robin(n.j), Note sur Yahia agha «in R.A, N18, 1874.
- Robin, note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la grande kabylie» in R.A, N17,1873.
- Rozet et Carette, l'Algérie, l'univers ou histoire et description de tous les peuples ,de leurs religions, moeurs, coutumes, etc. Didot frères, Paris, 1850.
- Venture de paradis, Alger au XVIIIe siècle (1788-1790), E. Fagnan, 1898.



الفصل الثاني

ذاكرة شعبٍ مقاوم



قراءة تاريخية في سيرة الملك نوبيل وأثاره في منطقة بومرداس

د. سامية معوشي - جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة

أ. نوال مغاري أستاذة مساعدة (أ) - جامعة لونيبي علي - البلدية 2

- مقدمة

- تعريف الملك فلافيوس نوبيل

- أبناء فلافيوس نوبيل

- وراثثة العرش بعد وفاة فلافيوس نوبيل

- المجال الجغرافي لمملكة فلافيوس نوبيل وأبنائه

- المخلفات الأثرية للملك فلافيوس نوبيل وعائلته

- خاتمة

مقدمة

لقد واجه الرومان عند محاولة استكمالهم احتلال بلاد المغرب القديم مقاومة تميزت بشكلين مختلفين، مقاومة ثقافية تمثلت في البداية في تمسك الأهالي بقيم هويتهم من دين ولغة، وبعد اعتناق بعضهم للمسيحية اتخذوا منها سلاحا للمقاومة في مظهر ديني معارض للكنيسة الكاثوليكية، فبرزت حركة الدوناتيين المؤيدة لجموع الفلاحين الناقمين. أما المظهر الثاني فتمثل في الثورات والانتفاضات التي شملت أنحاء المغرب القديم عموما وموريطانيا القيصرية خصوصا، هذه الأخيرة التي ظهرت بها مقاومة عسكرية مناهضة للوجود الروماني تزعمتها أسرة فلافيوس نوبيل التي شملت ثورتها ولاية بومرداس ثم اتسعت لتشمل رقعة واسعة امتدت إلى غاية وادي الشلف. فمن يكون فلافيوس نوبيل؟ ما هي العلاقة التي جمعت بالسلطة الرومانية؟ ما هي المخلفات الأثرية التي لها صلة بتاريخ فلافيوس نوبيل وعائلته بمنطقة بومرداس وغيرها؟

1. تعريف الملك فلافيوس نوفيل أو نوبيل (Flavius Nuvel/Nubel):

يعتبر «نوبيل»⁽¹⁾ أحد أقوى أمراء موريطانيا القيصرية⁽²⁾، التي تمتد رقعتها الجغرافية من واد «ملوشا/Mulucha» (ملوية) غربا إلى الواد الكبير (Ampsaga) شرقا، ومن الساحل المتوسطي شمالا إلى جيتوليا جنوبا⁽³⁾. ويعود أصله حسب المؤرخ اللاتيني «أميان مارسيلين» (Ammien Marcellin) إلى قبيلة «جوباليني» (Jubaleni)⁽⁴⁾، التي تنحدر من منطقة سلسلة جبال البيبان⁽⁵⁾.

لم يكن «نوبيل» ملكا على قبيلة «جوباليني»، بل كان هو نفسه وبعده ابنه «فيرموس» يتمتع بسلطة ونفوذ واسعين على العديد من القبائل، ويكفي الاستشهاد هنا بما فعل أبناؤه الشرعيون في حربهم ضد روما، فقد

1 - إن المعطيات المتوفرة لدينا حول هذه الشخصية محدودة أوردها المؤرخ الروماني أميان مارسيلين، وذلك في إطار حديثه عن مقاومة ابنه فيرموس وجيلدون.

2 - Ammien Marcellin, *Histoire de Rome*, Trad. Collection des Auteurs Latin, Livre XXIX, paris, 1860, Chap.5, 2.

3 - عبد الحميد بعبطش، «مدن مقاطعة موريطانيا القيصرية من خلال المصادر الأدبية والمادية»، أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والانسانية، مج.02، ع.01، جامعة باتنة، الجزائر، مارس 2020، ص.170.

4 - Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5,44.

5 - Yves Modéran, «Gildon, Les Maures et L'Afrique», Mélanges de L'Ecole Francaise de Rome, Tome.101, N°.2, 1989, p829.

تمكنوا من تعبئة القبائل لمساندتهم دون قتال من «البافاريين» (Bavares) في شمال سطياف إلى «مازيكس» (Mazices) في وادي الشلف، على العكس من ذلك كان على «سماك» الابن الغير الشرعي لـ «نوبيل» أن يقاتل لفرض سلطته على القبائل التي احتشدت لاحقا دون قتال تحت راية «ماسكيزال» الذي أرسله فيرموس⁽¹⁾.

عرف والد «نوبيل» باسم «ساتورنينوس» (Saturninus)، تم تشريفه بلقب (Ex Comitibus)، وهو على الديانة المسيحية مثل ابنه، أما جده من أبيه فيدعى «الوروس لاكونيكوس» (Elurus Laconicus)، وربما لم يكن مواطنا رومانيا⁽²⁾، حصلت والدته «كوليسيا» (Colicia) على لقب «المرأة الشريفة» (Honestissima femina)، وتعرف زوجته باسم «نونيك» (Nonnica)، ويحتمل أن يكون «مونيك» بسبب خطأ بسيط وقع فيه الناسخ، باعتبار أن «مونيك» من الأسماء الليبية المنتشرة بكثرة⁽³⁾.

حمل نوبيل لقب ملك (Rugulus) وكان قائدا للوحدة العسكرية الرومانية المعروفة باسم (Equites Armigeri juniores) أي «وحدة سلاح الفرسان»⁽⁴⁾. كانت وفاته حوالي 370م تاركا وراءه أسرة كثيرة الأبناء⁽⁵⁾.

ظهر اسم «نوبيل» كثيرا في النقوش الليبية والبونية وفق صيغة (nbl) على لوحين بونيتين من قسنطينة. فإذا كان اسما بونيا فهذه الصيغة تنطق بـ «نابل» (Nabal)، ويمكن أيضا قراءته «ن(و) ب (ي) ل» «(Nu)bl» وفقا لقواعد النطق في اللغة البونية، كما يمكن أن نعتبره ذو أصول ليبية لأن

1 - Denis Lengrand, «Le Limes intérieur de la Notitia Dignitatum», In Histoire ANCIENNE Et MÉDIÉVAL- Frontières et Limites Géographiques de L'Afrique du Nord Antique(Hommage À Pierre Salama), Pub.Sorbonne, Paris, 1999, p234,235.

2 - Ibid, p235.

3 - Jean, Pierre Laporte, «Nubel, Sammac, Firmus et les autres une famille berbère dans L'Empire romain», **L'Africa Romana**, Trasformazione dei paesaggi del potere nell'Africa settentrionale fino alla fine del mondo antico, Atti del xix convegno di studio Sassari, Caro cci editore, 16-19 dicembre 2010, p992.

4 - محمد الحبيب بشاري، «أوضاع الامبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي ثورة جيلدون 397-398م»، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، مج. 13، ع. 13، فبراير 2012، القاهرة، ص. 248.

5 - Denis Lengrand, Op.Cit, p234. - 5

جذر (NBL) ذو أصول محلية. وقد عثر على هذا الاسم كذلك على نقيشة لاتينية في «تيجيسي / Tigisi» (عين البرج حاليا) يخص «فيليكس» (Félix) ابن «نوبيل» (Nihil) برانسيسبس (Principes) «سوبوربوس»^(١) (Suburbures).
(٢)

2. أبناء فلافيوس نوبيل:

خلف «نوبيل» بعد وفاته عدة أبناء بعضهم شرعي والبعض الآخر مولود لمحضيات^(٣)، وهذا النوع من الزواج هو تقليد ليبي قديم، فعلاوة على الاقتران بزوجة واحدة، عرف سكان المغرب القديم ظاهرة تعدد الزوجات وقد اقتصر على الأثرياء والأمراء وكبار رجال الدولة، الذين كانوا قادرين على تحمل تبعياته المالية، وفي حالة تعدد الزوجات كن جميعهن زوجات شرعيات وأولادهن يعتبرن أولادا شرعيين، وينسبون إلى أبيهم، غير أن الأفضلية تكون فيه للزوجة الأولى حيث تتمتع بمركز يميزها عن باقي الزوجات، كما كان للأمراء والملوك أن يتخذوا لأنفسهم محضيات، لكن لا يعدن من ضمن أزواجه، والأطفال الذين يولدون منهم خارج الزواج يعدون أطفالا غير شرعيين^(٤). فأما عن أبنائه الذكور فنعرف أسماء العديد منهم دون معرفة ترتيب ولادتهم، فإلى جانب «فيرموس» وهو الوحيد الذي يحمل اسما لاتينيا، «زماك»، «جيلدون»، «ماسكيزال»، «ديوس»، «مازوكا» وابنة واحدة تدعى «سيريا»^(٥). (انظر المخطط رقم-01).

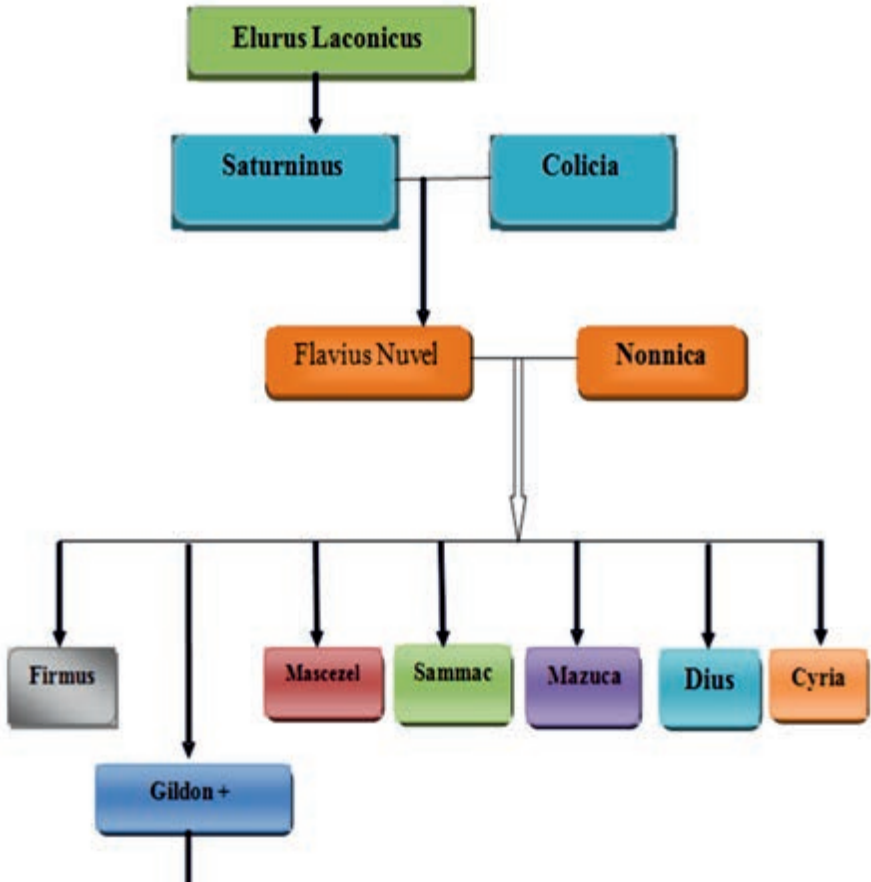
1 - سوبوربوس: ورد اسم هذه القبيلة عند بلين الأكبر في صيغة «سابارباريس» (Sabarbares) انظر: Plin L' Ancien, Histoire Naturelle, Dubochet, Pris, 1850. Livre. V, 30.
أما بطوليموس فأشار إليها في صيغة «سابوربورييس» (Saburbures)، يحدها شرقا قبيلة «الموسوني» (Mousouni)، وجنوبا جبل «ثاميس» (Thammès)، الذي ينبع منه نهر «روبريكاتوس» (Robricatos) الذي يصب في البحر بين «هيبو ريجيوس» (عناية) و«طبرقة» (Thabarca). انظر: كلاوديوس بطوليموس، الجغرافيا وصف ليبيا (قارة افريقيا) ومصر، ط.1، الكتاب الرابع، تر: محمد المبروك الدويب، جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، 2004، ص 47؛ وانظر أيضا: Jehan Desanges, SUBURBURES, Encyclopédie Berbère (Siga-Syfax), Vol.XLIII, Peeters Publishers, 2019, p7610.

- 2 - Jean, Pierre Laporte, Op.Cit, p981.

- 3 - Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5, 2.

4 - محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا- دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، دار هومة، الجزائر، 2013، ص 93، 94.

- 5 - Alain Chauvot, «Firmus, Fils de Nubel, Imperator et Rex», Collection Études d'archéologie et d'histoire ancienne de l'Université de Strasbourg, Paris, 2015, p7.



المخطط رقم (01): شجرة عائلة الملك فلافيوس نوبيل

- Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5 : 2, 6, 11, 13 , 14, 21, 24, 28, 40, 41.
- Jean,Pierre Laporte, Op.Cit, p 991, 992.

- سماك (Sammac) :

ورد اسمه في كتابات «أميان مارسيلين» بصيغتين: «زماك» (Zammac) (1) و «سلماكس» (Salmaces) (2)، و«سماك» (Sammac) اسم ليبي متداول بكثرة، ويرجح أنه يقترب في مدلوله من الكلمة البربرية «سمج» (Semmeg) أي «أسود»، ويعود أصل الكلمة إلى لفظ (SMG)، والتي تعني: (ismeg) / أسود داكن، عبد) (3).

أظهر «سماك» ولاءه لروما بحماس كبير مثل أخيه فيرموس قبل الثورة (حوالي 371م)، حتى أنه طلب من أحد الشعراء في المقاطعة أن ينظم (يكتب) له اهداء فخم باللاتينية، والذي كان قد وضعه بدون شك عند مدخل منزله (4).

أقام «سماك» في منطقة «ملاكو» على الضفة الغربية من وادي ساحل في الجوف الغربي من «توبوسوبتو» (Tubusuptu) أو «توبوسوكتو» (5) وشيد في تلك المنطقة قصرا يسمى «فوندوس بيترنسيس» (Fundi Petrensis) ليتوسع حوله البناء حتى صار مدينة (6).

استقر «سماك» في قصره الحصين الذي شيد على تلال تمثل ملتقى أودية بالثنية، حيث يحتل منطقة تبين بوضوح أن «نوبيل» كان يقوم بحراسة

1 - Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5, 2.

2 - Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5, 13.

3 - Jean, Pierre Laporte, Op.Cit, p 982,983.

4 - Stéphane Gsell, «Note sur une Inscriptions D'Ighzer Amokrane(Kabylie)», CRAI, 45^e année, N^o.2, Paris, 1901, p171.

5 - توبوسوبتو (تيكلات حاليا): تقع جنوب غرب بجاية في وادي الصومام، في موضع يسمح بمراقبة تحركات القبائل الكبرى والصغرى. انظر: اصطيغان أكزيل، تاريخ شمال افريقيا القديم، ج.8، تر: محمد التازي سعود، مطبوعات اكااديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007، ص176، ذكرها «بلين باسم «توبوسوبتو» (Plin L'Ancien, Loc.Cit, 21). كشفت النصوص الكتابية بـ «توبوسوبتو» وعددها عشرون عن أسماء القبائل التي سجلت حضورها بالمنطقة وهي: إيميليا (Aemilia)، كورنيليا (Cornelia)، فابيا (Fabia)، هوراتيا (Horatia)، بلاتينا (Platina)، كيرينا (Quirina)، روموليا (Romulia)، سبوريا (Spuria)، ستيلاتينا (Stellatina). انظر: Jean Marie Lassère, Vbique Populus, Peuplement et Mouvement de Population de la Chute de Carthage à la Fin de la dynastie Sévères (146 av.J.C.-235 ap.J.C.), Ed.Centre National de la Recherche Scientifique, Paris, 1977, p224

6 - Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5, 13.

ممر بهم الرومان⁽¹⁾، سمي هذا القصر «فيرا»، وكان كبيرا، وكأنه مدينة حسب رواية «أميان مرسيلين»⁽²⁾.

- فيرموس (Firmus):

حمل فيرموس زعيم الثورة في موريطانيا القيصرية بين سنوات (372-375م)⁽³⁾ اسما لاتينيا وهو ما تشهد عليه الكثير من المصادر⁽⁴⁾، وكان رفقة شقيقه «جيلدون» على المذهب الدوناتى على خلاف أخيه «ماسكيزال» الذي اعتنق المذهب الكاثوليكي⁽⁵⁾. أعلن فيرموس ثورته ضد الرومان بعدما كسب تأييد العديد من القبائل الموريطانية إلى صفه، وكان استيلائه على قيصرية وحرقتها إيذانا ببداية هذه الثورة التي امتدت نيرانها إلى مدينة «ايكوزيوم» (Icosium)⁽⁶⁾ فاستولى عليها ونهبها، بينما فشل في السيطرة على «تافزة» (Tipasa)⁽⁷⁾ التي حاصرها، في حين نجح أتباعه في الاستيلاء على «كارتنا» (Cartennae)⁽⁸⁾ وتخریبها⁽⁹⁾.

1 - عبد الحميد عمران، «مقاومات الإحتلال الروماني ثورة فيرموس سنة 372م أنموذجا»، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج.6، ع.2، جامعة الوادي، الجزائر، 2015، ص13.

- 2 - Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5.
- 3 - Alain Chauvot, Op.Cit, p1.
- 4 - Jean,Pierre Laporte, Op.Cit, p983.
- 5 - Ibid, p986.

6 - إيكوزيوم (الجزائر حاليا): ذكر بلين أن الامبراطور «فاسباسيانوس» (79-69م / Vespasianus) جعل إيكوزيوم مستعمرة لاتينية، ويشير الباحث «لاسير» إلى أن المستعمرة شهدت توافدا لقدماء المحاربين من بينهم الغالين في فترة حكم «كلاوديوس» إبان القرن الأول، وفي القرنين الثاني والثالث فتحت أبوابها أمام المدنيين والعسكريين. انظر: Jean-Marie Lassère, Op.Cit, p255, 256.

7 - تافزة (تيبازة حاليا): تبعد عن مدينة الجزائر من الناحية الغربية بـ68 كلم، لعبت دورا في الربط بين قرطاج وأعمدة هرقل. انظر: ربي مصدق، الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب القديم من خلال النصوص الادبية الاغريقية واللاتينية تمدن الموريطانيتين الطنجية والقيصرية انموذجا، مذكرة ماجيستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2009-2010، ص88، منحها كلاوديوس القانون اللاتيني، وأصبحت مستعمرة تحت حكم «هادريان»، انظر: Jean-Marie Lassère, Op.Cit, p243

8 - كارتنا (تسن حاليا): مستعمرة أغسطس تقع بضواحي تنس، ويظهر أن المنطقة شغلها البونيون قبل الرومان وهو ما دلت عليه الآثار المكتشفة من أنصاب وبعض قطع الخزف البونية انظر:

Virginie Bridoux, «Les Établissements de Maurétanie et de Numidie entre 201 et 33 av.J.-C. Synthèse et Connaissances», MEFRA, Tome.120, N°.2, p401.

9 - محمد الهادي حارش، « ثورة فيرموس 372-375م»، مجلة الدراسات التاريخية، مج.05، ع.01، جامعة

ولقمع هذه الثورة جندت روما إلى افريقيا أحسن قادتها العسكريين «الكونت ثيودوز» (Théodose)، الذي أعلن حالة الطوارئ بمجرد نزوله بجيجل سنة 372م⁽¹⁾، وفضلا عن المقاومة العسكرية لجأ «ثيودوز» (379-395م) إلى اعتماد سلاح الخيانة من أجل تأليب حلفاء فيرموس ضده، وذلك بالتأثير عليهم بالوعد أحيانا وبالوعيد أحيانا أخرى⁽²⁾، وفي هذا الشأن تمكن «ثيودوز» من استماله «إقمازن» (Igmazen) أمير قبيلة «إزفلاسن» (Isaflanses)⁽³⁾ والتفاوض معه سرا من أجل القبض على فيرموس وتسليمه إليه⁽⁴⁾، ولما وقع «فيرموس» في قبضة «إقمازن» وتفطن بعد فوات الأوان للمكيدة المدبرة له، فضل الانتحار على أن يقع أسيرا في يد أعدائه وحدث ذلك سنة 375م، وقد عمد «إقمازن» على نقل جثة «فيرموس» على ظهر بعير إلى «ثيودوز» الذي عرضها أياما على مرأى الناس ليرتدعوا⁽⁵⁾.

- جيلدون (Gildon):

اسم مبني على الجذر الليبي (GLD) أي «أقليد» (aguellid) التي تفيد معنى «رئيس» أو «ملك»، ويعكس هذا الاسم الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها حسب تقاليد الاسرة الحاكمة⁽⁶⁾. ولد جيلدون على الأرجح سنة 340م⁽⁷⁾

الجزائر²، الجزائر، 1993، ص12.

1 - عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص16.

2 - محمد الهادي حارش، ثورة... المرجع السابق، ص14.

3 - إزفلاسن: تكرر ذكر هذه القبيلة عند «أميان» في الفقرات (5:53، 51، 46، 43، 41، 40): دون أن يحدد موقعها. يربط الباحث «قزال» بين اسم «إزفلاسن» ودوار افليسن» التابع لبلدية مزرانتة (دائرة تيقزرت) بنقش جنازي من «ألتافا» (ALTAVA) يعود تاريخه إلى القرن الخامس، يشير إلى امرأة متوفاة تدعى «اسفلاسيا» (Isflacia). انظر:

Nora Yahiaoui, Les Confins occidentaux de la Maurétanie Césarienne, Sciences de l'Homme et Société. Ecole pratique des hautes études, Paris, 2003, p26

أما الباحث «J.Desanges» فيقترح موقع هذه القبيلة بين «يسر» (Issser) و«تيقزرت» (Tigzirt). انظر:

Jean Desanges, Catalogue Des Tribus Africaines De L'Antiquite Classique A L'Ouest Du Nil, Pub.Section D'histoire, Dakar, 1962, p56.

- 4 - Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5, 51-52.

5 - عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص17.

- 6 - Jean, Pierre Laporte, Op.Cit, p983.

- 7 - Y.Modéran, Gildon, Encyclopédie berbère (Gauda-Girrei), Vol.XX, Pub. Edisud, 1998, (S.L), p 3134.

وقد تزوج من امرأة مسيحية، لكن لا نعرف كم أنجبت له من أبناء(1)، وما نعرفه أن إحدى بناته وتسمى «صالفينا» (Salvina) وكانت مثل أمها مسيحية، وقد تزوجت من الأمير «نبرديوس» (Nebriidius) ابن أخ الامبراطورة «أيليا فلاسيا» (Flacille Aelia) زوجة الامبراطور «ثيودوز الأول»(2)، وقد عاشت زوجة جيلدون وابنته بعد مقتله وموت «نبرديوس» في البلاط الامبراطوري حوالي 401-400م في سلام. وفي وقت كان «ستيلكون» (Stilichon) وزير الامبراطور «هونوريوس» وعدو «جيلدون» يتحكم في مقاليد السلطنة(3).

عندما أعلن فيرموس ثورته ضد الرومان دعمه اخوته ماسكيزال ومازوكا وديوس وسيريا، بينما تحالف جيلدون مع القائد الروماني «ثيودوز» وكان عوناً له ضد اخوته، وكمكافأة لدعمه الرومان لقمع تمرد أخيه فيرموس اسندت له عدة مهام عسكرية حتى كانت سنة 385م عين فيها قائدا للقوات الرومانية في افريقية (Comes Africae)، كما توج بلقب «الرجل الشريف» (Vir Spectabilis)(4)، ولدعم هذا التحالف أقدم «ثيودوز الأول» على تزويج «صالفينا» ابنة جيلدون من «نبرديوس» ابن شقيق الامبراطورة «أيليا فلاسيا» (Aelia Flacilla)(5).

استمر جيلدون محافظاً على ولائه للرومان لسنوات طويلة، لكن بعد وفاة «ثيودوز الأول» سنة 395م وصعود أبنائه العرش «هونوريوس» و«أركاديوس» أدار ظهره للرومان وعمد إلى اصلاح ما أفسده من قبل، ومن أبرز الخطوات التي أقبل عليها جيلدون لإعلان عصيانه إقدامه عام 397م على إلغاء امدادات الحبوب التي كانت تتلقاها روما من ولايات شمال افريقيا نهائياً، بالإضافة إلى عدم اعترافه ب«هونوريوس» امبراطوراً على روما الغربية في محاولة منه الحاق شمال افريقيا ب«أركاديوس»(395-408م) امبراطوراً على روما الشرقية عاصمتها «القسطنطينية»، لأنه كان يدرك أن هذا الأخير لا يمكنه أن يمد نفوذه إلى

1 - محمد الحبيب بشاري، «أوضاع الامبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي ثورة جيلدون 397-398»، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، مج.13، ع.13، فبراير 2012، القاهرة، ص 249.
- Yves Modéran, «Les Maures et L'Afrique», Mélanges de L'Ecole Française de Rome, Tome.101, N°.2, 1989, p843.

3 - محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 249.

4 - محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 248.

5- Y.Modéran, **Gildon**, Op.Cit, p3134.

المناطق البعيدة جدا، وبالتالي ستكون لجيلدون السيادة الكاملة والاستقلالية في شمال افريقيا⁽¹⁾.

أثارت الخطوات التي أقدم عليها جيلدون غضب روما التي سرعان ما أعلنت الحرب ضد جيلدون، وكعادتها لضرب الإخوة ببعض البعض أسندت قيادة الجيش لأخيه «ماسكيزال»، الذي هزم قوات جيلدون بالمكان المسمى «واد أرداليو» (واد سومت) (ربيع 398م) بين تبسة و«أميادارا/Ammaedara» (حيدرة)، فاضطر للهروب عبر البحر والتوجه نحو القسطنطينية، لكن الرياح حالت دون ذلك وأعادته إلى طبرقة أين ألقى عليه القبض، وتم اعتقاله وتوفي منتحرا حتى لا ينكل به في 31 جويلية 398م⁽²⁾.

- ماسكيزال (Mascizel):

حاز ماسكيزال مثل والده «نوبيل» وشقيقه «سماك»، في أواخر 360م على تسيير عقارات رومانية واسعة وتولى زعامة عدد من القبائل باسم الإمبراطورية. بعدما أقدم أخوه فيرموس على اغتيال شقيقه «سماك»، وحمل السلاح حوالي عام 370م هربا من العقوبة التي أعدها له «الكونت» «رومانوس» (Comte Romanus) القائد العام للجيش في افريقيا، التحق به ماسكيزال في تمرد، الذي سرعان ما تحول إلى تمرد إقليمي حقيقي. وفي حوالي عام 373م تم تنصيبه مع أخيه «ديوس» على رأس قبيلتي (Tyndenses)⁽³⁾ و (Masinissenses)⁽⁴⁾، لكنه هزم مرتين بالقرب من «توبوسوكتو» أمام «الكونت ثيودوز» الذي أرسله الإمبراطور «فالتينيان الأول» (Valentinien Ier) لتولي قيادة القوات الرومانية، وعن هذه الحرب التي امتدت من منطقة القبائل إلى «وارسنيس» (L'Ouarsenis) واستمرت

1 - أبو بكر سرحان، «المقاومة الوطنية الموريتانية للاحتلال الروماني (40-429م)»، مجلة الدراسات الافريقية، ع.42، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، يونيو 2017، ص 53، 54.

2 - محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 253. انظر أيضا:

- Y.Modéran, **Gildon**, Op.Cit, p3135, 3136.

3 - تندنس: قبيلة أشار إليها «أميان» في الفقرة (5:11)، وهي ليست ببعيدة عن «توبوسوكتو» وقبيلة «ماسينيسنس»، ويرجح أن تكون قبيلة جبيلة من جرجرة. انظر:

- Jehan Desanges, Op.Cit, p71.

4 - ماسينيسنس: تعرضت إلى الهجوم من طرف فيرموس ما بين 373-374م، وإلى جوارهم قبيلة «تندنس»، وعلى العموم تتواجد هذه القبيلة على الضفة اليمنى من نهر الصومام في منطقة ملاكو. انظر:

- Jehan Desanges, Op.Cit, p61.

لأكثر من ثلاث سنوات⁽¹⁾، يذكر «أميان مارسيلين» أن «ماسكيزال» تمكن من الفرار بعد هزيمته بصعوبة، وهو مدين لحياته لحصانه⁽²⁾.

- مازوكا (Mazuca):

بحسب «أميان» فقد نجح «ثيودوز» في الاستحواذ على ممتلكات مازوكا⁽³⁾، التي يرجح أنها تقع في وادي الشلف، ويذكر أن «مازوكا» كان نشيطا خصوصا في الاستيلاء على عاصمة المقاطعة «قيصرية»، وفي نهبها خلال شتاء (371-372م). سقط أسيرا على يد «ثيودوز» الذي أقدم على قتله بوحشية حيث فصل رأسه عن جسده وأرسله إلى قيصرية⁽⁴⁾.

- ديوس (Dius):

استشهد به المؤرخ «أميان مارسيلين» مرة واحدة في كتابه، حيث ذكر أنه قاد في بداية الحرب رفقة شقيقه «ماسكيزال» قبيلتي (Tyndenses) و (Masinissenses) لنصرة ثورة أخيه فيرموس، لكن هزمه «ثيودوز»⁽⁵⁾، ولا نعرف ماذا حل به بعد ذلك⁽⁶⁾.

- سيريا (Cyria):

يبدو أن اسم «سيريا» ليس من أصول محلية على الأقل وفق هذه الصيغة بل اغريقي وهي فرضية معقولة خاصة في وسط مسيحي⁽⁷⁾، ويذكر أن الأميرة «سيريا» القوية بثروتها، دعمت ثورة أخيها فيرموس بحماس، بحيث ألهمت وأثارت كل أرجاء أفريقيا إلى غاية جبال الأطلس. فالكثير من البرابرة على اختلاف عاداتهم ومظهرهم وأسلحتهم ولغتهم، الذين تجذرت فيهم عادة محاربة أسود جبالهم، حتى أنهم كادوا يصبحون شرسين مثل هذه الحيوانات عبروا هذه السهول

- 1 - Y.Modéran, **Mascezel**, Encyclopédie berbère (Maaziz-Matmata), Vol. XXX, Éd. Peeters, France, 29 décembre 2010, p4639.

- 2 - Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5, 14.

- 3 - Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5, 31.

- 4 - Jean, Pierre Laporte, Op.Cit, p984.

- 5 - Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5, 11.

- 6 - Jean, Pierre Laporte, Op.Cit, p985.

- 7 - Ibid, p985.

القاحلة وتوجهوا نحو ثيودوز، وسرعان ما ظهروا على مرأى من الجيش الروماني⁽¹⁾، وعن ذلك كتب «أميان مارسيلين» قائلا: «على بعد مسافة من بلدة «أدينسي» (Adensee) علم «ثيودوز» أن هناك تحالفا رهيبا بين شعوب مختلفة العادات واللغات ضده... وسيريا أخت فيرموس، هذه الأميرة التي تمتلك كنوزا ضخمة، كرست كل جهودها لدعم شقيقها⁽²⁾. ونجهل مصيرها بعد ذلك⁽³⁾.

3. قضية وراثة العرش بعد وفاة فلافيوس نوبيل:

شكلت الأحداث التي توالى بعد وفاة فلافيوس نوبيل إنقلابا حاسما في تاريخ المنطقة، وذلك نظرا للانعكاسات الخطيرة المترتبة عنها، فقد شهدت المنطقة تحولات عميقة تمثلت أساسا في الخلاف حول وراثة العرش والتقارب بين «سماك» والكونت رومانوس، وفقا للتقاليد المعمول بها في منطقة المغرب القديم فإن الحكم يؤول إلى الأكبر سنا دون اشتراط الانحدار المباشر من الملك المتوفي⁽⁴⁾، إلا أننا لا نعلم ما إذا كانت هذه القاعدة مطبقة كذلك في مملكة نوبيل أم لا؟.

لكن المؤكد من كتابات «أميان مارسيلين» أن خلافا نشب بين فيرموس الذي يرى أنه الأحق بالعرش وبين أخيه سماك الطامع في الحكم، دون تقديم تفسيرات حول أحقية فيرموس في الحكم⁽⁵⁾، إلا أنه لا يستبعد أن يكون هو الأحق باعتباره الأكبر سنا وبالتالي فإن الحكم يؤول إليه مباشرة، فبدأ الصراع بين الأخوة حول الارث.

لا تشير مصادرنا إلى التطورات التي حدثت بين الأخوين، باستثناء أن الكونت رومانوس لجأ إلى سياسية التفرقة بين أبناء نوبيل فوقف إلى جانب سماك دون الإشارة إلى أسباب هذا التحالف، فثار فيرموس ضد هذا الحلف، وأقدم على قتل شقيقه سماك⁽⁶⁾.

يذهب الباحث «جان بيير لابورت» (J. Pear Laport) إلى حصر الأسباب التي دفعت

- 1 - Charles Lebeau, **Histoire du Bas-Empire**, Tome.III, L'Imprimerie de Firmin Diot, Paris, (s.d), p475.
- 2 - Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5, 28
- 3 - Jean,Pierre Laporte, Op.Cit, p 985.
- 4 - محمد الهادي حارش، مملكة... المرجع السابق، ص41.
- 5 - Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5.
- 6 - Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5, 2.

فيرموس إلى اغتيال أخيه غير الشقيق سماك في النقاط الآتية:

أن السلطة التي ورثها «سماك» عن والده، هذه السلطة جعلته في حد ذاتها قريبا من كونت افريقيا⁽¹⁾ «رومانوس» الذي جمعته به علاقة صداقة قوية، الأمر الذي أثار مخاوف أبناء نوبيل من تقديم «سماك» عليهم للزعامة فثار «فيرموس» ضد هذا الحلف وقتل أخاه «سماك»⁽²⁾.

أن سبب مقتل «سماك» على يد شقيقه «فيرموس»، لأن هذا الأخير أراد استعادة سلطة والده⁽³⁾.

أثار اغتيال «سماك» تحرك «الكونت رومانوس» الذي قرر الانتقام لمقتل حليفه «سماك»، حيث أدان «فيرموس»، وبفضل علاقاته مع رئيس المكاتب «ريميجيوس» (Remigius) منعه من الدفاع عن قضيته أمام «فالتنينان الأول» فلم يترك له أية فرصة لتبرئته، واستخدم كل الوسائل ليوقع به وأطلق إشاعات بأنه تمرد على السلطة⁽⁴⁾.

هذه التطورات التي أحاطت بفيرموس والمصير المساوي الذي ينتظره والمتمثل في عقوبة الإعدام جعلته ينفصل عن السلطة لتبدأ بذلك ثورة فيرموس ضد الرومان⁽⁵⁾. لكن هل يمكن التسليم برأي أميان؟ واعتبار خوف فيرموس من الإعدام هو السبب في ثورته؟ خاصة وأن هذا المؤرخ ومعاصريه ومن المؤرخين لم يترددوا في القاء مسؤولية هذه الثورة على الكونت الروماني الذي اتهموه بالتسبب في جلب هذه المصاعب للامبراطورية الرومانية⁽⁶⁾.

4. المجال الجغرافي لمملكة فلافيوس نوبيل وأبنائه:

تنتمي أسرة نوبيل وفق ما تم الإشارة إليه مسبقا إلى قبيلة «جوباليني»،

1 - jean Pierre Laporte, «Les armées romaines et la révolte de Firmus en Maurétanie césarienne», In L'Armée Romaine de Dioclétien Á Vallentinien I^{er}, Diffusion de Boccard, Paris, 2004, p283.

2 - عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص13.

3 - jean Pierre Laporte, «Les armées...», p283.

4 - jean Pierre Laporte, «Les armées...», Op.Cit, p283.

5 - عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص13.

6 - نفس المرجع، ص14.

وأراضي هذه الأخيرة تتخللها جبال عالية⁽¹⁾، انفتحت بينها وديان متعرجة أثارت الرهبة عند «ثيودوز الأكبر» (Théodose l'Ancien)، وأما عن موقع هذه القبيلة فحددها الباحث «قزال» بالقرب من «أوزيا» (Auzia)⁽²⁾ عند البوابات الحديدية (60 كم غرب أوزيا)، أو عند مضائق الأخرزية المعروفة سابقا باسم «باليسترو» (50 كم شمال غرب المدينة نفسها عبر مرتفع بني عيشة» Beni Aïcha»⁽³⁾).

يظهر أن نفوذ أسرة نوبيل لم تنحصر في القبيلة ولا حتى في منطقة صغيرة، وهو ما يتجلى من أملاك أفرادها التي انتشرت في المنطقة الممتدة من حوض وادي الشلف غربا إلى حوض الصومام شرقا (انظر الخريطة رقم 01)⁽⁴⁾، فقد امتلك نوبيل رفقة ابنه فيرموس ضيعة واسعة في بني عيشة قرب الثنية المعروفة سابقا باسم (Menerville)، بينما شيد ابنه الآخر سماك بناء محصنا سيصبح ملكا للعائلة في «بيترا» (Pétra) بالقرب من «ملاكو» (Mlakou) بحوض الصومام، في حين وجدت ممتلكات «مازوكا» في حوض وادي الشلف جنوب غرب القيصرية⁽⁵⁾، أما جيلدون فكانت أملاكه شاسعة جدا، حتى أن السلطة الرومانية اضطرت بعد قضائها عليه ومصادرة أملاكه إلى تكوين لجنة خاصة للإشراف عليها، في حين تبقى بقية أملاك الأبناء مجهولة وهم ديوس وماسكيزال، وابنته سيريا⁽⁶⁾.

1 - Ammien Marcellin, XXIX, Chap.5,44.

2- أوزيا (سور الغزلان حاليا): يرجع تأسيسها إلى القرن التاسع قبل الميلاد على يد أحد ملوك صور يدعى «ايثوبعل» (Ithobal)، ارتقت إلى منزلة البلدة (Municipium) إبان الاحتلال الروماني في الثلث الأخير من القرن الثاني للميلاد، ثم مالبثت أن رفعت إلى مرتبة المستعمرة في عهد «سبتميوس سيفيروس»، اتخذتها القيادة الرومانية معسكرا لجيشها بسبب موقعها الاستراتيجي، فهي تشكل مع صالداي (بجاية) وقيصرية (شرشال) مثلثا متعمقا في إقليم شديد الحيوية ببلاد المور وقاعدته تركز على الساحل فيما بين صالداي وقيصرية، كما أن موقعها يساعد على مراقبة تحركات القبائل المعادية للوجود الروماني في المنطقة. انظر: محمد البشير شنيقي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج. 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 193، 192، ص 201، 200.

3 - Jean, Pierre Laporte, Nubel..., Op.Cit, p981,982.

4 - محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 248.

5 - Denis Lengrand, Op.Cit, p234.

6 - محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 248.

خريطة رقم (01): مناطق نفوذ الملك فلافيوس نوبيل وأبنائه



- Gabriel Camps, Firmus, Encyclopédie berbère (Filage-Gastel), Vol. XIX, Edisud, France, 1997, p2847.

5. المخطفات الأثرية للملك فلافيوس نوبيل وعائلته:

كشفت التنقيبات التي قام بها الباحثون عن العديد من المخطفات الأثرية التي لها صلة بتاريخ الملك «فلافيوس نوبيل» ملك المور وأبنائه في مقاطعة موريطانيا القيصرية، وعليه يمكن ذكر بعضا من هذه الأثار في المخطفات المادية الآتية:

- نقش اكتشف في «روسقوناي» (Rusguniae) (1) (انظر النقش رقم 01) بالقرب

1- روسقوناي: ذكر بلين بأنها كانت مستعمرة في عهد اغسطس، وقد منحها الامبراطور فاسباسيانوس (Vespasien) الحقوق اللاتينية مثلها مثل مدينة إيكوسيوم. انظر: Plin L' Ancien, Histoire Naturelle, Dubochet, Pris, 1848.1850, Livre.5, 20. ويرجح أن هذه المدينة تقع عند راس ماتيفو في أقصى شرق خليج الجزائر على بعد حوالي خمسة عشر ميلا من مدينة الجزائر (إيكوسيوم)، ومن بين الأثار الموجود بالمدينة معبد مهدي إلى ساتورن الإفريقي. انظر: ربي مصدق، المرجع السابق، ص93،94.

من «بني عيشة» بالثنية، يقدم لنا تفاصيل أخرى لها صلة بعائلة الملك «نوبيل» لم يذكرها المؤرخ أميان «مرسلين»^(١)، وفيما يأتي نص النقش وترجمته.

-النص اللاتيني:

*D(e) sancto ligno crucis Christi Salvatoris adlato / adq(ue) hic sito,
Favius Nuvel ex praepositus eq(u)itu/m armireerorum (i]unior(um),
filius Saturnini, vire / perfectissimi, ex comitibus et Colfilcia[e] (?),
honestissima/e feminae, prfonlepos (?) Eluri Laconi[cil (?) basilicam
voto / promissam adq(ue) oblatam cum coniuge Nonni/ca ac suis*

النقش رقم (01): نقش روسقوناي

- Jean, Pierre Laporte, «Nubel...», Op.Cit, p992.

ترجمة النص:

« قطعة من الخشب المقدس لصليب المسيح المنقذ بعد إحضارها إلى هنا، فلافيوس نوفيل، قائد وحدة سلاح الفرسان سابقا للشباب المحترم، ابن ساتورنينوس (Saturninus) الفاضل، كونت سابقا (؟؟؟) و كوليسيا (Colicia) (؟) المرأة الشريفة جدا، حفيد (؟) إلوروس لاكونيكوس (Elurus Laconicus) (؟)، كرس البازيليكا التي وعد بها نذرا وقدمها مع زوجته نونيك (Nonnica) وجميع أفراد أسرته»^(٢).

- نقش آخر غير كامل عثر عليه أيضا في بني عيشة بالثنية (انظر النقش رقم 02)، وقد أعاد بعث محتواه الباحث «ستيفان غزال» (S.Gsell)، وفيما يأتي نص النقش

*(٣)

- 1 - Denis Lengrand, Op.Cit, p235.
- 2 - Jean, Pierre Laporte, «Nubel...», Op.Cit, p 992.
- 3 - Denis Lengrand, «Le Limes interne de Maurétanie Césarienne au IVE siècle, et la Famille de Nubel», In (Frontières Terrestres, Frontières Célestes dans L'Antiquité, Éd. Presses Universitaires de Perpignan,) Paris, 1995. consulter

-النص اللاتيني:

*Spes in nomine Dei ! Per te, Nubel, ista videremus Firme possideas cum
tius ! Bonis bene !*

النقش رقم (02)

- Denis Lengrand, «Le Limes interne..., Op.Cit.

- نقش سماك» بـ «ملاكو» (Praesidium Sammacis à M'lakou)

اكتشف النقش سنة 1900 بـ «ملاكو» (M'Lakou) بالقرب من «اغزر أمقران» (Ighzer Amokrane) في وادي الصومام من قبل «بولاي» (Boulay) (انظر النقش رقم 03)، ونشره «ستيفان قزال» سنة 1901، وهو معروض حاليا بمتحف الآثار القديمة بالجزائر العاصمة تحت اسم «نقش سماك» (Inscription de Sammac) وفي المراجع باسم «نقش بترا» (Inscription de Petra) (1).

-النص اللاتيني:



النقش رقم (03): نقش قلعة بترا

- <https://books.openedition.org/pupvd/5666?lang=fr> (23/11/2021) L'heure (15.00)
- 1 -Stéphane Gsell, «Notes sur une Inscription d'Ighzer Amokrane (Kabylie)», CRAI, 45e année, No.2, Paris, 1901, p170. ; voir aussi : Arezki Bouchenouf & Ouamar Laichouchen, « Site archéologique de Mlakou à Bejaia : Le nom antique Petra entre Signification topographique, toponymique, anthroponymique et mythologique, Vol.4, No.7, Univ. Aboubeker Belkaid de Tlemcen, Algérie, 2019, p28.

- Jean, Pierre Laporte, «Nubel...», Op.Cit, p1000.

وقد ورد في مضمون النقش حسب الباحث «ستيفان قزال» ما يأتي: لضمان السلام في المنطقة، سماك زعيم الاهالي، الراعي المخلص لروما، شيد قلعة محصنة ترتفع على قمة جبل يطل على الصومام، والتي كانت تسمى «بترا»⁽¹⁾، وينتهي النص بتأكيد الولاء لروما، وبذكر الخدمات التي قدمها سماك لاختضاع القبائل المجاورة⁽²⁾.

«بنيان نتاع» الصومعة:

قام الملك فلافيوس نوبيل ببناء قلعة ضخمة سميت بـ «بنيان نتاع الصومعة»⁽³⁾ (Benian m'ta Souma) وأطلال هذه القلعة موجودة بـ قرية ثيزي نايت عيشة» من الثنية الحالية إحدى بلديات بومرداس (انظر الصور: رقم 01- ورقم 02-، ورقم 03-)⁽⁴⁾، وكانت هذه القلعة لا تزال على حالها إلى غاية وصول فيلق من القوات الفرنسية إليها بقيادة «شاوينبورغ» (Schauenburg) في ليلة 17-18 ماي 1837، حيث كانت المرة الأولى التي تمر فيها القوات الفرنسية إلى منطقة القبائل عبر بوابة بني عيشة (Beni-Aicha).، وأثناء النزول من ممر بني عيشة زار الفيالق أطلال بنيان نتاع الصومعة» و«الحبس» (El-Habs)، وهما بقايا مؤسستين رومانيتين دافعتا عن الممر⁽⁵⁾.

بعدها دمرت هذه القلعة «بنيان نتاع الصومعة» على مدى السنوات القليلة الماضية، حيث دمرتها الهندسة والجسور والطرق لإنشاء الممر (ثكنات

1 - بترا: وفقا للأسطورة وحسب الرواة فإن «قلعة بترا» هو اسم لأمرأة جميلة تزوجت من مالك هذه القلعة، وكانت محبوبية من قبل السكان المجاورين لها، وهذا الاسم ما زالت تحمله إلى يومنا هذا العديد من الفتيات

في منطقة «صدوق» بجاية، لكن مع تعديل طفيف «تترا» بدل «بترا»، أي تعويض الحرف (P) بـ (T)، لأن الحرف الأول غير موجود في اللغة الأمازيغية. انظر:

- Arezki Bouchenouf & Ouamar Laichouhen, Op.Cit, p27,28.

- Stéphane Gsell, Op.Cit, p171.

3 - بقايا القلعة في حالة سيئة من حيث الصيانة والحماية، لأنها تتواجد في موقع مفتوح دون حماية أو مراقبة، وهي مهددة بالاندثار بسبب استعمال بقايا هذا الحصن وتحديدا الأحجار في البناء من قبل سكان المنطقة.

4 - الصور مأخوذة من طرف الباحث «رايح بلعباس» بتاريخ 11/11/2018 على الساعة: 16.52، وقد أفادني بها عبر البريد المهني بتاريخ 08/11/2021. على الساعة: 01:02.

- A.Berbrugger, Les Époques Militaires de la Grande Kabylie, Paris, 1857, p13,14.

الدرك والنافورة) أو من أجل أشغال الطرق، وهكذا أزيلت العديد من الحجارة، كما تم هدم بوابة الحصن التي كانت موجودة منذ زمن ليس ببعيد، ووضع حجر النقش على الأرض في الأمام، وفي هذا الجانب وجدت العديد من الحجارة المقطوعة مزينة بنقوش مختلفة(1).



صورة رقم (01)₂: أطلال «بنيان نتاع الصومعة» بقرية ثيزي نايث عيشة ببلدية الثنية ولاية بومرداس

تظهر هذا الأثار اليوم حصنا قديما مستطيلا يمتد طوله من الشمال إلى الجنوب 50 مترا، بينما يبلغ 40 مترا من الشرق إلى الغرب، وأسواره تتكون من حجارة كبيرة محاطة بأبراج مربعة الشكل للمراقبة، وأما عن بوابته الرئيسية فكانت بعرض 40مترا في منتصف الواجهة الشرقية. أما في الداخل فهناك عدد من المقصورات المتوازية لجدران البناء المشتركة بسمك 0.65م، والعديد من الكتل الدائرية المبنية بشكل ملحوظ من كتل وطوب ذات أبعاد كبيرة؛ بقياس 0.53م طول على 0.38 م عرض وبسمك 0.05م(3).

لقد كان موقع الصومعة هذا في الظروف العسكرية الجيدة يسيطر على المنحدرات الشديدة في جميع أنحاء البلاد والمناطق المحيطة، ويمتد المنظر بعيدا جدا نحو الشرق (إلى غاية تاورقا/Taourga)، وهذا غير موجود عند المر،

1 - M.CH. DE VIGNERAL, Ruines Romaines De L'Algérie Kabylie Du Djurdjura, Imprimerie de J. Claye, Paris, 1868, pg8,99.

2 رابع بلعباس، بتاريخ: 11/11/2018. على الساعة 16.52

3 - M.CH. DE VIGNERAL , Op.Cit, pg99.

وقد كان هذا أحد الأسباب التي دفعت الرومان يتصرفون خلافاً لما تعودوا عليه إلى عدم احتلال أي نقطة من الخط الفاصل للأحواض والاكتفاء بمراقبة المنافذ فقط. ارتبط هذا البرج بحصن «تاكيتون» (Takitount)، ويقع على بعد مسافة قصيرة منه، والذي يكمله ويقوم بحماية المنحدر الأيسر للطريق الروماني، ومع (Akbou) (des Zmouls) يشكلون مثلثاً لنقاط المراقبة من الدرجة الأولى (١).



صورة رقم (02)₂: أطلال «بنيان تع الصومعة» بقرية ثيزي نايث عيشة ببلدة الثنية ولاية بومرداس



صورة رقم (03)₃: أطلال «بنيان تع الصومعة» بقرية ثيزي نايث عيشة ببلدة الثنية

- 1 - Ibid, p99.

2 رابع بلعباس، بتاريخ: 2018/11/11. على الساعة 16.52

3 رابع بلعباس، بتاريخ: 2018/11/11. على الساعة 16.52

خاتمة:

تعكس الشواهد الأثرية المكتشفة بالإضافة إلى نصوص المصادر الكلاسيكية التي لها صلة بتاريخ الملك فلافيوس نوبيل وأبنائه عن سعة وسلطة نفوذ هذه الأسرة خلال القرن الرابع للميلاد، التي امتدت من جبال البيبان إلى نهر الشلف، وذلك إبان الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا.

لقد كانت منطقة بومرداس خلال القرن الرابع ميلادي ضمن نطاق أحد أقوى ممالك المور وهو الملك فلافيوس نوبيل، ويستحق هذا الأخير أن يلقب بـ «أبو الثوار» فأبناءه من بعده خاصة فيرموس وجيلدون شنوا مقاومة شرسة ضد الاحتلال الروماني في المنطقة.

رغم قلة المعلومات التي أوردها المؤرخ أميان مرسلين بشأن دعم «سيريا» لأخيها فيرموس في ثورته ضد الرومان، فهذا يعكس دعم ونضال المرأة إلى جانب الرجل في مقاومة الاحتلال الأجنبي منذ القدم، وبالتالي رفع الصورة النمطية للمرأة التي تحصر دورها في الأنجاب والأسرة فقط.

تعتبر عائلة فلافيوس نوبيل من الزعامات المحلية التي اعتمدت عليها روما للاحكام سيطرتها على المنطقة وذلك مقابل منحها بعض الامتيازات، كتشريفها ببعض الألقاب مثلما حدث مع نوبيل وابنه جيلدون، غير أن تجاوزات السلطة الرومانية أفضى إلى انقلاب هذه العائلة ضدها.

- قائمة المصادر والمراجع:

- العربية والمترجمة للعربية:

- أكزيل اصطيفان ، تاريخ شمال افريقيا القديم، ج.8، تر: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2007.

- بشاري محمد الحبيب، «أوضاع الامبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي ثورة جيلدون 397-398»، مجلة الاتحاد العام للأثاريين العرب، مج.13، ع.13، القاهرة، فبراير 2012.

- بطوليموس كلاوديوس، الجغرافيا- وصف ليبيا (قارة افريقيا) ومصر، ط.1، الكتاب الرابع، تر: محمد المبروك الدويب، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 2004.

- بعيطش عبد الحميد، « مدن مقاطعة موريطانيا القيصرية من خلال المصادر الأدبية والمادية»، مج.02، ع.01، أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية والانسانية، جامعة باتنة، الجزائر، مارس 2020.

- حارش محمد الهادي، « ثورة فيرموس 372-375م»، مجلة الدراسات التاريخية، مج.05، ع.01، جامعة الجزائر2، الجزائر، 1993.

- حارش محمد الهادي، مملكة نوميديا- دراسة حضارية- منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، دار هومة، الجزائر، 2013.

- سرحان أبوبكر، «المقاومة الوطنية المورية للاحتلال الروماني (40.429م)»، مجلة الدراسات الإفريقية، ع.42، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، يونيو 2017.

- شنيقي محمد البشير، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج.1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

- عمران عبد الحميد، «مقاومات الاحتلال الروماني ثورة فيرموس سنة 372م أنموذجا»، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، مج.6، ع.2، جامعة الوادي، الجزائر، 2015.

- مصدق ربي، الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب القديم من خلال النصوص الأدبية الاغريقية واللاتينيةمدن الموريطنيتين الطنجية والقيصرية انموذجا، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 2010.2009.

- باللغة الأجنبية:

- - A.Berbrugger, Les Époques Militaires de la Grande Kabylie, Paris, 1857.
- - Arezki Bouchenouf & Ouamar Laichouchen, « Site archéologique de Mlakou à Bejaia : Le nom antique Petra entre Signification topographique, toponymique, anthroponymique et mythologique, Vol.4, No.7, Univ.Aboubeker Belkaid de Tlemcen, Algérie, 2019.
- -Alain Chauvot, «Firmus, Fils de Nubel, Imperator et Rex», Collection Études d'archéologie et d'histoire ancienne de l'Université de Strasbourg, Paris, 2015.
- -Ammien Marcellin, Histoire de Rome, Trad. Collection des Auteurs Latin, Livre XXIX, Chap.V, paris, 1860.
- -Denis Lengrand, «Le Limes intérieur de la Notitia Dignitatum», In Histoire ANCIENNE Et MÉDIÉVAL- Frontières et Limites Géographiques de L'Afrique du Nord Antique(Hommage Á Pierre Salama), Pub.Sorbonne, Paris, 1999.
- - Denis Lengrand, «Le Limes interne de Maurétanie Césarienne au IVE siècle, et la Famille de Nubel», In Frontières Terrestres, Frontières Célestes dans L'Antiquité, Éd. Presses Universitaires de Perpignan, Paris, 1995.
- -Charles Lebeau, Histoire du Bas-Empire, Tome.III, L'Imprimerie de Firmin Diot, Paris, (s.d).
- -Gabriel Camps, Firmus, Encyclopédie berbère(Filage-Gastel), Vol.XIX, Edisud, France, 1997.
- - Jean Desanges, Catalogue Des Tribus Africaines De L'Antiquite Classique A L'Ouest Du Nil, Pub.Section D'histoire, Dakar, 1962.
- -jean Pierre Laporte, «Les armées romaines et la révolte de Firmus en Maurétanie césarienne», In L'Armée Romaine de Dioclétien Á Vallentinien Ier, Diffusion de Boccard, Paris, 2004.
- -Jean, Pierre Laporte, «Nubel, Sammac, Firmus et les autres une famille berbère dans L'Empire romain», L'Africa Romana, Trasformazione dei

paesaggi del potere nell'Africa settentrionale fino alla fine del mondo antico, Atti del xix convegno di studio Sassari, Caro cci editore , 16-19 dicembre 2010.

- Jean- Marie Lassère, Vbique Populus, Peuplement et Mouvement de Population de la Chute de Carthage à la Fin de la dynastie Sévères(146 av.J.C-235 ap.J.C.), Ed.Centre National de la Recherche Scientifique, Paris, 1977.
- Jehan Desanges, SUBURBURES, Encyclopédie Berbère(Siga-Syfax), Vol.XLIII, Peeters Publishers, 2019.
- M.CH. DE VIGNERAL, Ruines Romaines De L'Algérie Kabylie Du Djurdjura, Imprimerie de J. Claye, Paris, 1868.
- Nora Yahiaoui, Les Confins occidentaux de la Maurétanie Césarienne, Sciences de l'Homme et Société. Ecole pratique des hautes études, Paris, 2003.
- Plin L'Ancien, Histoire Naturelle, Livre.V, Dubochet, Pris, 1848-1850.
- Stéphane Gsell, «Notes sur une Inscription D'Ighzer Amokrane (Kabylie)», CRAI, 45e année, No.2, Paris, 1901.
- Virginie Bridoux, «Les Établissements de Maurétanie et de Numidie entre 201 et 33 av.J.-C. Synthèse et Connaissances», MEFRA, Tome.120, No.2.
- Yves Modéran, «Gildon, Les Maures et L'Afrique», Mélanges de L'Ecole Française de Rome, Tome.101, No.2, 1989.
- Yves Modéran, «Les Maures et L'Afrique», Mélanges de L'Ecole Française de Rome, Tome.101, No.2, 1989.
- Yves Modéran, Mascezel, Encyclopédie berbère (Maaziz-Matmata), Vol. XXX, Éd.Peeters, France, 29 décembre 2010.
- Yves Modéran, Gildon, Encyclopédie berbère (Gauda-Girrei), Vol.XX, Pub. Edisud, 1998, (S.L).

مقاومة مدينة دلس للاحتلال الفرنسي

(من بداية الاحتلال إلى سقوط المدينة)

أ.د/ نور الدين شعباني - جامعة خميس مليانة

عناصر المداخلة

مقدمة

أولاً: أوضاع منطقة عمراوة السفلى قبيل الاحتلال الفرنسي:

ثانياً: الاحتلال الفرنسي الأول لمدينة دلس:

ثالثاً: انضمام مدينة دلس لثورة الأمير عبد القادر:

رابعاً: زيارة الأمير عبد القادر لمدينة دلس:

خامساً: مقاومة أهل دلس للاستعمار الفرنسي تحت قيادة بن سالم:

سادساً: سقوط مدينة دلس:

سابعاً: استسلام الخليفة بن سالم:

خاتمة

مقدمة:

تعد مدينة دلس من المدن الساحلية العريقة في الجزائر، حيث تعرضت لكل الحملات الاستعمارية التي تعرضت لها الجزائر عبر تاريخها بحكم هذا الموقع الساحلي، ولقد مكّنت هذه الحملات مدينة دلس من اكتساب عدة خصائص حضارية وثقافية واجتماعية، و لعل آخر هذه الحملات التي تعرضت إليها هذه المدينة هو الاحتلال الفرنسي سنة 1844م، حيث حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية التطرق لهذه المحطة التاريخية وردود فعل أهل مدينة دلس و كفاحهم ودفاعهم عن مدينتهم إلى غاية سقوطها.

أولاً: أوضاع منطقة عمراوة السفلى قبيل الاحتلال الفرنسي:

كانت مدينة دلس جزء من منطقة القبائل التي كانت تتشكل خلال الفترة العثمانية من منطقة عمراوة السفلى (التحاتة) و عمراوة العليا (الفواقة)، و نقصد بعمراوة هي المناطق بحوض سيباو الذي يمتد من دلس الى تيزي وزو الى ذراع بن خدة هي قبيلة مخزنية أغلب سكانها عرب و أقليات تركية و أمازيغية تابعة للدولة العثمانية، و عكس باقي قبائل المخزن التي أجبرت أو خيرت بأن تنضم للدولة العثمانية فنجد أن هناك ثلاث قبائل عربية هي سويد و كرفة و عمراوة قد انضموا للدولة العثمانية برغبتهم بعد أن كثرت الحملات الاسبانية المسيحية، كما شكل علي خوجة مخزنا من قرى عمراوة و أقام برج سباو و برج بوغني و برج تيزي وزو. كما أقام سوقين لاحقا هما سوق الاثنين، في بغلية بالقرب من برج سباو، و سبت عمراوة، بالقرب من ذراع بين خدة¹.

كانت أرض عمراوة التابعة للبايلك تسكنها 16 زمالة من بينها هذه زمالة عبيد شمالال هي الوحيدة المتكونة من الزوج المحررين، وهذه الزمالات هي: كاف العقاب، برج السباو، تاورقة، ذراع بن خدة سيدي نعمان، ليتامى المكونة لعمراوة التحاتة، أولاد بوخالفمة، تيزي وزو، عبيد شمالال، تيميزان لغبار، سيخ أومدور، إغيل أورابح، ثالة عثمان، تيقوبعين، تامدة و مقلع مكونة لعمراوة الفواقة.

قرى كتوس، أولاد وارث، ثالة موقر، زيمولا، بورديم و أرجاونة التي ما تزال موجودة في عمراوة لم تكن زمالات ولم تكن لديها خيول.

- 1 M.Daumas, La grand Kabylie, Etudes historiques, Edits Hachette, Paris, 1847, p103

بقيت عمراوة السفلى وفيّة دائما للأتراك و كانت على الدوام سندهم القوي، أما عمراوة العليا فكانت مرة خاضعة و مرة أخرى ثائرة، باستثناء عبيد شمالال التي كانت تامة الوفاء للأتراك. وعندما كان عمراوة العليا يثورون تضطر هذه الزمالة للانسحاب إلى برج تيزي وزو الذي كان يستعمل همزة وصل بين جزئي القبيلة أو ينسحبون إلى غاية برج السباو.

فعرش عمراوة شارك في معركة اسطاوالي صيف 1830 م تحت قيادة أعمار أوسعيد ناث قاسي لعمراة العليا و عمر بن محي الدين لعمراوة السفلى بإشراف الزعيم الروحي محمد أمزيان بوخالفة، بل وذكرهم محمد الصغير فرج في كتابه تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954 و قد ذكر : عرش عمراوة و عددهم 11833 نسمة.

وخلال الوجود العثماني بالجزائر ثارت إمارة كوكو بزعامة بلقاضي ضد الوجود العثماني، تأسست عام 1515م واستمرت إلى غاية 1638م) و بعد صراع طويل مع السلطة العثمانية ضعفت ثورة كوكو أمام دايات الجزائر، وخاصة بعدما نصب داي الجزائر قواعد العسكرية المتقدمة في كل من تيزي وزو و بوغني، كما أخذت قادة سباو تتوسع في منطقة عمراوة كل يوم¹.

ورغم الفوضى التي عرفتها منطقة جرجرة إلا أن قبائلها استمرت في التمرد لكن بدون جدوى. لكن اهم منطقة أصبحت تحت السيطرة العثمانية الفعلية كانت منطقة سباو التي تحصّنت من جهة الغرب بقاعدة يسر العثمانية وهو ما دفع سكان عمراوة إلى التحصّن بالجبال، و تحولوا من موقف هجومي إلى موقف دفاعي، حيث تحول كل جهودهم الى حراسة دوابهم و حقولهم ليل نهار (و هي مصدر عيشهم الأساسية) من هجمات عثمانية محتملة.

و لكن في قاعدة سباو و تيزي وزو و بوغني العثمانية المدعمة من طرف قبائل المخزن العرب و البربر، و الإدارة العثمانية رغم سيطرتها على الوضع لكنها بقيت في صراع دائم مع قبائل جرجرة، مما جعلهم غير قادرين على فرض سيطرتهم

- 1 Ageron)Charles-Robert(, La politique kabyle sous le Second Empire. In: Revue française d'histoire d'outre-mer, tome 53, n°190-191, premier et deuxième trimestres 1966. pp. 67-105; doi : <https://doi.org/10.3406/outre.1966.1416> https://www.persee.fr/doc/outre_0300-9513_1966_num_53_190_1416

الكاملة على جرجرة¹.

وقد استمر هذا الوضع لى غاية سنة 1737م بتنصيب قائد جديد على قاعدة سباو وهو محمد بن علي الملقب بالذباح². هذا المحارب والسياسي الذي سبق له شغل منصب قائد جيش التيطري، والذي يتمتع بعدة صفات جعلته يكون الرجل المناسب لإخضاع منطقة القبائل، فهو مرتبط بعلاقة مصاهرة بعائلة آيث بوخطوش³ المشهورة في منطقة أورير، كما انه ينحدر من سلالة ين قاضي أمير إمارة كوكو، و الذي تمكن من فرض سيطرة السلطة العثمانية على برج منايل وسباو وبوغني⁴.

ومن أجل تدعيم سيطرتها على تلك المناطق عملت السلطات التركية على إنشاء مراكز عسكرية أخرى، كما قامت بتوسيع نفوذ و أماكن استيطان الزنوج المعروفين بعبيد شمال⁵ في نهر سباو و بوغني، مرفوقين بشيوخ الصوفية وتحت قيادة القادة الأتراك القاطنين في برج سباو، حيث وزعوا عليهم الأراضي الخصبة و زودوهم بالأسلحة مقابل أن يكونوا عوناً لهم في كل تعبته⁶.

لكن مع بدايات القرن 19م أخذت عمراوة تتحرر من قبضة سلطة المخزن وحلفائهم من عبيد شمال، حيث في سنة 1818م تم الاستيلاء و تخريب مركز القيادة التركية في بوغني، كما سقط المركز المتقدم للأتراك بتامدا في أيدي

1 - Boulifa)Si Ammar(, Le Djurdjura a travers l'histoire, depuis l'antiquité jusqu'au1830, Alger, 1925, p 245.

2 حول هذه الشخصية انظر: Le Bey Mohamed dit Le Bey Debbah, In Revue Africaine, Volume07, P293. Guin(Interprète Militaire, Notes sur Le Bey Mohamed dit Le Bey Debbah, In Revue Africaine, Volume07, P293.

3 تنسب هذه العائلة إلى لزعيم مقاومة منطقة بوغني ضد الأتراك سيد علي بوختوش الذي قاوم الوجود العثماني وقاوم القائد علي خوجة العثماني لما قام ببناء برج سباو سنة 1720م و برج آخر في وادي بوغني سنة 1724م لكنه انهزم في منطقة ذراع بن خدة بعد ذلك.

4 - Boulifa)Si Ammar(, Le Djurdjura a travers l'histoire, OP.Cit, p246.

5 هي عبارة عن مستوطنات زنجية تمركزت في هضبة تيزي وزو الحالية، عند التقاء نهري واد عيسى الحالية وسباو، و ذلك بغرض استغلال الأراضي الخصبة في زراعة الحبوب و الخضر و الفواكه، وذلك في الوقت الذي تم إنشاء المركز العسكري الجديد في تيزي وزو في سنة 1640م و الذي تحول إلى مركز قيادة من الدرجة الأولى، كان في الأول خاضع لعائلة آيت ختوش قبل أن يتحول فيما بعد إلى أيدي عائلة آيت قاسي.

6 - Boulifa, Le, OP.Cit, p247.

7 - Gavoy, Émile, Notice sur Tizi-Ouzou : historique, climatologie, constitution médicale, imprimerie de V. Aillaud (Alger), 1878, p21.

سكان عمراوة العليا، و بالنسبة لعمراوة السفلى التي تنتمي إليها مدينة دلس والذين يلقبون بعمراوة الغرابية أيضا عن طريق قبائل آيت جناد و آيت واغنون بقوا مستعصيين على الأتراك، وكانوا يسيطرون على كل المنطقة الممتدة من شمال برج سباو و ميناء دلس .

وبهذا حافظت مدينة دلس على نوع من الهدوء وتمكنت من التصدي لعدة غارات تركية، وأهمها حملة الأغا يحي سنة 1819 و التي انتهت بهدنة بين قبائل عمراوة و الأتراك، لكنها لم تدم إلا سنة واحدة بحيث انه في سنة 1820م قام قايد برج سباو باستدعاء زعيم عمراوة العليا آيت قاسي في أمر عاجل و سري، و عند زيارة آيت قاسي لقايد برج سباو قام هذا الأخير بدعوته إلى مرافقته إلى إحدى غرف البرج، و هنا قام بتوجيه رصاصة لأيت قاسي من الخلف حيث أصابه في مؤخرة رأسه و أراده قتيلا، بعدها قام الحراس بالقضاء على مرافقيه، مما تسبب في حالة هيجان من طرف قبائل عمراوة الذي قاموا بإحراق مركز المراقبة التركية في تامدا و طردوا القايد أوباجي منه، كما اندلعت ثورة عارمة في كل جرجرة ضد الأتراك، قبل أن يتدخل الاغا يحي من اجل تهدئة الوضع فمنح الأمان للعائلة ايت قاسي وأعطاهم دية القتل، كما الاعتراف بزعامته بلقاسم ابن محمد آيت قاسي المقتول على عمراوة العليا و عين قائدا على مركز تامدا سنة 1823م و هو ما جعل قبائل عمراوة تستعيد قوتها و مكانته في المنطقة².

هذا الوضع جعل قبائل عمراوة (و خاصة قبائل ايت جناد و واغنون) العليا قوية وعدوانية من خلال غاراتهم اليومية على المراكز التركية و الحواضر المتواجدة في عمراوة السفلى، كانت مدينة دلس بحكم موقعها الساحلي تعاني من هذه الهجمات لكنها في المقابل بدأت تحظى بهدوء واستقلالية من جهة الأتراك بحكم تبعيتها لحكم عائلة بن محي الدين بتاورغمة. قبل أن يخضع الداى كل منطقة القبائل في حملة 1825م³.

وبعد سقوط مدينة الجزائر تحت ايدي الجيش الفرنسي سقطت الحكومة التركية في كامل القطر الجزائر الذي كانت متمركزة فيه، أما في منطقة القبائل فقد هرب قايد برج سباو محمد بن مصطفى، فدخلت المنطقة في مرحلة

- 1 Boulifa, Le, OP.Cit, p301.

- 2 Ibid, p311.

- 3 Ibid, p326.

فوضى جراء غياب السلطة المركزية التي كان يمثلها الأغوات الأتراك، وقد سميت هذه الفترة من الفوضى باسم دولة الهامل، و هنا قام الحاج محمد بن زعموم بضم تحت سلطته كل القبائل الممتدة من وادي يسر إلى غاية وادي سباو. كما قام أحمد آيت يحي زعيم قبيلة واغنون بوضع قبيلة بني سليّم و بني ثور و تاورغة ورو مدينة دلس، كما سيطر أيضا على الجمارك الموجودة في ميناء دلس التي كانت تأخذ ضرائب من السفن التجارية القادمة إلى مينائها¹.

ثانيا: الاحتلال الفرنسي الأول لمدينة دلس:

منذ أن حطت جيوش ديورمون الفرنسية بسواحل سيدي فرج هب سكان مدينة دلس للذود عن حمى الوطن ضمن كتيبة القبائل التي قادها شيخ الطريقة الصوفية الرحماني بمنطقة القبائل الشيخ سيدي المهدي السكلاوي، لكن بعد سقوط مدينة الجزائر في أيدي الغزاة الفرنسيين يوم 5 جويلية 1830م عاد أهل دلس إلى مدينتهم².

بعد فشل مقاومة متيجة بقيادة بن زعموم زعيم قبيلة فليسة الذي قبل شروط المستعمر، وفي شهر ماي 1837م، كما قامت كتيبة صغيرة من الجيش الفرنسي باجتياح مدينة الثنية و تقدمت نحو مدينة يسر وكانت هذه الكتيبة تريد الانضمام إلى كتيبة أخرى بقيادة الجنرال بيريجو (Perrégaux) المتجهة نحو مدينة دلس عن طريق السفن لكن وضعية البحر الهائجة لم تسمح بنجاح هذه العملية بعد ذلك تلقت كتيبة يسر إمدادات أخرى فواصلت عملية الهجوم³.

لقد أسفرت العملية على إخضاع قبائل يسر و دلس لكنهم لم يحتلوا مدينة دلس، فقد تم أخذ بعض نبلاء مدينة دلس كرهائن إلى مدينة الجزائر وعلى رأسهم أحد كبار تجارها وهو الحاج مولود بن علال كرهينة، من أجل إجبار أهل المدينة على الخضوع للفرنسيين⁴، فتشكلت بعثة بقيادة المدعو جبروني محمد واتجهت

-
- 1 Robin(N), Note historique sur la grande Kabylie(1830-1838), In :Revue Africaine, N°115, Janvier –Fevrier 1876, Alger, Pp83-84.
 - 2 E. Pellissier, Annales Algériennes, Paris, 1836, P80
 - 3 M.A.Vispeq, Dellys Petite monographie locale, edits Chaix fils, Alger, S D, P30.
 - 4 Robin(Colonel), Notes historiques sur la grande Kabylie, de1338-1851, in : Revue Africaine, année1902, vol :46, A.Jordan laibrairie-editeur, Alger1902, p49.

عن طريق البحر إلى الجزائر، من أجل التفاوض مع الفرنسيين من أجل إطلاق سراح الرهائن ودفعوا أتوات مقابل ذلك، ولما عادت البعثة جلبت معها بعض الفرنسيين¹.

لكن هذا الدخول الفرنسي إلى مدينة دلس لم يكن احتلالاً بالمعنى الحقيقي، ذلك أننا نعتقد أن رئيس بعثة أهل دلس محمد الجبروني كان يريد من خلال جلب الفرنسيين إلى دلس هو من أجل سلامة الحاج مولود بن علال إلى جانب محاولة جلب الحماية من الهجمات التي كانت تتعرض إليها مدينتهم من طرف سكان المداشر بعدما سقطت سلطة الأتراك و لم تعوضها سلطة بديلة فكانت تلك السنوات التي أعقبت رحيل الأتراك من برج سباو وترك المنطقة بدون حاكم فعلي مليئة بالاضطرابات والاعتداءات على المدن وخاصة حاضرة دلس.

ثالثاً: انضمام مدينة دلس لثورة الأمير عبد القادر:

استغل الأمير عبد القادر معاهدة التافنة (30 ماي 1837م) ليركز على تنظيم دولته وتوسيع نفوذه و جلب دعم الجزائريين لحركة الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي التي أعلن عنها وخاصة في منطقة القبائل.

منذ ديسمبر 1837م بدأت أخبار الأمير عبد القادر تصل إلى منطقة عمراوة وخاصة إلى زعيم عمراوة السفلى سي عمر بن محي الدين²، ولما وصل الأمير إلى منطقة القبائل واجتمع بزعماء القبائل عين أحمد طيب بن سالم خليفة له على كل منطقة القبائل، وتعهد له زعماء القبائل وأمناء الجماعات على الوقوف معه في جهاده ضد الاستعمار الفرنسي، وطاعة خليفته أحمد طيب بين سالم بشرط عدم فرضه قوانين جديدة عليهم مغايرة للقوانين التي توارثوها وعدم دفع الضرائب والاكتفاء بدفع الزكاة³.

بعد هذا الاجتماع الذي انعقد في سيد علي موسى بنواحي معاتمة، قام الأمير بزيارة برج تيزي وزو، وبات الليلة هناك عند العمراوة وألقى عليهم نفس الخطاب الذي ألقاه في سيد موسى، حيث أعلنوا له ولاءهم له.

- 1 Ibid, p22.

- 2 Robin(Colonel), Notes historiques, Op.Cit, p44.

- 3 M.Daumas, La grand Kabylie, Etudes historiques, Edits Hachette, Paris, 1847 , Pp193-194.

عين الأمير عبد القادر أحمد الطيب بن سالم خليفة له على منطقة القبائل و
عين الحاج عمر بن محي الدين آغا على تاورغته، وقد زود الأمير خليفته بفيلق

عسكري نظامي وأرسل له ضابط برتبة آغا وحدة عسكرية وستة ضباط برتبة
سيّاف و122 خيمة عسكرية و600 بدلة عسكرية كاملة مع السلاح ولم يبق
لبن سالم إلا تجنيد المحاربين فقط والتي كانت مهمة سهلة في منطقة القبائل. ثم
قام بإخضاع قايد منطقة يسر مصطفى بن عمر وكلفه بجمع العشور والزكاة
بعدها كان من قبل في خدمة الفرنسيين. اتجه بعد ذلك الخليفة بن سالم إلى
مدينة دلس حيث عين الحاج مولود بن علال في منصب قايد المرسي (وهو المنصب
الذي كان يشغله أصلا من قبل) ¹.

رابعا: زيارة الأمير عبد القادر لمدينة دلس:

في سنة 1839 قام الأمير بزيارته الأولى لمنطقة القبائل رفقة مائة فارس، وكانت
هذه الزيارة تحت رعاية عدد من أعيان المنطقة النافذين ونبلائها من أهل العلم و
الجاه والدين، وهذه المرة وصل إلى مدينة دلس التي لم يكن يعرفها من قبل، وقد
رافقه في هذه الزيارة خليفته سي احمد طيب بن سالم و احد نبلاء مدينة دلس
يسمى عبد الرحمان الدّلسي وهو احد قادة احمد طيب بن سالم، وفي طريقهم
إلى مدينة دلس لاحظ أن هذه المدينة لا تتمتع بأي شكل من أشكال الحصانة
ضد اي هجوم فرنسي محتمل ²، فسأل الأمير عبد الرحمان الدّلسي قائلا له: «كيف
تتمكنون من التأقلم مع موقع مدينتكم الساحلي؟ لو كنت مكانكم لما مرت
عليّ ليلة واحدة دون الاحتياط خوفا من هجمات مفاجئة للنصاري الفرنسيين
على المدينة». فأجابه عبد الرحمان الدّلسي بأنه لا يقلق بخصوص هذا الأمر لأن
سكان المدينة يحميهم من أي خطر أجنبي ضريحان لشيخين مرابطين من شيوخ
الصوفية هما سيدي سوسان وسيدي عبد القادر، واحد يحميهم من جهة البحر و
الأخر يحميهم من جهة البر. فأجابه الأمير قائلا: ... لا يجب أن نثق في النصاري، لأن
شباكهم منصوبة فقط من أجل الإيقاع بنا، لهذا يجب إرسال متاعكم كلها إلى
الجبال ولا تتركوا في المدينة إلا عائلاتكم و خيولكم». و بعد أيام قلائل تم

- 1 Robin(Colonel), Notes historiques, Op.Cit, Pp48-49.

- 2 DR. MOHAMED SALEM ,L'Emir Abdelkader en Kabylie (1838-1839),
IN : [HTTPS://www.elwatan.com/archives/histoire-archives/lemir-abdelkader-en-kabylie-1838-1839-23-07-2009](https://www.elwatan.com/archives/histoire-archives/lemir-abdelkader-en-kabylie-1838-1839-23-07-2009), 23 JUILLET 2009 .

تنفيذ تعليمات الأمير¹.

بعد مكوثه بدلس ست ليال زار الأمير عبد القادر بعدها شيخ قرية بوربراك في منطقة أولاد سيدي عمر الشريف أين تناول غداءه ثم بات الليل في حوش النهار في منطقة يسر، أين قدم زعماء قبائل تلك المنطقة لمقابلته، حيث طلب منهم نقل كل أمتعتهم إلى أماكن عالية وعدم ترك الحبوب في لسهول، كما زار الشيخ الصوفي بومرداس في جبال يسر².

اتجه الأمير بعد ذلك نحو قرية سيدي نعمان عند قبائل عمراوة حيث قدم له سكان وادي نسًا هدايا قيمة متمثلة في تين مجفف، زيت، شمع وصابون، كما قدم له كل اغا من أغوات عمراوة وهما بلقاسم أوقاسي وعمر بن محي الدين بغلة رائعت³.

خامسا: مقاومة أهل دلس للاستعمار الفرنسي تحت قيادة بن سالم:

بعد نقض فرنسا للمهدنة مع الأمير أرسل الأمير رسالة لخليفته بن سالم بطلب منه الاستعداد لمواصلة الجهاد، على إثرها قام بن سالم باستدعاء القادة المنضون تحت قيادته إلى مخيم بعيون بسام عند قبيلة عريب أين أعلن أمامهم الجهاد المقدس ضد الفرنسيين⁴.

وبعد مقاومة شرسة في متيجة بين 1839 و 1844م، وخضوع بن زعموم والخليفة عمر بن محي الدين، فإن الهجوم الكبير على منطقة القبائل ومنها مدينة دلس بدأ في مطلع سنة 1844م، حيث مع المارشال حوالي 8 آلاف جندي فرنسي، لبدأية الهجوم يوم 28 افريل 1844م بقيادة المارشال بيجو، فلقد اجتاح هذا الجيش منطقة يسردون مقاومة بعدما هجرها أهلها و انضم الخليفة بن محي الدين الى الجيش الفرنسي و معه 400 فارس، وفي الثاني من شهر ماي دخل الجيش الفرنسي برج

- 1 Roben, Op.Cit, p198.
- 2 Roben, Op.Cit, p199.
- 3 M.Daumas, Op.Cit, p 201.
- 4 Ibid,p216.

5 بينما يحددها بليسيي (E. Pellissier) بسبعة آلاف جندي انظر:

- E. Pélissier de Reynaud, Annales Algériennes, PARIS, Librairie militaire, Octobre 1854, Tome3, P108.
- 6 Ibid, p108

منايل التي كان أول المدن التي ما تزال خارجة عن سيطرة الفرنسيين آنذاك، ولقد أصراً الماريشال بوجو على احتلال مدينة دلس ومينائها حتى جعل منها نقطة التزود بالمؤونة¹، فرغم المشاكل التي كان يعاني منها خليفة الأمير بن سالم و تخلي عائلته عنه إلا أنه بقي مرابطاً في جبال منطقة سباو مما أعاق بقدم قوات بيجو في المنطقة وهو ما جعل هذا الأخير يقرر شن هجوم ثان على مدينة دلس².

استقر قسم من الجيش بقيادة الجنرال جنتيل (Gentil) ببرج منايل لكن الحالة المزرية للطريق الرابط بين برج منايل و دلس و سوء الأحوال الجوية و من

أطار جعل مسيرة الكتيبة الفرنسية المتوجهة نحو مدينة دلس مرهقة، حيث وجد الفرنسيون صعوبات كبيرة في قطع جبل بوبراك و وادي سباو لأول مرة، وبسبب ارتفاع منسوب مياه وادي نسا فقد استغرقت مدة قطعه سبعة أيام، و غرق فيه ثلاث فرسان من الأهالي المتعاونين مع فرنسا، و كان وصولهم إلى مدينة دلس في الثامن من شهر ماي 1844م، حيث واجهتهم طلقات ناريتة من طرف جيش أهل دلس الذي كان متمركزاً على مسافة بعيدة عنهم، و هنا استنجد الجنرال بيجو الجيش بدعم الجيش المتواجد ببرج منايل بقيادة الجنرال جنتيل، و انطلق نحو مواجهة جيش بن سالم الذي كان يقوده الحاج عمر بن محي الدين يوم 12 ماي 1844م، و الذي كان يتشكل من حوالي 8 آلاف مجاهد، الذين تصدوا للجيش الفرنسي من خلال هجمات انطلاقا من جبل بوبراك، مما جعل الجيش الفرنسي إلى سحب كتيبته نحو الضفة اليسرى لوادي نسا قبل أن يبدأ في هجوم معاكس أحبط من خلاله هجمات جيش فرسان بن سالم الذي تراجع و تشتت³.

اتجه فرسان جيش بن سالم نحو جبال تاورغة أين اشتبكوا مع قوات الجيش الفرنسي حيث فقد بن سالم حوالي 300 شهيد في هذه المعركة، كما تم حرق قرية تازرقة⁴. و في 16 ماي من نفس السنة وبعد ان وصلت كتيبة بيجو إلى تادمايت التقى الجمعان قرب برج سباو حيث تبادل الطرفان إطلاق النار ليوم كامل، و رغم محاولة بيجو إجراء مفاوضات لكنها فشلت خاصة بعدما تدخلت النسوة الذين شجّعن أزواجهن بعدم الاستسلام و عدم إلقاء السلاح⁵.

- 1 Daumas, Op.Cit, p317.
- 2 E. Pélissier , Annales Algériennes, Op.Cit, P108.
- 3 Ibid, Pp108-109.
- 4 Daumas, Op.Cit, p320.
- 5 Ibid, p325.

في يوم 17 ماي قام الماريشال بيجو بهجوم كبير عن طريق جيش مكون من حوالي 20 ألف جندي بعدما انظم اليه جيش زاوارة بقيادة سي الجودي وجيش عمراوة، وقد دارت معارك كبيرة فقد فيها الجيش الفرنسي حوالي 31 قتيل و 103 جريح، بينما كانت الخسائر في صفوف جيش بن سالم تقدر بحوالي 600 شهيد نظرا لعدم تكافؤ القوى بين الطرفين وأما هذه الهزيمة لجأ بن سالم إلى قرية بني يحيى في جبل فرعون في بجاية، وهو ما أدى إلى بداية استسلام بعض القبائل.

سادسا: سقوط مدينة دلس:

لو تتبعنا خطوات احتلال مدينة دلس لوجدناها سارت على النحو التالي:

دخلت قوات المارشال بيجو مدينة دلس و احتلتها دون مقاومة، يوم 07 ماي 1844م، وقد ترك بيجو في مدينة دلس بعد احتلالها 100 جندي من المشاة، 50 جندي تابع لكتيبة لحضر الخنادق و التفجيرات، 100 جندي تابعين لفرقة الرماة (Tirailleurs) الأولى (وهي كتيبة مكونة من المرتزقة الأجانب اغلبهم مغاربة)، بالإضافة إلى 120 جندي من الميليشيات المحلية وهي كلها خاضعة لقيادة القبطان بيريجو (Périgot) وهو تابع بدوره لكتيبة الرماة الأولى، قبل أن يتعرض هؤلاء المستوطنون الفرنسيون إلى هجوم من طرف قوات بن سالم في وادي سباو يوم 12 ماي 1844 عندما كانوا يعبرون واد نسا في طريقهم إلى برج منايل كما سبق وأن ذكرنا، حيث قامت قوات بن سالم إلى تقسيم الجيش الفرنسي إلى قسمين وتعرض الجيش الفرنسي المتمركز في الضفة اليسرى لواد نسا مكوّن من كتيبة من 200 جندي وبعض المتعاونين مع فرنسا من الأهالي، ودارت معركة ليوم كامل.

كما تجددت المعارك يوم 17 ماي في الضفة اليسرى لواد نسا عند قرية وارزدين و التي فقد فيها جيش بن سالم عدد كبير من الشهداء، بينما فقد الجيش الفرنسي 30 قتيل و 100 جريح كما ذكرنا سابقا، وكان من بين الجرحى القائد الفرنسي فالونتان الذي تم دفنه في احد البساتين قري باب اوستليتز (Austerlitz) بمدينة دلس، وفي 12 ماي استسلمت قبيلة فليسة للقوات الفرنسية و تسلم زعيمها بن زعموم برنوس الولاء والتنصيب.

- 1 E. Péliissier, Op.Cit, p111.
- 2 Vispecq, Dellys Petite monographie locale, Op.Cit, p24.
- 3 Pellissier , Annales Algériennes, Op.Cit, P111.

بعد الاستسلام طلبت قبائل فليسة من المارشال بيجو أن يعفيهم من الضريبة بحجة أنهم لم يدفعوها من قبل لا للعثمانيين ولا للأمير عبد القادر، لكن بيجو أجابهم بان فرنسا أقوى من داي الجزائر و من الأمير و لا يمكن مقارنتها بهم¹.

بعد هزيمة جيش بن سالم مع الفرنسيين، بقيت قبائل عمراوة الفواقة (العليا)

بزعامته بلقاسم أوقاسي غير خاضعة للفرنسيين و لكن في صيف 1844 حدث خلاف بين أوقاسي و شيخ قبائل عبيد شمال الحاج حمدان بن قلي الذي أبدى رغبته في خضوع عبيد شمال للفرنسيين مما أدى إلى تفرقهم و عداوة بينهما، كما تعرضت قافلة بن سالم إلى النهب من طرف بعض القبائل الخاضعة للفرنسيين، لهذا ففي 21 سبتمبر 1844م استغل بن سالم و الحاج حمدان بن قلي فرصة حضور زعماء القبائل الخاضعة إلى حفلا نظمتها السلطات العسكرية الفرنسية في العاصمة لشن هجوم على مدينة دلس في محاولة لاسترجاعها، فتجمعوا في سيدي نعمان برفقة 2000 من جنود المشاة و 200 فارس، ولما حاولوا السير إلى مدينة دلس وجدوا معارضة من طرف القبائل الذين رؤوا أن الأولوية هي الإغارة على القبائل الخاضعة للفرنسيين، وبعد جدال كبير مع هذه القبائل انصرف عدد كبير من الجنود لصالح هذا الطرح ولم يبق أما بن سالم و بلقاسم أوقاسي إلا حوالي 200 من المشاة و 200 من الفرسان، و هو الأمر الذي جعل مهمتهم صعبة².

لما سمع بيجو بهذا الأمر أرسل فرق عسكرية أخرى إلى دلس التي نزلت بها بين يومي 23 و 27 سبتمبر وشكلوا فرقة استكشافية صغيرة تحت إمرة الجنرال كومان (Comman)، كما تم تدعيمهم بفرقة من الأهالي الخاضعين المقدر عددهم بـ 500 فارس و يقودهم ثلاث أعوات، بعده خرجت هذه الفرقة العسكرية من دلس وقطعت واد سباو من جديد، و اتجهت إلى غاية تامدا بمنطقة القبائل، و قد قامت هذه الفرقة بعمليات نهب و سلب واسعة بعدما انسحبت قوات بلقاسم أوقاسي و نهبوا ممتلكاته³.

- 1 Général Denop, Lettres sur l'Algérie, 1907-1908, Librairie Plon, Paris, 1908, P274.
- 2 Robin, Notes historiques sur la Grande Kabylie de 1838 au 1851, in : Revue Africaine, Volume47, année 1903, A. Jourdan librairie éditeur, Alger, 1903, Pp62-63.
- 3 Ibid , p65.

سابعاً: استسلام الخليفة بن سالم:

في نهاية سنة 1849م تم تنصيب القائد دو كرو (Ducrot) في منصب جديد بمنطقة عمال، و بمجرد وصوله فكر بضرورة الدخول في علاقة مع الخليفة بن سالم معتمدا على اشتياق بن سالم لابنه الشاب الذي أخذه الفرنسيون أسيرا و منحوه تعليما فرنسيا في فرنسا، حيث قام القائد دو كرو بإرسال ابن الخليفة بن سالم لزيارة والده برفقة عدد من الخدم، و بعد عدة أيام عاد الشاب ابن الخليفة بن سالم إلى عمال حاملا معه رسالة من أبيه إلى القائد دو كرو يعبر له فيها بن سالم عن امتنانه واعترافه بجميله، فاتجه القائد دو كرو إلى الجزائر لمقابلة المارشال بيجو، قام هذا الأخير قام بتكليف القائد دو كرو بمقابلة الخليفة بن سالم الذي قبل الأمر. بعدها لبس القائد دو كرو لباسا عربيا ورافقه رجلان عربيان و قطعاً منطقة القبائل بمن أجل ملاقة بن سالم، و في يوم 6 جانفي 1849م تم اللقاء بين الرجلين في عمال، وكان اللقاء طويلا انتهى بإقناع بن سالم بالاستسلام، و أن يكون ذلك في مدينة الجزائر، حيث جاء على لسان بن سالم ما يلي: «أوافق على حكم الحاكم العام الفرنسي لأن هذه القوة جاءت من عند الله، و فرنسا قوية بتسخير رجال مثلك»¹.

قدم المارشال بيجو يوم 26 جانفي إلى عمال حيث تم تقديم بن سالم له رفقة كبار زعماء سبوا، و في يوم 8 أفريل توجه بن سالم إلى الجزائر مصحوبا بالقائد دو كرو، و لقد أمر المارشال بيجو بأن يخصص له استقبالا استثنائيا². بعد استسلامه اختار بن سالم الهجرة نحو بلاد الشام و قد رافقه في هذه الرحلة شيخ الطريقة الصوفية الرحمانية في منطقة القبائل المهدي السكلاوي، حيث ركبا على متن سفينة انطلقا من ميناء دلس نحو بلاد الشام.

- 1 Edmon Biré, Mémoires et souvenirs, Victor Retaux Librairie - éditeurs, Paris, 1898, P328
- 2 Edmon Biré, Mémoires et souvenirs, Op.Cit, p328.

خاتمة:

خلاصة البحث أن مدينة دلس التابعة خلال العهد العثماني لدار السلطان، إداريا وجغرافيا إلى عمراوة السفلى، قد حظيت لفترة طويلة بالهدوء وتمكنت من التصدي لعدة غارات تركية، وأهمها حملة الأغا يحيى سنة 1819 والتي انتهت بهدنة بين قبائل عمراوة والأتراك، وحتى لما خضعت منطقة القبائل للأتراك بقيت هذه المدينة الساحلية تنعم بالهدوء، وهذا بسبب موقعها الساحلي ومينائها الذي جعل منها منطقة تجارية بالدرجة الأولى، لكن هذا الهدوء قابله استماتة كبيرة في الدفاع عن المدينة من طرف أهلها حتى ولو أنهم لم يكونوا أهل حرب، فقد فشلت الحملة الفرنسية الأولى على مدينة دلس سنة 1837م، ولم يتم احتلالها في الحملة الثانية سنة 1844م، إلا بعدما استنفذ أهلها كل سبل المقاومة إلى جاني خليفة الأمير عبد القادر لأحمد طيب بن سالم.

قائمة المصادر والمراجع

- Ageron)Charles-Robert(, La politique kabyle sous le Second Empire. In: Revue française d'histoire d'outre-mer, tome 53, n°190-191, premier et deuxième trimestres 1966. pp. 67-105; doi : <https://doi.org/10.3406/outre.1966.1416> https://www.persee.fr/doc/outre_0300-9513_1966_num_53_190_1416
- Boulifa)Si Ammar(, Le Djurdjura a travers l'histoire, depuis l'antiquité jusqu'au1830, Alger, 1925.
- Daumas(M), La grand Kabylie, Etudes historiques, Edits Hachette, Paris, 1847.
- Edmond Biré, Mémoires et souvenirs, Victor Retaux Librairie - éditeurs, Paris, 1898.
- Robin, Notes historiques sur la Grande Kabylie de 1838 au 1851, in : Revue Africaine, Volume47, année 1903, A. Jourdan librairie éditeur, Alger, 1903.
- Général Denop, Lettres sur l'Algérie, 1907-1908, Librairie Plon, Paris, 1908.
- Gavoy, Émile, Notice sur Tizi-Ouzou: historique, climatologie, constitution médicale, imprimerie de V. Aillaud (Alger), 1878.
- Guin(Interprète Militaire, Notes sur Le Bey Mohamed dit Le Bey Debah, In Revue Africaine, Volume07, P293.
- Mohamed SALEM ,L'Emir Abdelkader en Kabylie (1838-1839), in : <https://www.elwatan.com/archives/histoire-archives/lemir-abdelkader-en-kabylie-1838-1839-23-07-2009>, 23 JUILLET 2009
- Pélissier (E) de Reynaud, Annales Algériennes, PARIS, Librairie militaire, Octobre 1854, Tome3.
- Pélissier (E), Annales Algériennes, Paris, 1836.
- Robin(Colonel), Notes historiques sur la grande Kabylie, de1338-1851, in : Revue Africaine, année1902, vol : 46, A. Jordan librairies-éditeur, Alger 1902.
- Robin(N), Note historique sur la grande Kabylie(1830-1838), In :Revue Africaine, N°115, Janvier –Fevrier 1876, Alger.
- Vispecq (M.A), Dellys Petite monographie locale, edits Chaix fils, Alger, Sans Date.

**دور سكان وأعيان منطقة بومرداس
في مقاومة الغزو الاستدماري الفرنسي 1830
ومقاومة الأمير عبد القادر الحسني الجزائري 1837-1847
أ.د. عمر بوضربة – جامعة المسيلة**

عناصر المقال:

مقدمة

- 1_ مساهمة أعيان مناطق بومرداس وسكانها في مقاومة الغزو الاستدماري الفرنسي: 1830-1837 .
 - 2_ جهود منطقة بومرداس في مقاومة الأمير عبد القادر (ضمن مقاطعة برج حمزة): 1837-1847 .
 - 3_ المعارك أو أهم المواجهات العسكرية.
- خاتمة

مقدمة:

تتناول مداخلتني هذه لمحات عن مساهمة سكان وأعيان مناطق بومرداس في المقاومة الوطنية المسلحة ضد الغزو الاستعماري الفرنسي سنة 1830 ومحاولة التوسع العسكري الفرنسي بعد إخضاع مدينة الجزائر وسقوط السلطة المركزية الرسمية بموجب توقيع الداى على معاهدة 05 جويلية 1830 وتسليم الداى حسين ومغادرته الجزائر؛ وذلك من خلال تناول دور جهود الحاج محمد بن زعموم زعيم فليسة أو مليل وأبنائه والشيخ الحاج سيدي السعدي الذين سعوا لحصار القوات الاستعمارية الفرنسية ومنع تسللها في المتيجة جنوبا وشرقا في الفترة الممتدة من 1830 إلى 1837، ثم في المرحلة التالية "الانضمام إلى المقاومة الوطنية الشاملة" تحت لواء الأمير عبد القادر وضمن "مقاطعة برج حمزة" في الفترة الممتدة ما بين 1837 إلى 1847م.

1- مساهمة أعيان مناطق بومرداس وسكانها في مقاومة الغزو الاستعماري الفرنسي 1830-1837:

لما علمت السلطات الرسمية في مدينة الجزائر بأخبار الاستعدادات العسكرية الاستعمارية لغزو الجزائر أرسل الداى حسين المراسيل إلى جميع نواحي الوطن مستنفرًا الجزائريين بمختلف انتماءاتهم بغية الاستعداد للجهد ضد الغزاة الكفرة الذين كانوا يحضرون لحملة عسكرية كبرى لم يسبق لها مثيل، فكانت منطقة القبائل ومناطق ولاية بومرداس اليوم من بين المناطق التي حدث فيها النفير للجهد خاصة من: خميس الخشنة وفليسة أو مليل ويسر وضواحيها ودلس وضواحيها، فقدمت المنطقة آلاف المجاهدين المتطوعين لصد الغزو عن مدينة الجزائر، حيث ذكرت المراجع بأن قبائل المنطقة حثها أعيانها على الوحدة ونبذ الخلافات والانشقاقات التي كانت منتشرة فيما بينها، لذا تقرّر إحلال الهدنة بين المتخاصمين من القبائل للتفرغ لمواجهة العدو المشترك الكافر الغازي، وتقدر ذات المصادر أن ما جمعه المنطقة وبلاد القبائل قارب العشرين ألف مجاهد¹.

قاد هذه القوات الزعيم الحاج محمد بن زعموم والحاج محمد أوشكال وبمباركة

1 _ وفي هذا الإطار ذكر العقيد الفرنسي رويين بأن عدد مقاتلي منطقة القبائل قدر بـ 25 ألف محارب» ينظر: R.A., 1876, p50.، وينظر: سعدي مزيان، التأصيل التاريخي للمقاومة العسكرية لسكان منطقة القبائل، مجلة المصادر العدد 21، ص 27.

المرابط سيدي إسماعيل، وقد أبلى مجاهدو المنطقة بلاء حسنا في معركة سطوالي وما بعدها في الدفاع عن مدينة الجزائر فقد اشتهر مقاتلو المنطقة بأنهم كانوا مقاومين وقنّاصين من الدرجة الأولى وساعدهم في ذلك طول بنادقهم التي اشتهروا بها حسبما ذكر حمدان بن عثمان خوجة في المرآة، لكن هذه الجهود ذهبت أدراج الرياح لضعف القيادة العليا ممثلة في إبراهيم آغا وعدم قدرته على التنسيق بين هذه القوات ونقص إمدادها بالذخيرة والمؤونة.

بعد سقوط مدينة الجزائر في قبضة الغزاة الفرنسيين بتوقيع معاهدة 05 جويلية 1830 انطلقت المقاومة في الأرياف لمحاولة ملء الفراغ السياسي وسقوط الحكم المركزي ممثلا في الداوي وحكومته، خاصة بعدما بدأ الجيش الاستدماري الفرنسي محاولات فك الحصار والتوغّل في النتيجة للوصول إلى البليدة فقد بدأت هذه المحاولات في عهد دي بورمون (De Bourmont) ثم واصلها الجنرال كلوزيل (Clauzel) ومن بعده بيرتيزين (Bertizene) ثم من طرف الدوق دو روفيقو (Duc De Rovigo)¹.

حذر الحاج محمد بن زعموم قائد المقاومة في شرق المتيجة الحاكم العام الفرنسي دي بورمون من مغبة الخروج من مدينة الجزائر وأبلغه بأن سكان الجبال على استعداد للقتال لإبقاء البلاد مستقلة، لكن الجنرال الفرنسي لم يعر هذه التهديدات أي اهتمام، فحاول غزو البليدة في حملة تشكلت من 2200 جنديا من المشاة وبعض المئات من الخيالة في 1830/07/25، وتوغّل في المتيجة جنوبا ووصل البليدة دون مشاكل تذكر، لكن في طريق العودة مساء حاصرت قوات جزائرية كبيرة بقيادة الحاج محمد بن زعموم ووقعت المواجهة في بوفاريك تكبد فيها الفرنسيون عددا كبيرا من القتلى والجرحى.

بعد هزيمة قوات دي بورمون في ضواحي البليدة قرر زعماء القبائل الجزائرية التوحد لمواجهة الكافر المعتدي، وعلى اثر ذلك قرر باي التيطري مصطفى بومزراق الثورة في 1830/08/21، فقرر الفرنسيون توجيه حملة لإخضاعه في نوفمبر 1830، وصلت القوات الفرنسية البليدة في 11/18 وتركت حامية صغيرة فيها لتواصل بقية القوات مسيرها باتجاه المدينة، وهو ما اغتنمه الحاج محمد بن زعموم فأرسل قوة بقيادة ابنه الحسين باتجاه البليدة وفي الطريق التقى بقوات فرنسية

1 مزيان سعدي، التأصيل التاريخي...، ص 32.

مكونة من 50 جنديا و100 حصان بالقرب من بوفاريك فأبادوهم عن بكرة أبيهم ، وواصلت قوات الحسين بن زعموم السير باتجاه البليدة ودخلها بمساعدة سكانها، لكن بعد أن استعملت القوات الاستعمارية الفرنسية المدافع الثقيلة اضطر بن زعموم للانسحاب بقواته.

وواصلت قوات بن زعموم وأبنائه محاصرة القوات الفرنسية في النتيجة، ولم تثن الحاج محمد بن زعموم عوامل عدّة من مواصلة الجهاد ضد الغزاة ومنها كبر سنه فالمصادر تذكر بأنه كان في السبعين من عمره، وشهد له قادة الجيش الاستدماري الفرنسي ومنهم الضابط دوما(Daumas) الذي ذكر في كتابه عن منطقة القبائل بأن بن زعموم يتميز بالمقدرة الكبيرة على التخطيط الحربي.

تقوّت مقاومة محمد بن زعموم بانضمام الحاج سيدي السعدي الذي دعا للجهاد مما زاد من التفاف الجزائريين في مدينة الجزائر وضواحيها حول لواء المقاومة ضد المستعمر، كما تصاعدت مقاومة الباي بومرزاق ممّا رفع معنويات المقاومين، فتوزّعت المقاومة في ضواحي مدينة الجزائر على النحو التالي: قوات بن زعموم وسيدي السعدي على الجانب الأيمن لوادي الحراش وقوات الباي بومرزاق في منطقة بوفاريك، وإذا كان بن زعموم بمثابة القائد العسكري في ضواحي العاصمة في تلك الفترة فإن سيدي السعدي كان بمثابة القائد الروحي لها.

استمرت المقاومة الجزائرية بالنتيجة في شكل مناوشات بين مجاهدي بن زعموم وقوات الاحتلال، فقد كان الفرنسيون يحاولون الخروج من مدينة الجزائر بفرق عسكرية صغيرة وكان الجزائريون يرابطون لمنع هذه الاختراقات ووقف التوسعات في الفترة الممتدة من 1830 إلى 1834.

علم قادة المقاومة في النتيجة بأخبار الانتصارات التي حقّقها الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري فاتصل بن زعموم بالأمير حيث أرسل له ابنه حمدان الذي قابله وعرض عليه مسألة تنسيق الجهود لمقاومة الغزاة المعتدين، وكذلك فعل سيدي السعدي الذي ذهب إلى معسكر وقابل الأمير وحّدته عن إمكانية الكفاح شرقي مدينة الجزائر وحرّضه على القدوم شخصيا؛ لذا عينه الأمير خليفة له على المنطقة الممتدة من سهل النتيجة إلى ناحية الشرق (غير الخاضعة للحاج أحمد باي قسنطينة).

بعد توقيع معاهدة التافنة في 1837/05/30 بين الأمير عبد القادر والفرنسيين شرع الأمير في تنظيم مقاطعاته توسيع رقعة دولته، وفي هذا الإطار قام بجولات إلى عديد المناطق فحل ببوسعادة حيث حظي باستقبال حار من طرف أهلها ثم توجه إلى قصر الشلالة يوم 16 /12/ 1837 ومناطق من بلاد القبائل، أين استقبله سي أحمد الطيب بن سالم زعيم قبيلة بني جعاد والذي عرض خدماته عليه، فقبل الأمير ذلك العرض وهو الذي كان يعلم مكانة بن سالم بين القبائل فعينه خليفة له على المنطقة (بلاد القبائل) في إطار مقاطعة جديدة تم استحداثها وسميت بـ"برج حمزة".

2- جهود منطقة بومرداس في مقاومة الأمير عبد القادر (ضمن مقاطعة برج حمزة) بين 1837-1847:

سمع زعماء مقاومة المتيجة في الفترة الممتدة ما بين 1833 و 1837 بأخبار الانتصارات التي حققها الأمير عبد القادر ضد القوات الاستعمارية الفرنسية في الغرب الجزائري، فسعوا سعيا حثيثا للاتصال به للانضمام لحركة المقاومة الوطنية بزعامته الأمير، ولهذا قام الحاج سيدي السعدي بزيارة معسكر عاصمة الأمير والتقى بالأمير فحدثه السعدي عن المقاومة في المتيجة وعن النوايا التوسعية الفرنسية وعلى إمكانية الكفاح المسلح "الجهاد" شرقي العاصمة ودعا لزيارة المنطقة وبعدها عينه الأمير خليفة له على منطقة الشرق الممتدة من سهل المتيجة إلى ناحية الشرق وتشمل المناطق غير الخاضعة لإقليم باي قسنطينة الحاج أحمد باي¹.

أهملت معاهدة التافنة 1837 التنصيب على مصير إقليم قسنطينة فأراد الفرنسيون أن يفسروا ذلك بحقهم في السيطرة عليه كما فسّر الأمير ذلك بحقه في إمكانية مد نفوذه وسيطرته لذلك أخذ يوسع دائرة نفوذه فضم بلاد القبائل حتى شرقي مدينة سطيف وسيطر على معظم واحات الصحراء من البيض إلى بسكرة وأصبح في وضع يسمح له أن يقطع الطريق على الفرنسيين بين قسنطينة ومدينة الجزائر على أمل أن يحكم حصاره عليهم تمهيدا لطردهم لاحقا، وهو ما تظن له الفرنسيون فأبلغوه بعدم شرعية توسعته التي لا تنسجم مع

1 مزيان سعدي، التأصيل التاريخي للمقاومة العسكرية لسكان منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي (1830-1851)، المرجع السابق، ص 37.

محتوى التافنة حسب تفسيرهم هم حول مد نفوذه إلى الإقليم الشرقي¹.

امتدت مقاطعة برج حمزة ضمن إطار ثلاث ولايات حالية اليوم وهي: أجزاء واسعة من بويرة ومن تيزي وزو وبومرداس إلى مشارف مدينة الجزائر، فقد شملت سلطة أحمد الطيب بن سالم على رقعة جغرافية معتبرة تمتد من الحدود الشرقية في متيجة "قبائل الخشنة" إلى منطقة جرجرة شرقا وجنوبا إلى ما وراء برج حمزة، ولتسهيل مهمته في إدارة هذه المنطقة نصب الخليفة مجموعة من الأغوات وفق تنظيم إداري قسمت فيه المقاطعة إلى أربع أقاليم وهي:

منطقة بني جعاد ووادي الساحل: مركزها برج بلخروب عند أولاد سيدي سالم ويديرها بصورة مباشرة الخليفة أحمد الطيب بن سالم.

منطقة فليسة أولمليل: ومركزها قرية "تمديرت"، وتزعمها الأغا الحاج محمد بن زعموم³ الذي امتدت سلطته إلى قبائل قشطولة ونزليوة وبني خلفون والحراشة عبيد والزواتنة وعمال والخشنة.

منطقة سباو: مركزها البرج العثماني القديم بتيزي وزو ونصب آغا عليها الحاج بلقاسم أوقاسي وامتدت سلطته من عمراوة وكل سهل سباو إلى منطقة يسر.

منطقة تاورقة ودلس: كان مركزها برج سباو الذي شيد في العهد العثماني ونصب آغا عليها الحاج عمر أو محي الدين⁴.

عرفت المنطقة هذا التنظيم منذ سنة 1838 وفي سنة 1839 وعلى اثر الزيارة الثانية للأمير عبد القادر إلى المنطقة قام بتنصيب سي الجودي آغا لجرجرة بالإضافة إلى

1 يحي بوعزين، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين- ثورات القرن التاسع عشر، الأعمال التاريخية للدكتور يحي بوعزيز ج 15، عالم المعرفة، 2009، الجزائر، ص 46.

2 أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج2، دار الرائد للكتاب، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، ص 55 (خريطة مقاطعات إمارة عبد القادر -1837 1839)، وينظر الملحق رقم 01.

3 الحاج محمد بن زعموم: مسقط رأسه بلدة «تقونتين»، كان عمره خلال هذه الأحداث حسب العقيد رويين يتجاوز السبعين سنة وهو زعيم قبائل فليسة، عرف بالذكاء وبالشجاعة، كان من أوائل القادة الذين حاربوا الفرنسيين بعد سيطرتهم على مدينة الجزائر، ينظر: Robin (n.j), in Revue: Africaine, 1876, p83, و: فرج (م.ص)، المرجع السابق، ص 63-64.

4 حسب العقيد رويين فإن الحاج عمر أو محي الدين لم تكن له أية سلطة لأن الأمير علم بالاتصالات التي أجراها هذا الأغا مع الفرنسيين، ينظر: Robin, In R.A, 1876, p219

مجموعة من القادة كان آخرهم قائد القشطولة سي أحمد أو بلقاسم

وبهذا أصبح الخليفة بن سالم يتصرف في حوالي مائة وعشرين (120) قبيلة وثمانية آلاف فارس وألف وتسعمائة (1900) جنديا من النظاميين¹.

وظف بن سالم المناطق التابعة لمقاطعته (منها مناطق تابعة لولاية بومرداس اليوم) لإحكام الحصار على القوات الإستعمارية الفرنسية في مدينة الجزائر وهي المهمة التي كلفه بها الأمير رفقة الخليفين ابن علال (مليانة) والبركاني (التيطري).

3- المعارك أو أهم الواجهات العسكرية:

من الصعوبة بمكان جرد كل الواجهات التي حدثت في هذه الفترة على أرض نطاق ما يعرف اليوم بولاية بومرداس أو تلك التي شارك فيها مقاوموها خارج نطاق هذا الإقليم منعا للقوات الاستعمارية الفرنسية للتسلل خارج مدينة الجزائر جنوبا وشرقا بالخصوص، من مناوشات أو غارات أو معارك، بالنظر إلى كثرتها وبالنظر إلى تشكيكنا في أن هذه المصادر قد أحاطت بكل الأحداث العسكرية التي وقعت في تلك الفترة، وانطلاقا من هذه الاعتبارات حاولنا رصد أهم الواجهات في فترة الخليفة بن سالم.

1-3 الهجوم على المتيجة 1839:

بعد نقض الفرنسيين لمعاهدة التافنة (1837) بعبور قواتهم لبيبان الحديد؛ أرسل الأمير عبد القادر احتجاجا رسميا إلى القيادة العسكرية الاستعمارية الفرنسية بالجزائر، ثم أبلغ فيما بعد المارشال فالي (Vallee) بقرار استئنافه يوم 18/11/1839،² وأعلم الأمير خلفاءه الثلاثة: أحمد بن سالم (برج حمزة)، وابن علال (مليانة) والبركاني (المدينة) يخبرهم بقرار استئنافه الجهاد، وأمرهم بالتنسيق فيما بينهم لبدء العمليات في نفس الوقت، باعتبار أن المقاطعات الثلاث تحيط بمدينة الجزائر من الشرق والغرب والجنوب، فقد قصد الأمير محاصرة القوات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر وخنقها تمهيدا للقضاء عليها.

1 ينظر دراستنا: عمر بوضرية، بدر الدين شعباني، الخليفة أحمد الطيب بن محمد بن سالم الديبسي خليفة الأمير عبد القادر على مقاطعة برج حمزة، في مجلة «مسالك» الصادرة عن مؤسسة الأمير عبد القادر، العدد رقم 05 جويلية 2001، صص 16-8.

2 يحي بوعزیز، ثورات الجزائر، ج1، ص47.

جمع بن سالم قواته في "جبل بوزقزة" منتظرا إشارة الهجوم من رفيقيه ابن علال والبركاني فلما جاءت شرع في الهجوم الشامل يوم 20 نوفمبر 1839 بحوالي 2000 فارس، استهدف فيها مزارع المستدمرين (Les Colons) مما اضطرهم للجوء إلى مدينة الجزائر، وقد أتى الهجوم الكاسح على أملاك ومزارع الكولون وعجزت القوات الاستعمارية عن التدخل لأن الهجوم كان خاطفا مفاجئا.

2-3_ الهجوم على بودواو: تحمس الأمير عبد القادر كثيرا بعد أن تناءت إليه أخبار الشجاعة الكبيرة التي أبداها جنود الخليفة أحمد بكن سالم، فنزل بمعسكر جند خليفته، وبعدما أثنى عليه وعلى جيشه، طلب منه استدعاء القبائل مجددا من أجل الجهاد المقدس، ففعل بن سالم فاحتشدت جموع القبائل ملبية النداء.

استهدف الهجوم هذه المرة الحامية الفرنسية في بودواو، التي استطاعت الصمود رغم صغر حجمها لاستعمالها المدفعية وحصانة مقرها، ودامت المعركة يوما كاملا، وانسحبت بعدها قوات بن سالم ولم تتمكن من السيطرة على بودواو، لجأ بعدها بن سالم إلى فرض حصار اقتصادي على مدينة الجزائر بمنع التعامل مع الفرنسيين فيها.

3-3_ الهجوم على رأس سوطه وبئر خادم:

هاجمت قوات الخليفة بن سالم رأس سوطه يوم 25 أبريل 1840 بقوات تعدادها 300 فارس و200 من المشاة، تمكنت خلالها من قتل بعض العملاء، واستغل بعدها بن سالم خروج الماريشال فالي إلى الشفة من أجل الزحف على المدينة، ليقوم بن سالم بغارات على مشارف مدينة الجزائر فوصلت قواته يوم 28 أبريل 1840 إلى "بئر خادم" وفي 15 ماي 1840 توغلت قوات بن سالم 3 كلم إلى غاية "الحراش" وبالضبط إلى مقهى يسمى "La Platane" وتمكن من القضاء على عدد من الفرنسيين، وفي الحراش هاجمت قوات بن سالم حصن "La maison Carré" فسارع الماريشال فالي بإخلائه ونقل قواته إلى حصن "قارة مصطفى" على الضفة اليسرى لوادي "بودواو"².

"Maison Carré" الذي أخلاه الجنرال فالي وانتقل إلى الضفة اليسرى لوادي

1 ينظر مقال رويين في المجلة الإفريقية، 1876، ص 83. ومقالنا: عمر بوضربة وبد الدين شعباني، مجلة مسالك، المرجع السابق، ص 12-13. وكذلك، يحي بوعزير، ج 15، ص 48.

2 Robin, Op.cit, p65.

بودواو.

4-3_ معركة بودواو الثانية سبتمبر 1840:

هجمت قوات أحمد الطيب بن سالم على حصن قارة مصطفى على الضفة اليسرى لوداي "بودواو" التي بقيت بها فرقة عسكرية استعمارية صغيرة بقرار من الجنرال فالي، فحاصرت قوات الخليفة الحامية الفرنسية وقطعت عنها المياه، حينها قرر الجنرال "شانقارنييه" الزحف على بودواو انطلاقاً من مدينة الجزائر في 17/09/1840.

باغتت قوات شانقارنييه معسكر الخليفة بن سالم في الصباح الباكر فكانت النتيجة مأساوية بالنسبة للمجاهدين الجزائريين؛ حيث استشهد 129 مجاهداً وأسر 17 جندياً وغنم 40 حصاناً ومائتي بندقية، في حين خسر الفرنسيون 20 جندياً وحصاناً واحداً².

3-5_ الهجوم على الحراش في 12/04/1841:

بعد نكبة بودواو قامت قوات بن سالم بالهجوم على الحراش بقوات تعدادها 400 فارس واستهدفت قوات للعمالء وقدرت القوات الاستعمارية الفرنسية بـ300 جندياً، استشهد عديد الفرسان من جيش الخليفة وجرح 7 جنود فرنينين، ويذكر العقيد رويين في كتابه أن هذا الهجوم هو آخر هجوم لبن سالم في النتيجة.

3-6_ معركة "أوراز الدين" 12/05/1844:

لما استلم الجنرال بيجو اعتمد سياسة الأرض المحروقة لقمع المقاومة الوطنية المسلحة، ومن أجل ثني سكان المنطقة عن اتباع أحمد بن سالم قامت قوات بيجو بقطع أشجار الزيتون وتخريب المحاصيل الزراعية وحرق وتخريب القرى، فحاول بن سالم وسي الجودي ويلقاسم أوقاسي وقف هذا الهجوم الفرنسي بقوات تعدادها 20000 مجاهداً.

1 Robin, op. cit, p 61-65. وكذلك: عمر بوضريه و بدر الدين شعباني، «الخليفة أحمد الطيب بن محمد بن سالم الديبسي خليفة الأمير عبد القادر على مقاطعة برج حمزة»، مجلة مسالك، مؤسسة الأمير عبد القادر، العدد 05، جويلية 2001، ص 13-14.

2 زاير عبد القادر، دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية (1832-1847)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2009-2010، ص 92.

سارع بيجو لطلب التعزيزات من مخيم "برج منايل" فجاءته قوة من 7000 جنديا للزحف على منطقة "فليسة" فحاول بن سالم صد الهجوم الفرنسي بـ5000 مجاهدا ونجح في صده، ثم امتدت المواجهة إلى عدة قرى لقبيلة عمراوة وكانت المجابهات عنيفة أدت إلى استشهاد 500 شهيدا.

تقدّم بعدها الجنرال بيجو إلى قبيلة فليسة بعدما وصلته الإمدادات، فوجد سكانها مستعدين للجهاد في "أوراز الدين" فنشبت معركة دامت 14 ساعة كبدت الفرنسيين 32 قتيلا و95 جريحا وتمثلت خسائر الجزائريين في استشهاد 1100 و1600 جريحا وتدمير 50 منزلا حسبما ذكرت المصادر الفرنسية.

73_ معركة شراك الطبول "يسر" 1846:

راسل الخليفة بن سالم الأمير عبد القادر وحثه لزيارته في مقاطعته للرفع من معنويات سكان المنطقة ومجاهديها وتكذيب الإشاعات، فما كان من الأمير إلا الاستجابة بعد إلحاح بن سالم، فتوجه الأمير إلى منطقة القبائل مما استنفر القوات الاستعمارية الفرنسية فكلف الحاكم العام العقيد "سانت أرنو" بتتبع الأمير وقواته فتجنّب الأمير مواجهته بشكل مباشر وكثف من التجنيد في المنطقة وبخاصة في "فليسة أو مليل" ومنطقة "شراك الطبول" بالقرب من وادي يسر، حيث أقام معسكرا لهم في فيفري 1846 وفاجأتهم قوات فرنسية بقيادة الجنرال جنتيل (Jean-François Gentil) في الصباح الباكر يوم 1846/02/07 مما أدى إلى فوضى كبيرة واضطراب في مخيم الأمير وبن سالم الذين تمكنا من الانسحاب بأقل الأضرار الممكنة.

خاتمة:

ساهم سكان وأعيان منطقة بومرداس بشكل فعال في الجهود الوطنية لمحاولة صد العدوان الفرنسي على مدينة الجزائر في صيف 1830، كما شارك سكان المنطقة بشكل فعال في الجهود الوطني لمنع التوسع الاستعماري الفرنسي باتجاه شرق وجنوب مدينة الجزائر من خلال إسهامهم في مقاومة المتبعة بقيادة الحاج محمد بن زعموم والحاج سيدي السعدي، ثم في مقاومة الأمير عبد القادر بقيادة الخليفة أحمد الطيب بن سالم في إطار مقاطعة برج حمزة في الفترة الممتدة من

1837 إلى 1847، والذي خاض عديد المعارك والهجمات الخاطفة على القوات العسكرية الاستعمارية والمعمرين في منطقة المتيجة وسهل يسر.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج2، دار الرائد للكتاب، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر

بوضربة عمر، بدر الدين شعباني، الخليفة أحمد الطيب بن محمد بن سالم الديبسي خليفة الأمير عبد القادر على مقاطعة برج حمزة، في مجلة "مسالك" الصادرة عن مؤسسة الأمير عبد القادر، العدد رقم 05 جويلية 2001.

بوضربة و بدر الدين شعباني، "الخليفة أحمد الطيب بن محمد بن سالم الديبسي خليفة الامير عبد القادر على مقاطعة برج حمزة"، مجلة مسالك، مؤسسة الامير عبد القادر، العدد 05، جويلية 2001.

زاير عبد القادر، دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية (1832-1847)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2009-2010

سعيد مزيان، التأصيل التاريخي للمقاومة العسكرية لسكان منطقة القبائل، مجلة المصادر، العدد 21،

يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين- ثورات القرن التاسع عشر، الأعمال التاريخية للدكتور يحي بوعزيز ج 15، عالم المعرفة، 2009، الجزائر.

باللغة الأجنبية:

- Robin(N.J),Notes Historique Sur la grande Kabylie de 1830 à1838,In R.A,1876,

القبائل السهلية مهد ثورة أول نوفمبر 1954

في المنطقة الثالثة

د. مصطفى سداوي

مخبر التاريخ المحلي والذاكرة الجمعية والمقاربات الجديدة

جامعة البويرة، الجزائر

مقدمة

1_ الليلة الأولى في المنطقة الثالثة: الواقع والمواقع.

2_ القبائل السهلية منطقة تماس عالمين متناقضين.

3_ التطور النوعي لظاهرة الخارجين على القانون: من ثائرين إلى ثوريين.

خاتمة

مقدمة:

تقع القبائل السهلية Baisse Kabylie في أقصى غرب منطقة القبائل (بلاد زواوة)، وتتميز بأن أجزاء واسعة منها عبارة عن أحواض يخترقها كل من وادي سيباو ورافده بوقدورة ووادي يسر ورافده جمعة، بحيث تبدو كامتداد طبيعي لسهول متيجة الخصبة. وهي - بهذا - تكاد تتفرد بكونها الجهة الوحيدة في كل القبائل الكبرى التي تتوفر على مساحات منبسطة تجمع بين ميزتي الاتساع والخصوبة. ما جعلها منذ خمسينات القرن 19 مركز جذب للمستوطنين الذين استحوذوا على معظم أراضيها وراحوا يمارسون فيها زراعات نقدية (خاصة الكروم والتبغ). وقد زاد في أهميتها قربها الشديد من عاصمة البلاد (مدينة الجزائر) واحتضانها لشريان المواصلات بين تيزي-وزو والجزائر.

هذا وإبان الثورة التحريرية (1962-1954)، شكلت هذه الجهة إحدى الوحدات الإقليمية (الأربع) الأساسية المؤلفة لمنطقة القبائل التي أضحت تسمى بـ "الولاية الثالثة" منذ أوت 1956. ومن المعروف لدى الجميع أنها (أي القبائل السهلية) حملت رقم 4؛ فكانت تدعى المنطقة الرابعة¹ من الولاية الثالثة. بيد أن ما لا يعرفه الكثيرون أن هذا الرقم لم تأخذه إلا منذ 19 ديسمبر 1957²، أما قبل ذلك فقد حملت رقم 1 بحيث كانت تسمى ما بين أوت 1956 وديسمبر 1957 بالمنطقة الأولى من الولاية الثالثة. وهنا تشير قرائن عديدة إلى أن هذا الترتيب الترقيمي في صيغته الأولى، إنما يشي بحقيقة مفادها أن هذه المنطقة (القبائل السهلية) ما حملت - أول مرة - رقم 1 إلا لكونها الركح الذي جرت عليه أغلب عمليات ليلية أول نوفمبر 1954 والمشتل الذي جاءت منه معظم قيادات جيش-جبهة التحرير الوطني في بلاد القبائل إبان تلك الفترة المبكرة.

ترى إلى أي مدى تتوافق هذه القرائن مع المعطيات والأصول التاريخية المؤكدة؟

1 - ويحدها من الشمال ساحل البحر المتوسط بين دلس وزموري، ومن الجنوب خط قمم جرجرة انطلاقا من مرتفعات ذراع الميزان إلى غاية ممر ثيروردة، ومن الغرب واد يسر الذي يمثل الحد الفاصل بينها وبين الولاية الرابعة (منطقة الأخضرية). أما من الشرق فيفصلها عن المنطقة الثالثة خط متعرج يمتد من ممر ثيروردة إلى دلس وهو يحاذي في الجنوب الطريق الوطني 15 ويتطابق في الشمال مع مجرى واد سيباو. انظر:

- Abdelhafidh Yaha, 2012, au cœur des maquis en Kabylie : mon combat pour l'indépendance de l'Algérie, T1 : 1948-1962, Ed. Inas, Alger, p 307.
- 2- Willaya 3, Directives générales du 19 au 30 décembre 1957, in Archives SHAT, 1H 1248.

ثم ما علاقة هذه الأسبقية التاريخية في حالة ثبوتها- بالمميزات الجغرافية والسوسيو-اجتماعية للمنطقة المعنية؟

بغية الاجابة على هذه الاستفهامات، لا مناص من تسليط الضوء -ابتداءً على وقائع ليلة الفاتح نوفمبر 1954 في المنطقة الثالثة (بلاد القبائل).

1- الليلة الأولى في المنطقة الثالثة: الوقائع والمواقع:

1_1- حيثيات الوقائع:

في ليلة أول نوفمبر 1954 بين الساعة الثانية والثالثة، قام حوالي 450 رجل¹ مهيكليين في مجموعات صغيرة، بتنفيذ عدة عمليات² وقد تنوعت كالاتي³:

- هجمات على مقرات أمنية، مصحوبة بمحاولات استيلاء على الأسلحة (ذراع الميزان، عزازقة، تقزرت، بغلية...)

- هجمات على مقرات ادارية (مقر بلدية تيزي نثلاثة، مقر بلدية تادمايت، مقر بلدية تقزيرت، بريد بغلية، مقر الحاكم الاداري بعزازقة،...)

- تخريب مزارع مملوكة لكبار «الكولون» (مزارع «جيرمان» و«شاركو» و«أساليكيس» و«إسترايشر» بـرج منايل، ومزرعة «أبو» بسيدي داود، مزرعتي «بورشي» و«برانسول» برأس جنات، مزرعة «صافاقو» ومزرعة «زاما» يبسي مصطفى، مزرعة «قنيير» بنواحي تيزي غنيف...)

- حرق مخازن ومستودعات ومصانع (مستودع الفلين بدلس، مستودعات للكولون بسيدي داود، محجر «لاندوز» برأس جنات، مستودع السجائر

1 - FLN-ALN، « Extrait du P.V. du congrès de la Soummam », in Abdelhafid Amokrane, Mémoires de combat, Ed. Dar El Oumma, Alger, 1998, p 167.

2 - انظر الجدول أدناه المتضمن «عمليات ليلة أول نوفمبر 1954 بالمنطقة الثالثة».

3 - انظر: - المنظمة الوطنية للمجاهدين، مكتب تيزي وزو، مساهمة المنطقة الثالثة والرابعة للولاية الثالثة في أشغال الندوة الوطنية حول المعارك الكبرى للولاية الثالثة التاريخية، تيزي وزو، 25 و26 نوفمبر 1999.

- أحمد محيوت، «وصف إندلاع الثورة في الوسط و منطقة القبائل»، في: المنظمة الوطنية للمجاهدين، الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، المجلد الأول، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، بدون تاريخ، صص 322-325.

- « Le Télégramme récapitulatif du sous préfet de Tizi-Ouzou envoyé à Alger le 1^{er} Novembre 1954 », in : Yves Courrière, La guerre d'Algérie : Les fils de la Toussaint, Ed. Rahma, Alger, 1992, pp. 352-353

بيسر، مجمع الفلين ومصنع السجائر تاباكو بتادمايت، مستودع الفلين
بعزازقة،...)

- قطع أعمدة الهاتف والبرق في عدة جهات مما أدى الى عزلها عن العالم الخارجي لساعات طوال. (برج منايل، بغلية، دلس، ثنيتسي مصطفى- زموري، تيزي نثلاثة، تيقزرتماكودة، عزازقتفريحة، ...)
 - وكانت الحصيلة النهائية للعمليات كالآتي:
 - خسائر مادية قدرت بأزيد من 200 مليون فرنك.
 - قتل حارس ريفي في ذراع الميزان وجرح آخر في تيزي نثلاثة، وجريح واحد في صفوف المهاجمين.
- وفيما يلي جدول يتضمن تفاصيل مختلفة بخصوص العمليات التي نفذها جيش-جبهة التحرير الوطني ليلة أول نوفمبر 1954 بالمنطقة الثالثة (منطقة القبائل):

ملحوظات	طبيعة العمليات	مواقع العمليات	الناحية وقائدها
بقيادة عمرو خطاب المدعو علا 1.	حرق مزارع الكولون: جبرمان، شاركو، أساليكيس، إسترايش. قطع أسلاك وأعمدة الهاتف	برج منايل	1. الناحية: برج منايل
/	تغريب شبكة الهاتف ما بين شندر وناصرية بطول 5 كلم (؟) 2	ناصرية	
بقيادة قلمي أحمد وعبدش محفوظ.	- قطع أعمدة وأسلاك الهاتف، حرق البريد، - إطلاق النار على ثكنة الدرك	بغلية	

- هذا حسب: المنظمة الوطنية للمجاهدين، الطريق الى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، OPU، الجزائر، 1982، المجلد 1، الجزء 1، ص 329. أما في مصدر آخر (المنظمة الوطنية للمجاهدين، مكتب تيزي وزو، مساهمة المنطقة الثالثة والرابعة للولاية الثالثة في أشغال الندوة الوطنية حول المعارك الكبرى للولاية الثالثة التاريخية، تيزي وزو، 25 و26 نوفمبر 1999) فلم يرد اسم عمرو خطاب ضمن المجاهدين المشاركين في عمليات أول نوفمبر بـبرج منايل.

- ورد ذكر هذه العملية في: المنظمة الوطنية للمجاهدين، مكتب تيزي وزو، مساهمة المنطقة الثالثة والرابعة للولاية الثالثة في أشغال الندوة الوطنية حول المعارك الكبرى للولاية الثالثة التاريخية، تيزي وزو، 25 و26 نوفمبر 1999.

أما في مصدر آخر فقد ورد بأن هذه العملية جرت في 14 نوفمبر 1954 بعد عودة المجموعة التي شاركت في عمليات بوفاريك. انظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، الطريق الى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، الجزء 1، ص 332.

القائد: محمد زعموم	دلس	- قطع أعمدة وأسلاك الهاتف، - كتابة شعارات معادية للإستعمار على الجدران، - حرق مستودع الفلين	1
سيدي داود		- تخريب مزرعة أبو رئيس بلدية سيدي داود - حرق كافة مستودعات الكولون المتواجدة في محيط مدينة سيدي داود	1
رأس جنات		- حرق مزرعتي 'بورشي' و'برانسول'، و محجر 'لاندوز'.	بقيادة زيان الوناس
يسر		- حرق مستودع السجائر الذي كان ملك لرئيس بلدية 'يسر': 'فرانسوا لاكوند'	بقيادة بن تقات بلقاسم
سي مصطفى- زموري		- حرق مزرعة 'صافاقو'، ومزرعة 'زاماري'، - قطع أسلاك الهاتف عبر محيط الشيبة - سي مصطفى - زموري.	بقيادة بن عمروش علي
تادمايت		- حرق مجمع الفلين - حرق جزئي لمصنع السجائر (تاباكوب) - فشل عمليتي حرق مقر البلدية و حرق محطة البنزين ¹ - قطع أعمدة الهاتف على طول سكة الحديد بين تادمايت ² والناصرية	- كانت الأفواج المكلفة بتنفيذ العمليات بقيادة كل من: محمد بن عالية، علي بنور، شريد بلقاسم، وسعيد مزاعقر.
2- ناحية: ذراع - الميزان	تميزي - ثلاثا	- مهاجمة مجموعة مقر بلدية بتيزي الثلاثاء، ما أسفر على جرح حارس ³ ريفي. - قطع أعمدة الهاتف ⁴	بقيادة علي زعموم

1 - ملحقة متحف المجاهد بتزي وزو، بيوغرافية الشهيد بنور علي حسب شهادة المجاهدين (9 مجاهدين).
2 - المنظمة الوطنية للمجاهدين، الطريق الى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، الجزء 1، ص 328.

- 3 - Ali Zamoum, op.cit., pp. 163-164.
- 4 - Ibidem.

/	- إحراق مزرعة للمعمر قنيير* في نواحي تيزي غنيف 1.	تيزي- غنيف	<u>القائد:</u> حموش حسين المدعو موح الطويل
أصاب محمد وعمر وأحد المهاجمين برصاصه	- فشل محاولة هجوم على مقر الدرك 2 - قتل العاريس ريفي المدعو محمد هارون بعد 3.	ذراع-الميزان	
/	- عدم التمكّن من تنفيذ العملية المبرمجة والمتمثلة في الهجوم على مقر الدرك 4.	بوغني	
بقيادة خليل أحمد	-الهجوم على مقر الدرك بتيقزرت على البحر 5. - الهجوم على مقر البلدية	تيقزيرت	<u>3 الناحية:</u> تيقزيرت
بقيادة سعيد أحمد (من قرية عطوش)	قطع أعمدة وأسلاك الهاتف الممتدة بين تيقزرت و مأكودة 6.	مأكودة	<u>القائد:</u> علي ملاح
/	- الهجوم على مقر الدرك في تالا موقور 7.	سيدي نعمان	
/	-اشعال النار في مخزن لجمع الفلين بعزازقة.	إدارة الغابات والمياه بعزازقة.	<u>4- الناحية:</u> عزازقة
/	مهاجمة مقر الدرك (اطلاق النار على المقر).	مقر الدرك	<u>القائد:</u> محمد يازوران

- 1 - المنظمة الوطنية للمجاهدين، الطريق الى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، الجزء1، ص 331-330.
- 2 - المصدر نفسه.
- 3 - المصدر نفسه.
- 4 - المصدر نفسه.
- 5 - المصدر نفسه، ص 325
- 6 - المصدر نفسه، ص 326.

- 7 - Bacha Boualem, Récits de feu 1954-1962, Les évadés de Paul Gazelle, ENAG, Alger, 2009, p 9.

/	- مهاجمة مقر الحاكم الإداري	مقر الحاكم الإداري	
/	قطعت أعمدة وأسلاك الهاتف الرابطة بين عزازقة و فريجة بحيث أصبحت للدينة الأولى في عزلة تامّة.	فريجة	
/	لم يتم تنفيذ العمليات للبرمجة والمتمثلة في حرق مزرعة وقطع أعمدة الهاتف 1.		5-الناحية: تيزي-وزو القائد: علي زعموم
/	لم تسجل أية عملية في هذه الناحية		6-الناحية : عين الحمام والأربعاء نايتديراثن القائد: سعيد بابوش
/	لم تسجل أية عملية في هذه الناحية		7-الناحية: البويرة القائد: أحمد قمرأوي

- 2- دلالات المواقع:

إذا تأملنا في جغرافية العمليات المشار إليها أعلاه، سنلاحظ شموليتها لعدة مواقع على غرار: برج منايل، ناصرية، بغلية، دلس، سيدي داود، رأس جنات، يسر، سي مصطفى، زموري، ذراع الميزان، تيزي غنيف، عزازقة، تادمايت، ذراع بن خدة... بيد أنه إذا وزعنا هذه المواقع على الخريطة (انظر الخريطين المرفقتين رقم 1 و2)، سينكشف أمامنا أمرا مثيرا للاهتمام وهو تمركزها جميعا فيما يعرف بالقبائل السهلية Basse Kabylie باستثناء عزازقة. وبالتالي فالروايات الرائجة والمتداولة والتي توحي بأن القبائل الكبرى ساهمت في عمليات الفاتح نوفمبر 1954 غير دقيقة، فالمساهمة تكاد تقتصر على جزء يسير منها وهي القبائل السهلية، مع غياب جل القبائل العليا (نواحي ميشلي ولاربعاء ناث إرائن وتيزي وزو...) وكل القبائل الصغرى (وادي الساحل-وادي الصومام).

ويتطابق هذا المعطى الجغرافي بشكل شبه كامل مع محصلة دراسة البيوغرافيات الجماعية (أو البروسوبوغرافية) لأول قيادة للمنطقة الثالثة.

1 - منطقة القبائل كانت تدعى المنطقة الثالثة في التنظيم الثوري الى غاية مؤتمر الصومام في أوت 1956 حيث اصبحت تعرف بالولاية الثالثة.

والمكونة من 9 مسؤولين وهم: بلقاسم كريم، قائدا وعمار وأوعمران، نائبا

1 - كريم بلقاسم من مواليد 14/12/1922 بقريّة "ثيزلان-عيسى"، دوار وادي قصاري، ذراع الميزان، تيزي وزو. وحصل على شهادة التعليم الابتدائي بنوعيتها الأهلية والفرنسية من مدرسة صاروي بحي القصبة السفلى (مدينة الجزائر) سنة 1936. عمل ببلدية ذراع الميزان ككاتب في الحالة المدنية لمدة قصيرة (سنة 1940). في 01/07/1943 استدعي للخدمة العسكرية ليسرح برتبة عريف في 14/10/1945. وغداة تسريحه التحق بحزب الشعب، وكان ذلك في خريف 1945. هذا الخيار السياسي جعله يصطدم بإدارة الاحتلال، ما دفعه الى الدخول في الحياة السرية في مارس 1947، وكان وراء انشاء أول معقل ثوري في القبائل ضمّ زهاء 50 ثائرا Maquisards. وسيحكم عليه غيابيا عدة مرات بالسجن المؤبد كما سيحكم عليه بالإعدام مرتين في 1947 و1950. أضحي في 1950 مسؤولا لولاية القبائل الكبرى كلها. وفي جوان 1954 اتفق مع جماعة بوضياف وبن بولعيد وديدوش على التعاون من أجل تفجير الثورة، ليصبح اثر ذلك العضو السادس في قيادة جبهة التحرير في الداخل. ومن ثم كان من الست التاريخيين الذين قرروا الشروع في العمل المسلح ضد فرنسا ابتداء من الفاتح نوفمبر 1954. وسيتولى قيادة المنطقة الثالثة (الولاية الثالثة فيما بعد) من اندلاع الثورة الى غاية مؤتمر الصومام (أوت 1956). ويعين في هذا المؤتمر عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ مسؤولا عن القيادة العسكرية للثورة، تاركا قيادة الولاية الثالثة للعقيد السعيد محمدي. وعند انشاء الحكومة المؤقتة في 19/09/1958، أصبح نائبا للرئيس ووزيرا للقوات المسلحة في التشكيلة الأولى، ثم نائبا للرئيس ووزيرا للخارجية في التشكيلة الثانية، ونائبا للرئيس وزيرا للداخلية في التشكيلة الثالثة. وترأس الوفد الجزائري في اتفاقيات ايفيان (مارس 1962)، و وقعها باسم جبهة التحرير الوطني.

2 - ولد أوعمران في 10 جانفي 1919 بـ «فريكات»، ذراع الميزان (ولاية تيزي وزو)، وبعد الحصول على شهادة التعليم الابتدائي، التحق بالجيش الفرنسي في 1937 وقضى في صفوفه 8 سنوات، وعين رقيب في Régiment des tirailleurs. وفي أواخر الحرب العالمية الثانية كان يعمل بالمدرسة العسكرية بشرمال، وخلالها التحق بأحباب البيان والحريّة. واثرا اكتشاف أمره، فر من الجندية، وحكمت عليه المحكمة العسكرية بالجزائر يوم 17 سبتمبر 1945 بالإعدام مع التنزيل في الرتبة بسبب الفرار من الجندية، وصدر العفو عنه في 1946. ونتيجة لنشاطه السياسي لصالح الوطنيين أثناء حملة الانتخابات البلدية سنة 1947، جرى توقيفه مرة أخرى، لكنه نجح في الفرار ودخل منذ ذلك الوقت في الحياة السرية. وفي نوفمبر 1954 أصبح نائبا لكريم مسؤول المنطقة 3 ضمن FLN-ALN، وكلف بمد يد العون للمنطقة 4 في ليلة أول نوفمبر 1954، وسيصبح مسؤولها منذ مارس 1955 بعد توقيف بيطاط. وعين في سبتمبر 1956 بعد مؤتمر الصومام عين عضوا في مجلس الثورة. وأصبح في أبريل 1958 مكلفا بالتسليح في لجنة التنسيق والتنفيذ، ثم في 1960 ممثلا (سفيرا) للحكومة المؤقتة في لبنان وتركيا.

وسعيد بابوش¹ وعلي ملاح² ومحمد يازوران³ وحسين حموش المدعو موح طويل⁴

- 1 - ولد سعيد بابوش في 9 فبراير 1921 بدوار ياسكرن (ميزرانة) التابع لعرش "آث واقنون"، وبدأ حياته النضالية في سبيل الوطن في عام 1937 عندما انخرط في حزب الشعب بالجزائر العاصمة وعمره لا يتعدى 16 عاما. وعين في عام 1949 رئيس دائرة (تضم سيدي نعمان، أراجونة، ناصرية و يسر). وعند اندلاع الثورة كان أحد مسؤوليها الأوائل بصفته قائد ناحية عين الحمام الأربعة ناث يراثن-آث واسيف، وشارك في التحضير للثورة وقاد الهجوم على مركز "تيزي نلجامع" في جانفي 1955. وألقي القبض عليه في 10 فيفري 1955 بتيزي وزو. ومثل أمام المحكمة العسكرية التي حكمت عليه بالإعدام، ونفذ فيه الحكم مع رفيقين آخرين (منصور أعمر من تيمغراس ولوني أرزقي من ماكودة) يوم 8 أفريل 1957.
- 2 - ولد علي ملاح في 14/02/1924 بـ قرية «تاققة» Taka، دوار مكيرة (ذراع الميزان، تيزي وزو). وترعرع في أسرة ذات مكانة دينية مرموقة في المنطقة. وتلقى على يد والده (امام) القواعد الأولية للغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي، ثم واصل تعليمه في عدة زاويا و انخرط في حزب الشعب الجزائري بعد أحداث الثامن ماي 1945 مباشرة. وسرعان ما أصبح مطلوباً أمنياً، وصدر بحقه في 1948 حكماً غيابياً بعامين سجن وغرامة مالية قدرها 2000 ف. فرنسي. وعندما حانت الساعة صفر كان على رأس الفوج الذي هاجم مدينة عزازقة. وفي 1956، توجه الى الصحراء (الولاية السادسة لاحقا) لتنظيم هذه المنطقة الصعبة، وسيحقق نجاحا معتبرا في هذا المجال. وأغتيل في شهر رمضان الموافق لـ 31 مارس 1957 بنواحي قصر البخاري.
- 3 - ولد يازوران في 18 مارس 1912 بقرية «إعجاماض» شمال بلدية تيميزار (تيزي وزو) في أسرة فلاحية متواضعة. وفي 1942، انضم الى صفوف حزب الشعب. وغداة انطلاق الثورة، كان مسؤول إحدى «النواحي» السبع المولفة للمنطقة الثالثة (الولاية الثالثة فيما بعد) في نوفمبر 1954. وأشرف في ليلة الانطلاقة على حرق أحد أكبر مخازن الفلين على المستوى الوطني (عزازقة). ويومين بعد ذلك، قوات قوات استعمارية بحرق مسكنه واعتقال زوجته وابنه الأكبر. ومن أهم نشاطاته خلال الثورة الاسهام في التخطيط وتنفيذ عملية العصفور الأزرق من نوفمبر 1955 الى سبتمبر 1956. وتولى قيادة المنطقة الثالثة من الولاية الثالثة برتبة نقيب بعد مؤتمر الصومام ثم ترقى الى رتبة رائد وأصبح عضو في قيادة الولاية. عين ممثلا للولاية الثالثة بقيادة أركان الحرب العامة بالقاعدة الشرقية. وعين قائدا للولاية الثالثة عام 1959 خلفا للعقيد أمعيروش، لكنه لم يلتحق بمقر الولاية الثالثة لإصابته بجروح عند محاولته اجتياز الحدود الشرقية.
- 4 - حسين حموش وولد في 1913 في بني زمنز (تيزي وزو)، وانخرط في حزب الشعب عام 1944، وكُلف بالاتصال وتوفير الدعم للمناضلين المطاردين من قبل الأمن الاستعماري في أعقاب حوادث ماي 1945. وواصل النضال في حركة الانتصار، وبسبب نشاطه السياسي، أضحى من المظلومين لدى الامن الفرنسي ، ما دفعه الى الالتحاق بجماعة المتمردين Maquisard (كريم وأوعمران ورفاقهما) منذ 1949، كما أضحى في نفس الفترة تقريبا مسؤول إحدى دوائر ولاية القبائل الكبرى (بالتحديد دائرة تيزي-وزو). وفي 1 نوفمبر 1954، كان قائد ناحية ذراع الميزان، وألقي القبض عليه بعد 12 يوم من انطلاق الثورة (تحديدا في في 12 نوفمبر 1954)، ولم يطلق سراحه إلا في أفريل 1962.

وأحمد قماروي¹ والأخوين محمد² وعلي زعموم³ قادة النواحي السبع. إذ نجد ثمانية منهم ينحدرون من القبائل السهلية (خمسة من ذراع الميزان وهم: كريم وأعمران وملاح والأخوين زعموم وثلاثة يتوزعون على آث واقنون (بابوش) وتيميزار (يازوران) وبني زمزار (موح طويل)، والوحيد من خارج القبائل السهلية هو قماروي من البويرة. هذا التطابق يدفعنا الى التنقيب عن الاعتبارات الموضوعية التي رشحت القبائل السهلية دون غيرها للعب هذا الدور؟

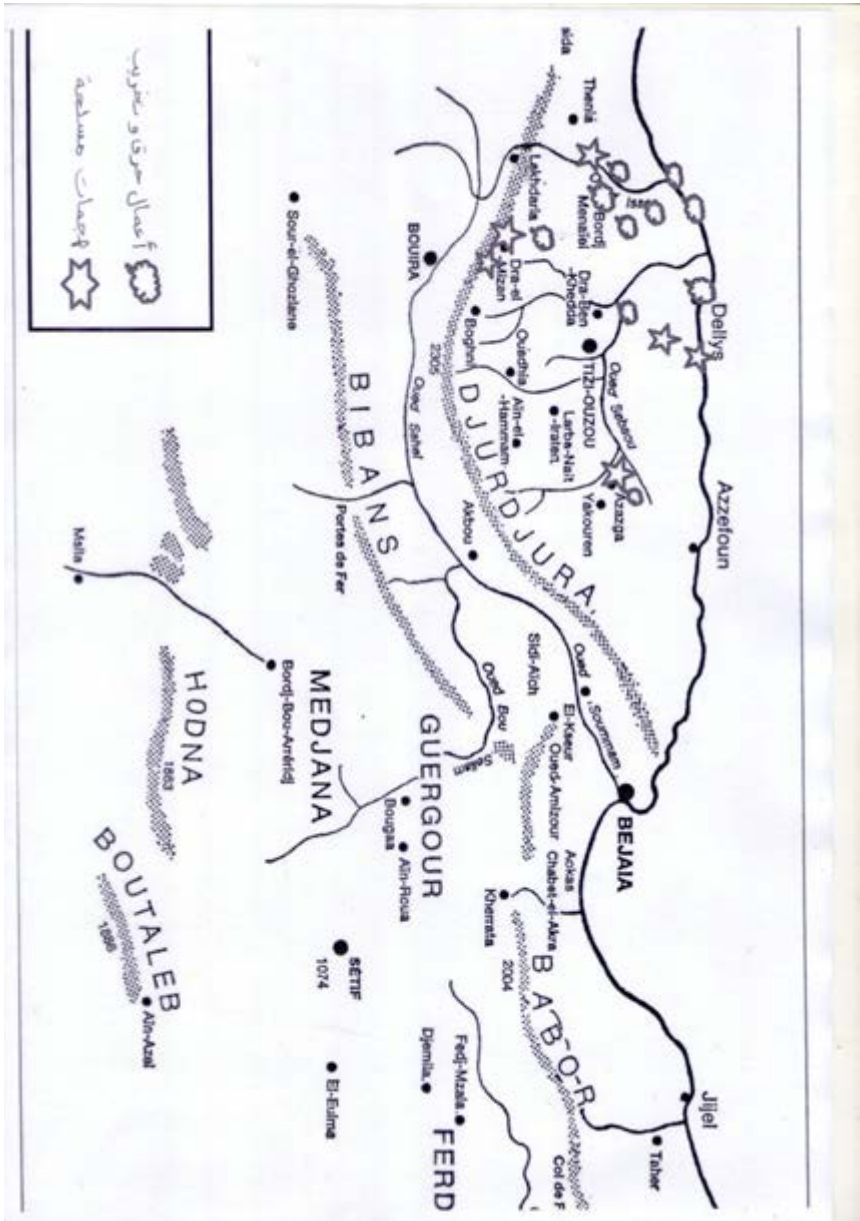
- 1 - ولد قماروي في 1925 بـ مايو (حاليا مشدالت، ولاية البويرة)، وينحدر من أسرة فلاحية بسيطة. وتلقى تعليمه بالمدرسة الفرنسية، كما التحق بزاوية بلعموري لحفظ القرآن الكريم. وانخرط في الكشافة الاسلامية منذ صغره، كما ناضل في حزب الشعب حركة الانتصار. وقبل 1954، كان مسؤول الدائرة الحزبية للبويرة بعد إلحاقها بالدوائر الست المؤلفة لولاية القبائل الكبرى في اطار حركة الانتصار، والتي كان يشرف عليها كريم بلقاسم منذ 1950. وبهذه الصفة، شارك في التحضير لعمليات أول نوفمبر 1954 في المنطقة، كما أضحى قائد ناحية البويرة، وعضو في مجلس قيادة المنطقة الثالثة عند اندلاع الثورة. استشهد في 4 مارس 1955 في إشتباك بالقرب من البويرة، ثم نكل بجثمانه في ساحة مدينة البويرة على مرأى من السكان.
- 2 - ولد محمد زعموم في 29 نوفمبر 1928 بإغيل إيمولا بالقرب من ذراع الميزان، ونشأ بـ يتيم الأبوين. ودخل محمد المدرسة الأهلية، وواصل تعليمه الى غاية الحصول على شهادة B.E. وعمل كأمين في المركز البلدي بإغيل إيمولا الى غاية 1953، حيث ألقت شرطة الاستعلامات القبض عليه. وبدأ النضال في حركة انتصار الحريات الديمقراطية في ريعان شبابه، وأصبح مسؤول فرع المنظمة الخاصة بذراع الميزان (1948-1950). وشارك في التحضير للثورة في منطقة القبائل وتولى قيادة إحدى نواحيها (برج منايل) في ليلة الفاتح نوفمبر 1954. وفي 1955 انتقل الى المنطقة الرابعة (الولاية الرابعة فيما بعد) رفقة أوعمران. وتولى قيادتها بعد استشهاده العقيد بوقرة في الخامس ماي 1959 الى غاية، انفجار قضية الاليزي في 9 جوان 1960 (لقاء قادة الولاية الرابعة بالجنرال ديغول في قصر الاليزي)، حيث اتهم بالخيانة من طرف رفاقه وأزيح من القيادة. واستشهد في 20 جويليه 1961 بأعالي جبال جرجرة مابين فجج: تيروردة وتيزي نكوال (بلدية الصحاريح حاليا، دائرة مشدالت، ولاية البويرة).
- 3 - ولد علي زعموم في 29 أكتوبر 1933 في بوغني، وكان والده من أوائل المعلمين على مستوى الناحية، وتوفى وفي عمر ابنة 5 سنوات، ولحقت به زوجته سنة بعد ذلك، وهكذا نشأ علي بـ يتيم الأبوين. وانخرط في النضال السياسي في اطار حزب الشعب حركة الانتصار في 1948، واستمر في ذلك الى غاية 1954. وكان أحد العناصر الاساسية التي ساهمت في الاعداد لاندلاع الثورة في منطقة القبائل، ما أهله لتولى قيادة إحدى النواحي السبع المكونة للمنطقة الثالثة (الولاية الثالثة فيما بعد) عند تأسيسها، بالتحديد ناحية تيزي-وزو. وبهذه الصفة، أشرف على سحب بيان أول نوفمبر الذي وزع على المستوى الوطني، كما قاد الهجوم على بلدية تيزي ثلاثا ليلة الفاتح نوفمبر 1954. وألقي القبض عليه في فيفري 1955 في اشتباك مع العدو في مكان يدعى إغيل بلقاضي. وحكم عليه بالإعدام، وتقلب بين عدة سجون في الجزائر وفرنسا، وكان رفيق الشهيد أحمد زبانتة في زنزانتة، وإلا أنه مع ذلك نجى من تنفيذ حكم الاعدام في حقه، وأطلق سراحه بعد 7 سنوات من السجن استثمرها في المطالعة والتثقيف الذاتي، وكان ذلك في 1961.

الخريطة رقم 1: عمليات ليلة أول نوفمبر 1954 على المستوى الوطني



المرجع: جريدة "لوفيفارو" Le Figaro، الاثنين 01 نوفمبر 1984

الخريطة رقم 2: عمليات ليلة أول نوفمبر 1954 في المنطقة الثالثة.



2- القبائل السهلية منطقة تماس بين عالمين متناقضين:

- من المعروف أن بلاد القبائل الكبرى تتميز بسطح معقد وتربة فقيرة ومناخ قاسي... والاستثناء الوحيد هو إقليم القبائل السهلية الذي يتوفر على مساحات منبسطة وواسعة تستوفي شروط قيام زراعة مزدهرة وفقا لنظام الملكيات الكبيرة. وتناغما مع هذا الواقع الفيزيائي، كان الحضور الاستعماري في القبائل العليا فاترا واقتصر على الجانب المؤسساتي² (البلدية، الدرك، المدرسة، الكنيسة...) بينما تحولت القبائل السهلية منذ أواخر القرن 19 إلى بؤرة استيطانية حقيقية (انظر الخريطة رقم 3). فقد نزحت الكثير من الأسر الفرنسية بالأخص من الألزاس واللورين إثر هزيمة فرنسا في حرب السبعين واستقرت بهذه المنطقة، بعد أن وزعت السلطات عليها الأراضي التي صودرت من الجزائريين في أعقاب انتفاضة المقراني في 1871³. وتزامن ذلك مع التحول الكبير الذي عرفته "الزراعة الجزائرية" منذ 1880 والمتمثل في الانتقال من زراعة الحبوب إلى زراعة المحاصيل النقدية بالأخص الكروم مما ساهم في ازدهار تلك «البؤرة الاستيطانية» وتحول أولئك النازحون إلى ملاك زراعيين كبار كما تكاثرت المراكز الاستيطانية على غرار: يسر⁴ 1871 Isserville، سيدي داود⁵ 1873 Abbo، بوفهيمية (بالقرب من ذراع الميزان) 1874 Beauprêtre، تيزي غيف⁶ 1875 Col de la Victoire، تادمايت
- 1 - CAOM 915/88, « Département d'Alger, Monographie de l'arrondissement de Tizi-Ouzou », octobre 1953.
 - 2 - Kamel Chachoua, 2014, « Les montagnes et la montée des clercs dans l'Algérie coloniale, viticulture, montagnes et réformismes (islah) au XIXème -XXème siècle » in, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, Presse universitaire de Provence, 135, pp. 131-150.
 - 3 - CAOM 915/88, « Département d'Alger, Monographie de l'arrondissement de Tizi-Ouzou », octobre 1953.
- 4 - تأسست بلدية يسر الكاملة السلطنة في 9 نوفمبر 1871، وذلك عقب مصادرة أراضي الجزائريين الذين شاركوا في انتفاضة 1871 وتوزيعها على المستوطنين الذين ظلوا يتقاطرون عليها إلى غاية 1885 قادمين من الأرداش Ardèche واللوزير Lozer ولالبي L'Allier... ومارسوا فيها زراعة الكروم والتبغ. كما تتضمن هذه البلدية سوقا أسبوعيا يعد الأهم على مستوى منطقة القبائل. انظر: المصدر نفسه
- 5 - في 1871 قدم إلى المنطقة Adraste Abbo وهو شيخ بلدية بفرنسا (الألب البحرية) وأسس هذا المركز الاستيطاني، ثم عاد إلى فرنسا، وقام بحملة تجنيد للمستوطنين، توجهت بقدم 70 عائلة إلى المركز المذكور من منطقة Alpes-Maritimes في 1873، وسمي هذا المركز بـ "Bois sacré"، وأصبح في 1878 بلدية كاملة السلطات. وفي 1908 أعيدت تسميته بـ Abbo تكريما لمؤسس هذه المستوطنة. وتعد زراعة الكروم هي مصدر الثروة الرئيسي في هذه البلدية. انظر: المصدر نفسه.
- 6 - Beauprêtre عبارة عن مستوطنة صغيرة تأسست في 1874، وضمت حينئذ 90 فرنسيا قدموا من الألزاس، لكنها سرعان ما تعرضت للذبول، بحيث لم يكن فيها مع مطلع خمسينيات القرن الـ 20 سوى 18 أوربي، كما لم تعد سوى حي تابع لذراع الميزان. انظر: المصدر نفسه.
- 7 - Col de la Victoire تشكلت كبلدية مستقلة في 1885، وذلك بعد أن فصلت عن ذراع الميزان.

1878₁ Camps du Maréchal ، أعزيب بن زعموم₂ 1873 Haussonvilliers ، هوراس فيرنى₃ 1884 Horace-Vernet ، ذراع بن خدة₄ 1886 Mirabeau ... هذا بالإضافة إلى المراكز التي تأسست قبل 1871 ك: تيزي-وزو₅ 1857 ، ذراع الميزان₆ 1858 ، بغليته₇ 1862 Rébeval ، برج مناييل₈ . وهذه المراكز - كما نرى

والمستوطنون الأوائل قدموا إليها جاءوا من Hautes Alpes ، Indres ، والألزاس واللورين. انظر: المصدر نفسه.

1 - تأسست هذه البلدية الكاملة السلطات في 1878 تحت تسمية Camps du Maréchal وذلك تخليدا للمارشال راندون قائد الحملة على بلاد القبائل في 1856 . وكانت في 1881 تضم 60 عائلة جاءت كلها تقريبا من الألزاس، تكاثرت بسرعة كما تخصصت في ممارسة الزراعات النقدية، بالأخص الكروم، ثم اضافت إليها الحمضيات والتبغ، ومع مطلع خمسينيات القرن العشرين كانت تنتشر فيها مزارع واسعة ملك لأولئك الكولون. انظر: المصدر نفسه.

2 - في 1873 أسس في «لعزيب نزعوم» مركزا استيطانيا، وضم 53 عائلة من الألزاس واللورين وأفراد من الجيش الأفريقي. وتكريما للكونت أوصنفيلي Haussonvilliers ، الذي لعب دورا رئيسيا في تشجيع استيطان الألزاسيين في سيبوا الأدنى، أطلق اسمه على المستوطنة رسميا 21 أبريل 1875. انظر: المصدر نفسه.

3 - Horace-Vernet عبارة عن مركز استيطاني صغير أسس رسميا في 8 نوفمبر 1884 ، وضم حينها 23 عائلة أوروبية، لم يبق منها بعد حوالي 70 سنة سوى عائلتين، أما باقي الفرنسيين فقد غادر المركز وباعوا «ممتلكاتهم» للجزائريين المسلمين. انظر: المصدر السابق.

4 - في 1882 وزعت عدة قطع أرضية في مركز ذراع بن خدة على حوالي 10 عائلات فرنسية، وفي فيفري 1886 صدر مرسوم حول تسمية المركز إلى «ميرابو»، Mirabeau و1895 بلغ عدد الاثلاث الأوربية 50، غير أن الأمراض سرعان ما تفتك بالعديد منهم. وفي 1950 لم يبق بهذا المركز سوى 7 ملاك فرنسيين مقابل 400 مسلم. انظر: المصدر نفسه.

5 - في الأصل كانت تيزي وزو مركزا (برج) لقيادة منطقة سيبوا أسسه العثمانيون في 1640 ، وفي 1857 استولى عليه الفرنسيون وحوله إلى مركز عسكري، وحول هذا الأخير تشكلت ندر يجيا مستوطنة أوروبية بلغ تعداد سكانها 1200 نسمة في 1876. انظر: المصدر نفسه.

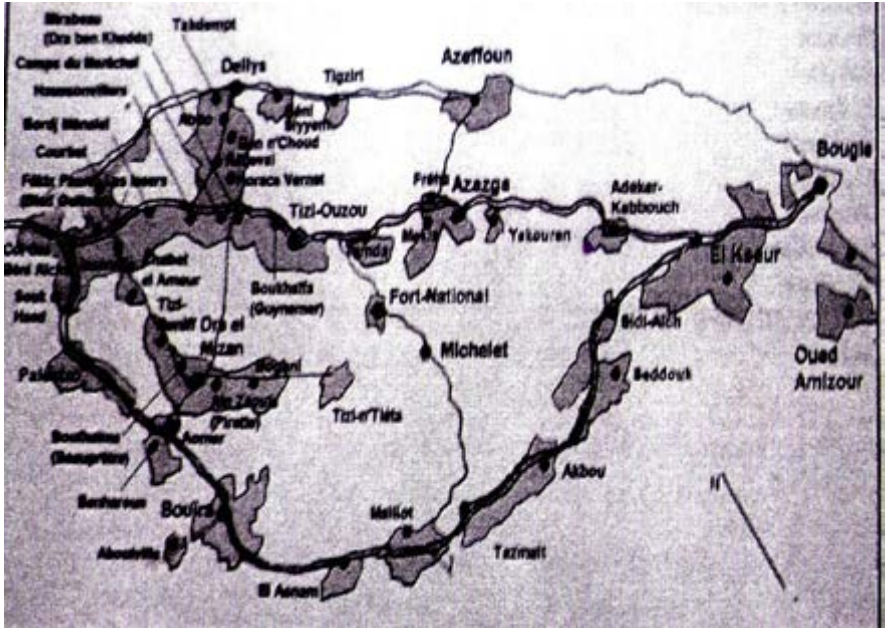
6 - في 1851 تأسس مركز عسكري فرنسي في ذراع الميزان التي تعد المدخل إلى بلاد القبائل، وسرعان ما استقر بالقرب منه عدد من المستوطنين، ليتحول في 30 ديسمبر 1958 بموجب قرار امبراطوري إلى مركز سكاني، وكان يضم 82 أسرة، وانضمت إليهم 23 أسرة جديدة في 1871 طردت من الألزاس، غير أن هذا المركز لم يعرف الازدهار، حيث غادره المعمرون وباعوا «ممتلكاتهم» لـ «الأهالي»، ولم يبق منهم سوى عدد محدود للغاية. انظر: المصدر نفسه.

7 - أسست هذه المستوطنة في 1861 ، وضمت أول الأمر حوالي 30 معمر. وأطلق عليها اسم ريبفال Rebeval نسبة إلى الرائد الفرنسي ريبيفال الذي قتل في وادي سيبوا أثناء الحملة على دلس في 1844 ، وهي لم تزدهر كثيرا إذ هلك العديد من مستوطنيتها بسبب عدم قدرتهم على التأقلم مع البيئة المحلية، في مطلع خمسينيات القرن الـ 20 كان عدد الأوربيين فيها لا يتعدى 126 نسمة. انظر: المصدر نفسه.

8 - تأسست المستوطنة الأوروبية بـرج مناييل في 1873 ، وضمت في البداية 8 عائلات قدمت من فرنسا، وعلى الرغم من تدميرها أثناء انتفاضة 1871 ، فقد أعيد بناؤها ليبلغ تعداد العائلات الأوربية فيها 100 في 1872 . وقد شجع على ذلك توفر المنطقة على سهول واسعة وخصبة، استحوذ عليها هؤلاء المستوطنون ومارسوا فيها زراعة الكروم والتبغ (هذا الأخير وحده يستحوذ على 900 هكتار). انظر المصدر نفسه.

- هي ذاتها مسارح عمليات ليلة اول نوفمبر 1954، فهل من علاقة بين الأمرين؟
لعل أول ما يتبادر الى الذهن في هذا السياق هي المسألة الزراعية ودورها كمحرك اساسي لهذه الأحداث. بيد أننا - ودون أن نقلل من اهمية هذه المشكلة - نعتقد أن القضية يجب أن ينظر إليها في إطار أوسع يشمل مختلف حقائق الإقليم الذي أضحي يمثل منطقة تماس بين عالمين متناقضين: عالم السهول التي تركز في ربوعها وجود المستوطنين وهو يزخر بالثراء "الفاحش" القائم على استغلال الفلاحين المجثوثين وتسود فيه عادات وثقافات "دخيلة"، وعالم الجبال التي تحصن بها الأهالي يقاسون على نجادها العيش الضنك مقابل التمسك بما بقي لهم من حرية مع العنصر بالنواجد على ثقافتهم الضاربة في العراقة. وكان هذا التماس يقاوم مفعول الزمن ويحول دون النسيان بأن سعادة أحد العالمين إنما قامت على تعاسة العالم الآخر. ويمثل بذلك نوعا من الاستفزاز الذي يتوجه الى وعي «الأهالي» ليحرك فيهم عناصر الخمول ويحولها الى قيم حركية. لذا لم يكن غريبا ان يصبح هذا الإقليم الواقع على تخوم العالمين المتنافيين أول ميدان لأول صدام مسلح بينهما منذ آخر انتفاضة في 1871. ولعل أهم ما مهد لهكذا صدام (نوفمبر 1954) ذلك التطور النوعي الذي عرفته ظاهرة التمرد المسلح على الادارة الكولونيالية بهذه الناحية.

الخريطة رقم 3: مناطق الاستيطان الأوربي في بلاد القبائل.



- Source : Tarik Bellahsene, La colonisation en Algérie : processus et procédures de création des centres de peuplement : institutions, intervenants et outils, les cas des centres en Kabylie du Djurdjura, thèse de doctorat, université Paris 8, 2006, p 552.

3_ التطور النوعي لظاهرة «الخارجين عن القانون»: من تأثيرين إلى ثوريتين

منذ أواخر القرن 19، أضحت جبال وغابات بلاد القبائل ملاذا للثائرين Maquisards على السلطة الاستعمارية الذين كانوا ينعنون بـ "للصوص" و"الخارجين عن القانون" كأرزقي البشير، والاخوة عبدون، وأحمد أومري، محمد أرزقي حجالي... وهذا إنما كان يدل على أن فشل المقاومات المسلحة التي حفل بها القرن 19 وأخرها انتفاضة المقراني (1871) لم يفض إلى موت فكرة العمل المسلح، وإنما فقط إلى انسحابها مكرهة من مستوى الفعل، مع بقائها حاضرة وبقوة على مستوى التصور والاستعداد. وكان نشاط أولئك الثائرين سواء كفرديات منعزلة أو على رأس مجموعات صغيرة تأكيداً لهذا الحضور، فهو على الرغم من كونه مجرد نكران للواقع الاستعماري بشكل استيهامي، فإن له الفضل في تأمين ديمومة فكرة المقاومة المسلحة في الضمير الجمعي، وذلك ريثما تجد السياق الملائم لتعود كرة أخرى إلى مستوى الفعل القائم هنا والآن.

وبدأ هذا السياق يتشكل منذ سنوات الحرب العالمية الثانية، إذ تم الاندماج -لأول مرة- بين ظاهرة "الثائرين" والحراك الوطني الذي أخذ ينمو بسرعة في المنطقة. وهو ما كان يؤشر على حدوث تلاقح خطير بين "فكرة الاستقلال" المتبلورة حديثاً في المدينة و"عاطفة التمرد" المتأججة في الريف منذ أمد بعيد، ومن ثم ينذر بنقطة ثورية حاسمة. ومن اللافت للانتباه أن ذلك جرى في ناحية القبائل السهلية Baisse Kabylie، وبدأ بالتحديد في بلدية "سيدي داود المعروفة" -استعماريًا- بـ "أبو Abbo" أحد رموز الاستيطان الزراعي في القبائل الكبرى. فقد قرر عدد من الشباب المنحدرين من أصول فلاحية والتأثرين بالأفكار الوطنية، الفرار من الجندية، والاعتصام بجبال المنطقة، من أبرزهم: محمد طويلب بن رابح وقالمي محمد بن محمد الذين دخلا حياة السرية -حسب وثائق الامن الاستعماري- في 15 فيفري 1944، إلى جانب الأخوين عبديش محفوظ (المولود في 1914) ومحمد (المولود في 1919). وما لبثت هذه النواة الأولى الناتجة عن عملية الاندماج المشار إليها أعلاه (بين "ظاهرة الثائرين" والحراك الوطني) تكبر بسرعة ككرة الثلج المتدحرجة من أعلى، مستفيدة من الفرص المختلفة التي كانت تمنحها إياها سياسة القمع الاستعمارية:

ففي أعقاب الانتفاضة التي لم تتم في 23 مايو 1945 وكرد فعل على حملة القمع التي شنتها السلطات الاستعمارية، نفذ مناضلو ناحية القبائل السهلية عدة انظر: 1 - PRG, Poste de Tizi.Ouzou, « quatre déserteurs parcoururent ABBO », le 25 aout 1947, in Archives CAOM 91/3F 136.

عمليات، قدرتها وثائق شرطة الاستعلامات بـ 20 هجوم مسلح، خلف 12 قتيل و9 جرحى¹. ما أدى الى توقيف بعض منفذي تلك العمليات كمحمد زروالي، ومحمد السعيد معزوزي، وعمار السعدي، وبلجو... والتحاق آخرين ك: لورجيوي رابح وحداد عمر وأحمد قريدي... بصفوف من سبقهم من "الثائرين" Mquisards المحتمين بالجبال².

واثر زيارة مصالي لبلاد القبائل في مارس 1947، شرعت الإدارة وعملاؤها في مطاردة مستقبلي الزعيم، وكان من ضمنهم بلقاسم كريم أصيل دوار أولاد يحي موسى بذراع الميزان الذي تلقى أمر بالمثل أمام قاضي التحقيق بتهمة المساس بالسيادة الفرنسية، فما كان منه إلا أن مزق الاستدعاء وقرر الدخول في حياة السرية ابتداءً من 20 مارس 1947، ومعه ست من رفاقه منهم أودني عمر المدعو موح النشيد ومحمد طالع ومسعود بن أعراب³...

وذاث السيناريو تكرر مع أعمار آث الشيخ أحد وجهاء وأثرياء دوار "أزرو أوقلال" بعين الحمام (ميشلي سابقا) الذي استضاف مصالي بمسكنه بـ "يخلف أوسامر"، وأقام مأدبة أكل لأزيد من ألف شخص حضروا التجمع الشعبي الذي أشرف عليه ضيفه. ومنذ ذلك الحين، أضحى محط استفزازات ومكائد متكررة من الحاكم الاداري وأعوانه، ما اضطره في آخر المطاف الى اختيار حياة التمرد والسرية، وكان ذلك بتاريخ 7 فيفري 1948⁴.

وقبل هذا التاريخ، كانت قد جرت الانتخابات المحلية في سبتمبر 1947، فانتهزتها السلطات الاستعمارية المحلية لمطاردة المشرفين على الحملة الانتخابية لحزب الشعب حركة الانتصار، فكان أحد ضحاياها عمار أو عمران من دوار فريقات (ذراع الميزان) الذي قام الدرك الفرنسي بتوقيفه واقتياده الى مركزهم بذراع الميزان، غير أنه تمكن من الإفلات منهم ولم يكن أمامه بد من الالتحاق بكريم وجماعته⁵. وأسابيع قليلة بعد ذلك تعززت صفوف هذه الجماعة -كرة

- 1 - PRG, District d'Alger, « activités sur le plan criminel du PPA-MTLD », le 23 février 1953, in Archives CAOM 91 F 525.

- 2 - انظر: شهادة عمار حداد في: محمد عباس، فرسان الحرية، ص 72.

- 3 - محمد عباس، ثوار عظماء، ص 133.

- 4 - Abdenour Chikh, une vie pour l'Algérie : hommage au martyr de la guerre de libération Amar Ath Chikh (1906-1956), Casbah-Editions, Alger, 2014, p,p : 52, 66.

- 5 - شهادة عمار أو عمران، في محمد عباس، ثوار عظماء، صص: 181-180.

أخرى. بثائرين جديدين هما خطاب عمار بن علال وزباني لونس بن حمود المدعو عمروني من برج منايل، بعد أن قاما رفقة كل من طويلب وقلمي بتصفية أحد أعوان الادارة في 14 نوفمبر 1947...

وهكذا دواليك... حتى غدت هذه النسخة الجديدة من الثائرين تمثل رقما صعبا في المنطقة، وبلغ تعدادها في 1949 حسب الامن الاستعماري حوالي 20 نفرا²، لكن شهادتي كل من أوعمران وأيت أحمد تتفقان على أنهم كانوا زهاء 50 رجلا³. وهذا الرقم الأخير هو الأقرب - بلا شك الى الواقع، إذ إضافة إلى أسماء من سبقت الإشارة إليهم أعلاه وهم 17 نفرا، يمكن أن نعدد آخرين كثيرين ك: على ملاح، حسين حموش المدعو موح الطويل، حسين شادلي، أكلي بابو، محمد حمزاوي، عمار شرشار، أعراب عمار، محمد ثاحنوت، عمار حوسيني المدعو عمار القايد، علي ربيع المدعو علي لطرش، موح السعيد المولود، الخ...

ومهما يكن تعددهم، فقد نجحوا في نقل الخوف الى المعسكر الآخر، حيث شرعوا في ملاحقة وتصفية أعوان الاستعمار من أغاوات وقياد وحراس غابات، وأمناء قري، ومخبرين... وفي هذا الاطار، تشير وثائق الأمن الاستعماري الى حدوث 15 هجوم ما بين 1947 ومنتصف 1948، كتصفية القايد بلهول من قرية مناقرة في 13 أوت 1947⁵، واعدام القايد رشداوي محمد من دوار روافع (برج منايل) في 16 نوفمبر 1947⁶... ولعل أكثر هذه العمليات شهرة تلك التي جرت يوم 25 ديسمبر 1947 على الطريق الرابط بين ذراع الميزان وتيزي وزو، ونفذها كريم ورفاقه ضد قريب هذا الأخير؛ القايد سليمان دحمون، وأسفرت عن جرح المستهدف وقتل مرافقه؛ حارس الغابات محمد أعمري.

- 1 - PRG, Poste de Tizi-Ouzou, « assassinat de deux musulmans ralliés à la cause française », le 12 juin 1948, in Archives CAOM 91/3F 136.
- 2 - Jean Charles Jauffret, La guerre d'Algérie par documents, T2 : les portes de la guerre 1946-1954, SHAT, Vincennes, 1998, p 529.

3- انظر:

- شهادة عمار أوعمران، المصدر السابق، ص 181.

- حسين أيت أحمد، المصدر السابق، ص 159.

- 4 - PRG, District d'Alger, « activités sur le plan criminel du PPA-MTLD », le 23 février 1953, op.cit.
- 5 - Jean Charles Jauffret, op.cit, pp 170.
- 6 - IBID, p 452.
- 7 - IBID, p,p : 132, 149.

وإزاء هذه التطورات الخطيرة، كان رد فعل السلطات الاستعمارية في غاية العنف؛ حيث شنت على المنطقة حملات قمع واسعة بدعوى مطاردة "الخارجين عن القانون". فأضحت قراهم تتعرض، بعد كل زيارة يقومون بها لذويهم إلى عمليات عقابية عملاً بمبدأ المسؤولية الجماعية. وفي هذا الإطار، قام 150 دركي وعناصر من الاستعلامات العامة بتخريب قرية لعزيب نزعموم Hausson villiers في جويلية 1948، ثم جاء دور منطقة سيدي علي بوناب في سبتمبر 1949 لتتعرض لقمع غير مسبوق خلف 500 مسكن محطم و7000 شخص مشرد أحال المنطقة إلى مسرح للعمليات العسكرية طيلة 15 يوماً... وهو ما أدى -وفق التقارير الأمنية- إلى قتل بعض «الثائرين» واستسلام آخرين²، لكن عموماً وباعتراف ذات المصدر، ظل أغلب «الثائرين» صامدين في الجبال. الأمر الذي يثير التساؤل حول أسرار هذا الصمود، لاسيما أن هؤلاء الثائرين لم يشكوا -مطلقاً- جماعة منظمة ومزودة بشبكات تواطؤ وقواعد دعم لوجيستي؟

يعود ذلك - بلا شك - إلى التضامن العفوي للسكان، لكن أيضاً وبالخصوص إلى دعم حزب الشعب حركة الانتصار الذي كان هؤلاء الثائرون مناضلين في صفوفه. وهو ما شعرت به مصالح الأمن الاستعماري التي راحت تؤكد في تقاريرها على ما أسمته بـ «تداخل السياسي والاجرامي»، وتزعم بأن «حزب الشعب في ناحية القبائل ما هو إلا عصابة منظمة من المجرمين، هدفها القيام بالاعتداءات»³. وفي الحقيقة، إذا تجاوزنا الأحكام المعيارية الواردة في هذه الوثائق، فإن الجوانب التقريرية التي تضمنتها كانت صحيحة إلى حد بعيد. إذ - بالفعل - دعم الحزب هو الذي ضمن بقاء هذه الجماعة واستمرار نموها منذ سنوات الحرب العالمية الثانية، فهو ما برح يكفل لها الملاجئ الآمنة، ويوفر لعناصرها بطاقات الهوية المزورة، ويخصصهم لكل واحد منهم منحة شهرية (3000 فرنك) كما يزودهم -أحياناً- بالسلاح والذخيرة⁴... بعبارة أوجز: كانت علاقة جماعة الثائرين بالحزب علاقة حياة أو موت.

-
- 1 - Francis et Colette JEANSAN , L'Algérie hors le loi, éd. ENAG 1993, Alger, P 93
 - 2 - PRG, District d'Alger, « activités sur le plan criminel du PPA-MTLD », le 23 février 1953, op.cit.
 - 3 - IBIDEM
 - 4 - PRG, « PV d'audition du nommé Bouyahiaoui yahia ben Mouhoub », in Archives CAOM, 91/ 1F/ 205-206.

وكانت هذه العلاقة - فيما يبدو - أكثر انسجاما مع الجناح السري شبه العسكري للحزب (المنظمة الخاصة). وهو ما يعكسه طلب الثائرين - حسب أوعمران - الالتحاق بهذه المنظمة عندما بدأ تكوين هياكلها في المنطقة بين عامي 1947 و1948، لكن المسؤولين على المنظمة لم يوافقوا لكونهم «محروقين»¹ (أي معروفين لدى الأمن الفرنسي). بيد أن هذا لم يحل دون لجوء المنظمة إلى خدماتهم عند الحاجة، كما حدث في عملية تصفية المليشيات السوداء²، وكذا في عملية الهجوم على بريد وهران... وفي المقابل لم تتوان المنظمة في التكفل بهم عندما أصبح تواجدهم بمناطقهم الأصلية مجلبة للمتابع⁴. إذ قامت - أولا - إدارة الحزب بتحويلهم إلى مدينة الجزائر وإيوائهم عند مناضلي الحزب والمتعاطفين معه. إلا أن هؤلاء الثوار لم ينسجموا مع العائلات التي استضافتهم ولم يستسيغوا وضعياتهم الجديدة المتميزة بالخمول والوحدة، ما حدا ببعضهم إلى العودة إلى الجبل⁵. الأمر الذي أفزع قيادة الحزب وجعلها توكل حل هذه المشكلة إلى المنظمة الخاصة التي قامت في جانفي 1949 بتوزيع هؤلاء الثوار على هياكلها عبر التراب الوطني، فأرسلت ثلاثة أو أربعة (من بينهم بلقاسم كريم) إلى الأوراس عند مصطفى بن بولعيد، ووجهت البقية إلى القطاع الوهراني الذي تكفل مسؤول «المخ» فيه؛ بن بلة بتوفير ملاجئ مناسبة لهم ووثائق هوية مزورة مع إمكانية الاتصال بعائلاتهم إضافة إلى حرارة الضيافة ودفء المعاملة. بيد أن هذه الوضعيات المريحة لم تجعل الثوار يقلعون عن فكرة العودة إلى الجبل ثانية، وهو ما حدث عندما سكن الأمن الاستعماري في طلبهم.

وتزامنت عودتهم هذه المرة إلى المنطقة مع انفجار ما عرف بالأزمة البربرية التي أدت إلى ابعاد القيادة المحلية السابقة⁶، ما فسح المجال أمامهم لتولي مسؤوليات سياسية هامة. وهكذا أصبح كريم منذ 16 أوت 1949 نائبا لفرنان الحنفي القائد الجديد للولايتين الحزبيتين 5-4 (القبائل العليا، القبائل السهلية)، كما

1 - شهادة عمار أوعمران، في محمد عباس، ثوار عظماء، صص 182-181.

2 - انظر: حسين آيت احمد، المصدر السابق، صص: 156-158.

3 - انظر: المصدر نفسه، صص: 186-187.

4 - انظر: المصدر نفسه، صص: 161-160.

5 - M. HARBI, Le FLN mirage et réalité, NAQD/ENAL, Alger, 1993, p 75.

6 - جرى ابعاد العديد من القيادات المتهممة بالبربرية وبعضها الاستقال، نذكر منهم: بن لونيس مسؤول الحزب في القبائل السهلية، مدغري مسؤول الحزب في القبائل العليا، آيت منقلات مسؤول المنظمة الخاصة في منطقة القبائل، وعلي فرحات الذي أطلق عليه كريم الرصاص واخرون...

7 - PRG, « PV d'audition du nommé Fernane Hanafi ben Mohamed », in CAOM, 91/ 1F/ 205-206.

وُضعت أغلب الدوائر الحزبية (الست) تحت إشراف الثائرين، وجرى ذلك في الغالب باقتراح من كريم؛ فأسندت قيادة دائرة تيقزيرت للثائر على ربيع، ودائرة تيزي وزو للثائر موح طويل، ودائرة دلس للثائر عمر حداد، ودائرة أعزيب نزعموم Haussonvilliers للثائر عمر أو عمران¹. وفي جانفي 1950، بعد اعتقال المسؤول الحزبي للقبائل الكبرى فرنان الحنفي، تقاسم رئاستها كل من كريم (ناحية القبائل العليا) و أو عمران (ناحية القبائل السهلية)². وفي حدود منتصف هذه السنة أصبح جل مسؤولي الحزب في القبائل الكبرى من "الثائرين"³.

والتأمل في هذا التطورات، سيكتشف -بسهولة- أنها مجرد أعراض تؤشر على وقوع تحولات أعمق في المنطقة، هذه أبرزها:

- عودة قيادة الحزب على مستوى منطقة القبائل الكبرى -مرة أخرى- الى ناحية القبائل السهلية، بعد أن كانت قد انتقلت -كما رأينا أعلاه- في أعقاب حوادث ماي 1945 الى ناحية القبائل العليا. ومن الجدير بالذكر أن الناحية الأولى (أي القبائل السهلية) تعد المعقل الرئيسي للثائرين، كما أنها أبدت في ماي 1945 استعدادا أكبر للانخراط في ثورة عامة... وكل هذا يؤكد على أنها تتوفر على خامات ثورية هامة، ومرشحة أكثر من غيرها لتكون مهدا للثورة المرتقبة على مستوى بلاد القبائل.

- استبعاد الطلبة من القيادة الجديدة، وبالتحديد طلبة ثانوية ابن عكنون (الجزائر) الذين تحكّموا في مصير الحزب على مستوى المنطقة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية الى غاية صيف 1949 (الازمة البربرية)، واستعادة الفئة الكادحة من فلاحين مجتوثين وممارسي مهن بسيطة وصغار الموظفين... مقاليد القيادة. وعلى الرغم من وجود توافق موضوعي بين الفئتين حول "مشروع الثورة"، إلا ان فارقا عمليا هاما ناجم عن اختلافاتهما الاجتماعية والثقافية ما برح يميز بينهما. فقد كانت "فئة الطلبة" تعطي الانطباع بحكم سقفا الثقافي المرتفع وعبر طرحها الثوري الملح، وكأنها تتقدم الصفوف وتدعو الفئات الأخرى للحاق بها، فتخلق بذلك مسافة افتراضية بينها وبين الآخرين. وفي المقابل، كانت فئة الثائرين

1. IBIDEM -

2 - شهادة عمار حداد، المصدر السابق، ص 76. (يذكر حداد أن اعتقال فرنان الحنفي وقع في جانفي 1951، لكن ذلك على ما يبدو خطأ وقع فيه الشاهد أو سهو من مسجل الشهادة، لأن اعتقال فرنان كان في جانفي 1950، أي سنة قبل التاريخ المذكور في الشهادة)

3 - المصدر نفسه.

وبالرغم من عزلتها أمنياً، تبدو مندمجة أفضل في الفئات الشعبية المؤهلة لتحقيق المشروع الثوري، وتُجسد امتداداً أصيلاً للموروث التاريخي للمنطقة الحافل بأعمال المقاومة¹.

- انقلاب العلاقة التقليدية بين "الثائرين" والحزب؛ فبعد أن كان "الثائرون" أداة في يد الحزب يستخدمها لصالح سياسته الانتخابية، أضحت -الآن- آلة الحزب على المستوى المحلي (ولاية القبائل الكبرى) في قبضتهم (أي الثائرين)، وبذلك أصبح بوسعهم توظيفها لاعتبارات سياسية تكتيكية كما كان الأمر في السابق، وإنما لتجسيد هدفهم الاستراتيجي المتمثل في الانتقال إلى مرحلة العمل الثوري، وهو ما لن يترددوا في القيام به عند أول فرصة سانحة.

وهو ما حدث بالفعل عند انفجار أزمة حزب الشعب في 1954، إذ وعلى الرغم من وقوف غالبية كوادر وقواعد الحزب في منطقة القبائل الكبرى إلى جانب الزعيم (مصالي)، إلا أن القيادة المحلية ممثلة في "الثائرين" (كريم و أوعمران وقادة النواحي) قررت سرا الانحياز إلى قداماء المنظمة الخاصة الذي شكلوا تياراً ثالثاً، وذلك بعدما تأكدت من عزمهم على تفجير الثورة.

المصادر والمراجع:

1- الارشيف:

- - Direction de la Sécurité Générale, 17 décembre 1954, Fichier Cen-

1 - وكان هذا التقابل الاجتماعي بين فئة الطلبة والفئة الكادحة يتطابق مع تقابل آخر ثقافي بين أنصار الطرح البربري ومعارضيه، ومن ثم كان يساهم في توتير العلاقة بين الطرفين أكثر فأكثر.

- tral, « Diffusions urgentes, Recherches », in Archives C.A.O.M., 91-3F-136.
- - Extrait du P.V. du congrès de la Soummam, Aout 1956, in Abdelhafid Amokrane, Mémoires de combat, Alger, Ed. Dar El Oumma, 1998.
 - - Monographie de l'arrondissement de Tizi-Ouzou, octobre 1953, in Archives CAOM 915/88.
 - - «Monographie politique de la C.M. du Djurdjura», 1953, Archives CAOM, 915-257.
 - - «Monographie politique de la C.M. de Draa El Mizan», 1953, in Archives CAOM 915-257.
 - - «Monographie politique de la C.M. du Haut Sebaou», 1953, Archives CAOM, 915-257.
 - - P.R.G. d'Alger, 27 avril 1954, Le berbérisme et les dissensions au sein du PPA-MTLD, in Archives CAOM 91/ F525.
 - - PRG d'Alger, « activités sur le plan criminel du PPA-MTLD », le 23 février 1953, Archives CAOM 91 F 525.
 - - PRG d'Alger, 23 février 1953, Activités sur le plan criminel du PPA-MTLD, in Archives CAOM 91/ F525.
 - - P.R.G., poste de Tizi-Ouzou, 25 aout 1947, rapport intitulé : « Quatre déserteurs parcourent la région de ABBO », in Archives CAOM 91/3F 136.
 - - P.R.G., poste de Tizi-Ouzou, rapport du 12 juin 1948, in Archives CAOM 91/ 3F 136.
 - - PRG, Poste de Tizi-Ouzou, « PV d'audition du nommé Bouyahiaoui yahia ben Mouhoub », 1950, Archives CAOM, 91/ 1F/ 205-206.
 - - PRG, Poste de Tizi-Ouzou, « PV d'audition du nommé Fernane Hanafi ben Mohamed», 1950, Archives CAOM, 91/ 1F/ 205-206 .
 - - PRG, Poste de Tizi-Ouzou, « quatre déserteurs parcourent ABBO», le 25 aout 1947, Archives CAOM 91/3F 136.
 - - PRG, Poste de Tizi-Ouzou, « assassinat de deux musulmans ralliés à la cause française », le 12 juin 1948, Archives CAOM 91/3F 136.
 - - Télégramme récapitulatif du Sous préfet de Tizi-Ouzou envoyé à Alger», 1^o Novembre 1954, in Yves Courrière, (1992), La guerre d'Algrie : Les fils de la Toussaint, Alger, Ed. Rahma, pp. 352-353.
 - - Willaya 3, «Directives générales du 19 au 30 décembre 1957», in Archives SHAT, 1H 1248.
 -

2- المنشورات:

- أوعمران عمار (شهادة)، 1991، في محمد عباس، ثوار عظماء، دار دحلب، الجزائر.
- أيت أحمد حسين، 2002، روح الاستقلال: مذكرات مكافح، تر سعيد جعفر، منشورات البرزخ، الجزائر.
- بوداود عمر (شهادة)، 2001، في: محمد عباس، فرسان الحرية، دار هومت، الجزائر.
- حداد عمار (شهادة)، 2001، في: محمد عباس، فرسان الحرية، دار هومت، الجزائر.
- لونيسي رايح، 2002، دعاة البربرية في مواجهة السلطة، دار المعرفة، الجزائر، ط 1.
- مصالي أحمد، 2006، مذكرات مصالي الحاج 1898-1938، تر محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر.
- مصطفى شوقي (شهادة)، 1992، في محمد عباس، رواد الوطنية، دار دحلب، الجزائر.
- معزوزي محمد السعيد (شهادة)، 1992، في: محمد عباس، رواد الوطنية، دار دحلب، الجزائر.
- سعداوي مصطفى، 2009، المنظمة الخاصة ودورها في التحضير لثورة نوفمبر 1954، دار الأوراق الزرقاء الدولية، الجزائر.
- كشيده عيسى، 2003، مهندسو الثورة، الجزائر، منشورات الشهاب.
- محيوت أحمد، 1982، «وصف إندلاع الثورة في الوسط ومنطقة القبائل»، في: المنظمة الوطنية للمجاهدين، الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، المجلد الأول، الجزء الأول، الجزائر، ديوان المطبوعات الجزائرية، ص ص: 325-332.
- م.و.م. (المنظمة الوطنية للمجاهدين)، 1999، مكتب تيزي وزو، مساهمة المنطقة الثالثة والرابعة للولاية الثالثة في أشغال الندوة الوطنية حول المعارك الكبرى للولاية الثالثة التاريخية، تيزي وزو، 25 و 26 نوفمبر 1999.



الفصل الثالث

حراك الشخصيات التاريخية



- عباس محمد، 1991، ثوار عظماء، دار دحلب، الجزائر.
- عباس محمد، 2001، نداء... الحق، دار هومه، الجزائر.
- عباس محمد، 1992، رواد الوطنية، دار دحلب، الجزائر.
- عباس محمد، 2001، فرسان الحرية، دار هومه، الجزائر.
- زروالي محمد (شهادة)، 2001، في محمد عباس، نداء... الحق، دار هومه، الجزائر.

- - Ait Ahmed Hocine, 1990, Mémoires d'un combattant : l'esprit d'indépendance 1942-52, Ed. Bouchère, Alger.
- - Bacha Boualem, 2009, Récits de feu 1954-1962, Les évadés de Paul Gazelle, ENAG, Alger.
- - Chachoua Kamel, 2014, «Les montagnes et la montée des clerics dans l'Algérie coloniale, viticulture, montagnes et réformismes (islah) au XIXème –XXème siècle» in, Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, Presse universitaire de Provence, pp. 131-150.
- - Chikh Abdenour, 2014, une vie pour l'Algérie : hommage au martyr de la guerre de libération Amar Ath Chikh (1906-1956), Casbah-Editions, Alger.
- - Hamdani Amar, 1993, Krim Belkacem lion du djebel, Ed. Bouchène, Alger.
- - Harbi Mohammed, 1993, Le F.L.N. mirage et réalité, Naqd-ENAL, Alger.
- - Jauffret Jean Charles, 1998, La guerre d'Algérie par documents, T2 : les portes de la guerre 1946-1954, SHAT, Vincennes, Paris.
- - Jeansan Francis et Colette, 1993, L'Algérie hors le loi, Ed. ENAG, Alger.
- - - Yaha Abdelhafidh, 2012, au cœur des maquis en Kabylie : mon combat pour l'indépendance de l'Algérie, T1 : 1948-1962, Ed. Inas, Alger.
- - Zamoum Ali, 1993, Tamurt Imazighen. Mémoires d'un survivant 1940-1962, Ed. Rahma, Alger.

الشيخ أحمد حسين (1911م-1987م)

منارة من منارات الجزائر

سيرة ومسيرة

نجيب بن مبارك: متقاعد، متفرغ للبحث والتأليف.

عناصر المقــــــــــــــــال:

- _ مقدمة
- _ المولد والنشأة
- _ المسار الدراسي
- _ المسار المهني
- _ المسار بعد اندلاع الثورة التحريرية
- _ المسار بعد استعادة السيادة الوطنية
- _ الوفاة.

ملخص:

من خلال هذه المداخلة، أردت التطرّق لإسهامات جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين ورجالها خلال الحقبة الإستعمارية، وتواصل بعد الاستقلال، وهذا عبر تسليط الضوء على مسار علم عالم من أعلامها البارزين، إنه الشيخ أحمد حسين.

ولد الشيخ عام 1911م بقرية ابو كربيصة التابعة حاليا لدائرة سيدي داود بولاية بومرداس.

كان مسار الشيخ ضمن التّحصيل العلمي مميزا، فانطلاقاً من الزاوية ليرتقي لجامع الزيتونة المعمور، أين تحصّل منها على أعلى الشهادات.

بعدها ضمن مسار مهني، بداية كملقّن للعلم و مبادئ جمعية العلماء بمعهد عبد الحميد بن باديس طيلة نشاطه لغاية غلقه عام 1957م، ثم ضمن النضال بعد اندلاع الثورة حتى الاستقلال.

واصل بعدها بنفس المبادئ في ظلّ الدولة الجزائرية الفتية كأستاذ، ثم بلجنة الفتوى التابعة لوزارة الشؤون الدينية. لم يستكن في نشاطه الدؤوب حتى وافته المنية يوم 30 جانفي 1987م.

الكلمات المفتاحية : الشيخ أحمد حسين، جامع الزيتونة، الاستعمار، جمعية العلماء المسلمين، معهد ابن باديس، لجنة الفتوى.

مقدمة:

منذ أن دنست أقدام المستدمر الفرنسي الاستيطاني هذه الأرض الزكية الطاهرة ذات عام 1830م، انطلق بعد وقت وجيز في تجسيد مخططاته الهدامة حيث

- جهل شعبا بعدما كانت الأمية قبل قدومه منعذمة.
- أفشى الأمراض والأوبئة بعد أن كانت وسائل التطيب عامة.
- أفشى المجاعة بعدما كان المواطن يكفيه ما ينتجه ويذخره.
- محو الشخصية الجزائرية المتمثلة في لغته ودينه، ليعوضها بلغته الفرنسية، ودينه المسيحي.

نتيجة كل هذه المصائب التي ضربت البلاد والعباد، مسّ الجميع الوهن والضعف فسهل بذلك الإستعباد والتحكّم في الجميع.

تفطن علماء هذه الأمة، من بينهم الشيخ عبد الحميد بن باديس لمرامي المستعمر، فقرروا التصدي لمخططاته الدنيئة عبر تأسيس جمعية، وكان ذلك بناي الترقى يوم 05 ماي 1931م مطلقين عليها اسم: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تحت شعار: الإسلام ديننا والعربية لغتنا، و الجزائر وطننا. بأهداف هي :

- محاربة البدع والخرافات، وتصحيح العقائد.
 - محاربة الجهل عن طريق التربية والتعليم.
 - المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية المبنية على اللغة العربية والدين الاسلامي، لهذا شيدت بتبرعات المواطنين المدارس عبر التراب الوطني، ولما وصل تلامذتها لمستوى أعلى كان لا بد من تحضير مؤسسات تستجيب لطلبهم، فكان معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة.
- من جنود هذه المؤسسة التعليمية نذكر الشيخ أحمد حسين، الذي هو موضوع مداخلتنا.

1. المولد والنشأة:

ولد العلامة الشيخ أحمد حسين عام 1911م على مشارف الحرب العالمية الأولى 1914م، بقرية ابو كريبسة، دائرة سيدي داود ولاية بومرداس. كانت ولادته وسط عائلة متواضعة، تمتهن الفلاحة وتربية المواشي كباقي العائلات الجزائرية وقتها، لكن مشهود لها بالورع والوطنية⁽¹⁾.

2. المسار الدراسي:

لما أصبح قادرا على تلقي العلوم ضمه والده، كسائر الأطفال وقتها للكتاتيب بمسقط رأسه، حتى يحفظ ما تيسر له من القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية، وكان ذلك على يد مشايخ القرية.

حبا في مواصلة تحصيله العلمي، وبمباركة شيوخه ووالده انتقل لزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي المتواجدة بـ"يلولا أومالو بعزازقة التابعة حاليا لولاية

1 - محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000، ص165.

تيزي وزو، وهناك أتم حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل لدراسة علوم اللغة العربية من نحوها، وقواعدها، والفقه وحفظ المتون. خلال تواجده بالزاوية لفت انتباه شيوخه، لنجابه فأختره مدرّساً مساعداً مكلفاً بالطلبة المبتدئين.

كل هذا لم يشف غليل الطالب أحمد حسين في المزيد من طلب العلم، فبفضل نصائح شيوخه انتقل عام 1940م والحرب العالمية الثانية حامية الوطيس (1939-1945م) لمحنة طالبي العلم وقتها جامع الزيتونة بتونس.

بتنقله هذا ضرب عصفورين بحجر، أوله مواصلة تحصيله العلمي، وكذا إفلاته من الخدمة العسكرية الإجبارية تحت راية فرنسا.

تقدّم الطالب أحمد حسين بتاريخ 01 جوان 1941م، لامتحان نيل شهادة الأهلية وهو في سنته الأولى، فتمكّن منها وارتقى للمرحلة الثانوية.

واصل دراسته الثانوية بكل جد لغاية خاتمتها التي أثمرت بحصوله على شهادة التحصيل (ما يعادل في يومنا البكالوريا)، ممّا مكّنه من الانتقال للدراسة الجامعية في اختصاص العلوم الشرعية. تحصل بتاريخ 30 جوان 1947م على شهادة العالمية⁽¹⁾.

هكذا قضى الطالب أحمد حسين سنوات غربته في التحصيل العلمي وفقط. وبعدها قرر العودة لأرض الوطن آمناً، سالماً، غانماً بالعلم والمعارف ليجمعهم في خدمة بلده وبني جلدته.

3. المسار المهني:

سبقت سمعة الطالب أحمد حسين العلمية عودته لأرض الوطن، فكان من الشيخ البشير الابراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن أتصل به ليقتراح عليه منصب أستاذ بمعهد الامام عبد الحميد بن باديس المزمع افتتاحه شهر ديسمبر 1947م، فكان منه القبول والترحاب.

دشن المعهد يوم 01 ديسمبر 1947م المميز بهندسته العربية الإسلامية، من طرف الشيخ محمد البشير الابراهيمي بجمعية أعضاء جمعية العلماء المسلمين وضيوف قدموا من أنحاء الوطن وخارجه.

انطلق المعهد في تكوين الطلبة، تحت إدارة الشيخ العربي التبسي يوم 06 ديسمبر 1947م، حسب مستوياتهم عبر سنوات ثلاث في اقسام موزعة بطابقين.

للمعهد لجنتان:

أ. لجنة علمية متكونة من الأستاذة:

العباس بن الشيخ الحسين، نعيم النعيمي، عبد المجيد حيرش، أحمد حسين، أحمد حماني، عبد القادر الياجوري، المولود النجار، عمر شكيري، معمر حني، عمر جفري، عبد الرحمان شيبان، عبد اللطيف سلطاني، علي الساسي، محمد الحفناوي، أحمد سرحاني، أحمد بن ذياب، مصطفى بوغابته، أحمد بوروح، محمد العدوي، محمد الزاهي، أحمد بوزوزو، الطاهر سعدي، محمد الميلي، عبد الرحمان عمراني، السعيد الزموشي، عبد العزيز قروف.

ب. لجنة المراقبة والضبط، وتتألف من الأستاذة:

المولود النجار، أحمد بوشمال، أحمد رضا حوحو، عبد اللطيف سلطاني، محمد كحلوش، بلقاسم بوشاشي.

موازة مع التدريس، أختير الأستاذ أحمد حسين معتمداً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بغرب مقاطعة قسنطينة^١.

هكذا وبإمكانات بسيطة، لكن بالمقابل بإرادة قوية، عمل معهد عبد الحميد بن باديس بفضل وعي وهمة مسيريه وأساتذته وإطاراته طيلة فترة عمله -من افتتاحه يوم 06 ديسمبر 1947م لغاية غلقه بأمر من حاكم قسنطينة وقتها موريس بابون يوم 02 سبتمبر 1957م وتحويله لمعتقل تعذيب المجاهدين -على ترسيخ شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ميدانياً، فكان لذلك طلابه المخزن الذي لا ينضب:

كمناضلي أحزاب الحركة الوطنية خلال الفترة الاستعمارية في نضالها السياسي، وكمجاهدين بإيعاز من شيوخهم ضمن الكفاح المسلح لما اندلعت الثورة التحريرية غداة الفاتح من شهر نوفمبر 1954م، حيث كانوا السباقين للانضواء كأفراد وجماعات تحت لواء جبهة التحرير، وجيش التحرير الوطني^٢.

1 - محمد الحسن فضلاء، المصدر السابق، ص166، 167.

2 - محمد الحسن فضلاء، المصدر السابق، ص166، 167.

كان الشيخ وقتها ضمن خلية جبهة التحرير الوطني بالمعهد، والتي نشطها الشيخان مصطفى بوعابته (1924م-2018م) وسليمان بشنون (1923م-2021م) رحمهما الله؛ تفتنت جبهة التحرير الوطني للشبهات التي تحوم حول الشيخ، فنظمت فراره إلى تونس أين ألتحق بقيادة الثورة. هناك، عُين كمسؤول مدني، بعدها كقاضي لدى الحكومة المؤقتة. بقي بالمنصب يؤدي واجبه النضالي والجهادي لغاية استعادة السيادة الوطنية^١.

4. المسار بعد استعادة السيادة الوطنية:

لما استعادت الجزائر سيادتها الوطنية، عاد من أطال الله في عمره لمواصلة جهادهم الأكبر في البناء والتشييد خدمة للدولة الجزائرية الحديثة كإطارات وما بدلوا تبديلا.

بقي الأساتذة الأحرار يعملون دون ترسيم بالوظيف العمومي، وبقترح من وزير التربية وقتها السيد الشريف بلقاسم، أصدر الرئيس أحمد بن بلة عام 1964م مرسوما رئاسيا لتكوين لجنة لترسيم المعلمين الأحرار بالوظيف العمومي، الذين كانوا يزاولون قبل الاستقلال بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حزب الشعب الجزائري والزوايا^٢.

فكان توزيعهم كما يلي :

شهادة علمية + 05 سنوات تدريس + تسيير: أستاذ ثانوي (أقل من هذا أستاذ متوسط) تتكون اللجنة من :

- سليمان بشنون - أمين عام
- عبد الرحمن شيبان - عضوا
- الزبير سقان - عضوا
- عبد المجيد حيرش - عضوا
- الحسين بن الميلي - عضوا
- علي مرحوم - عضوا^٣

1 - لقاء مع الشيخ سليمان بشنون، مكان اللقاء: بمنزله، بتاريخ 10/12/2016م و 23/02/2017م.

2 - الشيخ سليمان بشنون.

3 - الشيخ سليمان بشنون.

أصبح الشيخ أحمد حسين بفضل هذا التصنيف أستاذا للتعليم الثانوي بمؤسسة عمارة رشيد يحيى بن عكنون بالعاصمة.

كان الشيخ أحمد حسين عام 1966م من مؤسسي المجلس الإسلامي، و كان نائبا لرئيسه الشيخ احمد حماني. بقي في تناوب بين التدريس ونشاطه بالمجلس لغاية تقاعده، فعوض الأولى، بالإمامة والوعظ بالجامع الجديد بالعاصمة، وكذا رئاسة البعثات للبقاع المقدسة لتلقين الحجاج مناسكهم.

تزوج الشيخ أحمد حسين عام 1953م، ورزق بالبنين والبنات وهم: صلاح الدين، هدى، شكري، سلوى، إنصاف، طارق، أسامة، حافظ، عصام ومعاذ.

5. الوفاة:

بعد حياة حافلة في خدمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجهادين الأصغر والأكبر توفي العلامة الشيخ أحمد حسين يوم 30 جانفي 1987م.

حتى يتذكر الخلف بأجداد السلف الصالح أطلقت السلطات العمومية اسم الشيخ العلامة العالم أحمد حسين على الثانوية التقنية المتواجدة بحي الزبوة الخضراء ببرج الكيفان، ولاية الجزائر⁽²⁾ (الصورة).



1 - محمد الحسن فضلاء، المصدر السابق، ص168.

2 - نفسه، ص168.

- المصادر والمراجع:

- محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.
- لقاء مع الشيخ سليمان بشنون رئيس لجنة ترسيم المعلمين الأحرار بالوظيف العمومي، مكان اللقاء: بمنزله، بتاريخ 2016/12/10م و 2017/02/23م

الجهود الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

في حاضرة دلس - مدرسة الإصلاح أنموذجا

د. عبد العزيز مرابط و أ. رشيد عبد العزيز

_ ملخص

_ مدخل

_ أولا : عوامل النشأة والتأسيس

_ ثانيا : مراحل العمل الإصلاحي في حاضرة دلس

1-جمعية الإصلاح

2-مدرسة الإصلاح

3-شعبة دلس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

_ ثالثا : أبرز مشايخ مدرسة الإصلاح

خاتمة

المُلخَص:

تعد حاضرة دلس من أولى الحواضر على المستوى الوطني التي احتضنت الفكر الإصلاحي وهو في مهده الأول، فكان أبنائها سابقين إلى تأسيس جمعية دينية محلية تحت اسم "جمعية الإصلاح"، هذه الجمعية التي انبثقت عنها بعد سنة واحدة فقط مدرسة حرة تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد أخذت هذه المدرسة الاسم نفسه وهو: "مدرسة الإصلاح"، ليؤسسوا بعد خمس سنوات شعبة محلية تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

فكانت المدرسة "مدرسة الإصلاح" الصرح العلمي البارز الذي تخرج من رحابه

رجال أفذاذ خدموا وطنهم، كل في مجاله وتخصصه. وقد تعاقبت على هذه المدرسة العريقة أسماء لامعة من الأساتذة والمدرسين تركت بصماتها على المستوى المحلي أولاً ثم على المستوى الوطني.

وبحثنا هذا يسلط الضوء أولاً على تلك الجهود الإصلاحية التي بذلها رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حاضرة دلس، ثم ثانياً إبراز أهم الآثار التي خلفتها هذه الجهود المباركة التي استمرت إلى أواخر الخمسينيات من القرن الماضي.

مُدْخُل:

كانت الغاية من تأسيس المدارس الحرة في الجزائر بداية الثلاثينيات من القرن الماضي تحسين الوضع الفكري للأمة والمساهمة في ترقيتها الأخلاقية والاجتماعية^(١)، وذلك بعد أن تبين رواد الإصلاح الصورة المأساوية التي آلت إليها عقول الناس جراء التجهيل الممنهج الذي كانت تمارسه فرنسا الاستعمارية على أبناء الجزائر، والتدني الأخلاقي الناتج عن هذا التجهيل، وقد بلغ تخوفهم من هذا الوضع مبلغاً عظيماً، حيث أيقنوا بأنهم مشرفون على الهوة، وأنهم إن لم يتداركوا الوضع فإنهم سيصيرون بعد خمسين سنة أثراً بعد عين.

وقد نقلت جريدة الشهاب لعام 1930م التصريح بهذا التخوف المشروع، حيث جاء فيها: "ومهما كان الأمر سواء وجدنا من ننشدهم أو أخفقنا، وسواء وفقنا أو خذلنا فإننا قد قلنا كلمتنا الأخيرة وهي أننا مشرفون على الهوة، وإذا لم نتدارك الأمر فإننا سنعود بعد خمسين سنة أثراً بعد عين"^(٢).

وسبب هذا التخوف كان بادياً لكل من كان له عقل، لا ينكره إلا جاهل بالواقع أو جاحد للحق، فقال رجال الجمعية في شأنه: "إن الأرقام الحاضرة تدل على أن البلاد لم تخط في هذا المدى المديد خطوة جديدة تبعث على الارتياح؛ لأن معدل عدد المتعلمين سواء التعليم الفرنسي الابتدائي أو الثانوي أو العالي لا يربو على اثنين في المائة؛ وذلك لفقر البلاد من المدارس الكافية، وجمهرة المتعلمين طبعاً من

1 انظر: علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925م إلى 1940م، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة (ص 416).

2 جريدة الشهاب، فيفري 1930، ص 41.

أبناء القرى والواحات والأطراف البادية^(١).

وكان الحل الذي يزيل هذا التخوف، والمخرج الذي يغير واقع الأمة من حال إلى حال، والسبيل الذي يخرجها من المستنقع الذي هي فيه، والعلاج الذي يزيل عنها الشلل، يكمن عند رجال الجمعية في وسيلتين اثنتين لا ثالث لهما: "إحداهما: قيام المستنيرين المسلحين بالإيمان الصادق والوطنية الصحيحة لتأسيس جمعية عامة، أو على الأقل تأسيس جمعية في كل عمالة من العمالات الثلاث، فيدعمون تلك الجمعية أو الجمعيات ببرنامج محكم يتناول في طالعة مواد وجوب تأسيس المدارس الابتدائية في البلدان والقرى لتعميم التعليم الابتدائي الحر الفرنسي والعربي، 2 - وانتداب المعلمين الكفاة من أبناء الجزائر المشهود لهم بالبراعة، الذين بأيديهم الشهادات التي حازوها من المعاهد العلمية كالأزهر والزيتونة"^(٢).

وبناء على هذا قامت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بإنشاء المدارس الحرة في كل ربوع الوطن على حسب ما سمحت به السلطات الاستعمارية طبعاً، وقد كان من سمات التعليم الحر أنه يهتم بالناشئة خصوصاً، أو ما يسمى بالتعليم الابتدائي؛ لأنه هو القاعدة والأساس، فكان هذا التعليم مقسماً على ثلاثة مراحل: الأولى تحضيرية سنتان، والثانية القسم الابتدائي سنتان، ثم القسم المتوسط سنتان^(٣)، أما التعليم الثانوي فلم يكن يحظى به إلا بعض النجباء المتميزين^(٤).

فكانت حاضرة دلس من الحواضر السباقة إلى احتضان منهج التعليم الحر الذي انتهجته جمعية العلماء المسلمين وأرست قواعده؛ وذلك من خلال فتح مدرسة الإصلاح المعروفة بمدرسة سيدي عمار التي دامت عقدين ونصف من الزمن، وتخرج من رحابها رجال كان لهم شأن في بناء الجزائر.

أولاً- عوامل النشأة والتأسيس:

إن سبق مدينة دلس إلى تأسيس جمعية الإصلاح الدينية سنة 1931م في مرحلة مبكرة جداً ثم تأسيس مدرسة الإصلاح - مدرسة سيدي عمار كمدرسة

1 جريدة الشهاب، فيفري 1930، ص 37.

2 جريدة الشهاب، فيفري 1930، ص 38-39.

3 تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، المؤسسة الوطنية للكتاب 1975م، (ص 276).

4 انظر: علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (ص 418).

حرة تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1932م التي تعد من أولى المدارس الحرة التي أنشأتها الجمعية على مستوى القطر الوطني ثم تأسيس شعبة محلية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1937م لم يأت هكذا بمحض الصدفة أو قام من فراغ، فهذا السبق له أسراره الواقعية التي أثمرت هذه الثمرات الدينية والفكرية والإصلاحية في زمن مجذب وبيئة مقفرة، ولعل أهم سر في ذلك كله يرتبط ارتباطا وثيقا بشخصية بارزة جدا لعبت الدور الأساس في هذه الحركة الدينية العلمية والثورة الفكرية الإصلاحية في حاضرة دلس، هذه الشخصية متمثلة في شخص السيد: محمد الطيب بن ناصر، المشرف الأول على هذه النشاطات الكبرى والقلب النابض لها.

فالسيد محمد الطيب بن ناصر لعب دورا هاما وفعالا في كل ما له علاقة بالنشاط العلمي والفكري في حاضرة دلس، وهذا منذ بداية الثلاثينات، بل كان المشرف الأول على تلك الحركة المباركة والحاضن لها.

وللعلم فإن السيد محمد الطيب بن ناصر المولود بـتيزي وزوسنة 1894م لم يكن عالما من العلماء الأجلاء ولا شيخا من المشايخ الفضلاء وإنما كان تاجرا بسيطا من عوام الناس^١، إلا أنه كان في حقيقة الأمر رجلا واعيا حسيفا متشبعا بالفكر التربوي الإصلاحي، حاملا هم الدعوة إلى الله، ينشد تربية الفرد المسلم تربية دينية وروحانية صحيحة، أساسها العلم والمعرفة.

والذي أهل السيد محمد الطيب بن ناصر ليضطلع بمثل هذه المهمة العظيمة في ذلك الزمن العصيب الذي تضافرت فيه قوى المستعمر الغاشم عاملان اثنان أساسيان وهما:

العامل الأول: انتماؤه لأسرة علمية عريقة ومعروفة، لها باعها الواسع وصيتها البعيد، فأبوه هو الشيخ الفقيه محمد أرزقي بن ناصر الماكودي مفتي المالكية بالجزائر المحروسة ما بين 1914 و1925، ولا شك في أن هذا الابن قد احتك بوالده المفتي كثيرا وتشرب بفكره وانتهج منهجه.

فمحمد الطيب بن ناصر لازم والده المفتي ملازمة شديدة، وقطع معه مشواره كاملا حتى انتقل الشيخ المفتي من دار الفناء إلى دار البقاء عام 1925م، علما أن مسيرة الوالد المفتي قد قاربت الأربعين سنة، بداية من الإمامة بتيزي وزو ثم الإفتاء

1 كانت وفاته سنة 1965م ودفن بقبرة رأس الطرف بمدينة دلس.
2 كان محله التجاري في العاصمة بشارع الإخوة بليلي، (القديس أوكستين سابقا).

ببلدة القليعة ثم الإفتاء ببدة دلس وأخيرا مفتيا للسادة المالكية بالجزائر العاصمة، ومحمد الطيب الذي ولد بتيزي وزو كان مع والده في كل تنقلاته. لذا أثمرت هذه الملازمة الشديدة كل هذا الحرص على نشر الفكر الإصلاحي التربوي على الأقل على مستوى بلدة دلس، وذلك ما تحقق فعلا على أرض الواقع.

العامل الثاني: علاقة السيد محمد الطيب بن ناصر الوطيدة بمشايخ المدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة وأساتذتها المعروفين آنذاك، فمدرّس الفقه بها قبل والده هو زوج عمته الشيخ الفقيه محمد السعيد بن زكري الزواوي، هذا الأخير الذي شغل منصب مفتي المالكية قبل أن يخلفه صهره الشيخ محمد أرزقي بن ناصر، وقد تأثر الشيخ محمد السعيد بن زكري بالفكر الإصلاحي للفقيه الأكبر مجدد العصر الإمام محمد عبده⁽¹⁾، فتبنى منهجه وسلك مسلكه، ولا أدل على ذلك من الكتاب الذي ألفه آخر حياته المعنون له ب: "أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا في بلاد القبائل"، فصار الفكر الإصلاحي من أبرز سمات عائلة ابن زكري، والسيد محمد الطيب بن ناصر من أقرب المقربين من العائلة بحكم علاقة المصاهرة التي بينهم.

ولعل أبرز حلقة في هذه السلسلة هي علاقة السيد محمد الطيب بن ناصر بالشيخ الأستاذ أحمد بن زكري ابن المفتي محمد السعيد بن زكري، وبتعبير أدق علاقة ابن المفتي الأول بابن المفتي الثاني، حيث أن الشيخ أحمد بن زكري ابن المفتي محمد السعيد بن زكري كان هو الآخر من الأسماء العلمية المعروفة، فقد اشتغل بالتدريس في المدرسة الثعالبية بالعاصمة، ثم صار مديرا لها إلى غاية سنة 1956م، ثم مديرا للمدرسة الفرنسية الإسلامية (franco.musulman) بين عكنون، التي صارت بعد الاستقلال تعرف ب: ثانوية عمارة رشيد.

فاحتكاك السيد محمد الطيب بن ناصر بابن عمته الشيخ أحمد بن زكري ومصاحبته الشديدة له وتواصله الدائم معه كل ذلك جعله يتأثر تأثيرا شديدا بالفكر الإصلاحي ويتسم بسماته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى مكنه هذا الاحتكاك من ربط علاقات وطيدة بطبقة معتبرة من المشايخ والفقهاء الذين كانوا على علاقة بالمدرسة الثعالبية أو بعائلة المفتي محمد السعيد بن زكري أو بعائلة المفتي محمد أرزقي بن ناصر، فاستغل السيد محمد الطيب كل هذه العلاقات والمعارف ليوظفها في خدمة مدينته دلس التي كان أهلها يكونون له

1 انظر: علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (ص38).

كل التقدير والاحترام¹، فلم يدخر جهده في نقل الفكر الإصلاحي من الجزائر العاصمة إلى مدينة دلس التي تعلق بها وإن لم يكن من أهلها².

ثانياً - مراحل العمل الإصلاحي في حاضرة دلس:

مر العمل الإصلاحي في حاضرة دلس بثلاثة مراحل أساسية، الأولى منها تأسيس جمعية دينية محلية باسم "جمعية الإصلاح"، والثانية فتح مدرسة حرة تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت اسم "مدرسة الإصلاح" والتي عرفت بمدرسة "سيدي عمار"، أما الثالثة فتأسس شعباً محلياً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

1- جمعية الإصلاح:

إن العمل الفكري والإصلاحي بحاضرة دلس كان منطلقه من جمعية الإصلاح³، التي تعد اللبنة الأولى لكل الجهود التي أتت فيما بعد.

تأسست هذه الجمعية في 20 نوفمبر سنة 1931م. وهي جمعية دينية ذات طابع محلي⁴، ويعد تأسيسها في تلك الفترة المتقدمة سبقاً في منطقة القبائل كلها، وقد كان للسيد محمد الطيب بن ناصر الدور الكبير في تأسيسها والإشراف عليها. ولكن عملها فيما بعد تعلق معظمه بالمدرسة الحرة التي أنشئت بعد سنة.

2 - مدرسة الإصلاح:

تعد مدرسة الإصلاح التابعة لجمعية العلماء المسلمين بحاضرة دلس ثمرة من ثمرات جمعية الإصلاح الدينية التي تأسست سنة 1931م، وهذا يوحي بأن القائمين

1 قال عنه السيد محمد السعيد معزوزي الذي شغل منصب وزير المجاهدين في حكومة الرئيس الراحل هواري بومدين في مذكراته: « كان رجلاً يحتل مكانة راقية شكل مثلاً اقتديت به في حياتي». عايشت الحلو والم، مذكرات محمد سعيد معزوزي، قام بتسجيلها لحسن موساوي، دار القصبية للنشر، سنة 2015م، (ص70).

2 فأصل عائلة بن ناصر من بلدة مأكودة بتيزي وزو، ولكن العائلة استقرت بمدينة دلس سنة 1902م بعد أن عين الشيخ محمد أرزقي بن ناصر مفتياً بها، ولا تزال بها إلى اليوم.

3 أطلق عليها اسم « جمعية الإصلاح » نسبة إلى الجامع الكبير الذي كان يسمى بهذا الاسم أيضاً أي « جامع الإصلاح ».

4 التحديث وإعادة الأقدلة من خلال الحقلين الجمعي والسياسي (منطقة القبائل نموذجاً). محمد براهيم صالح، ترجمة محمد غانم، مجلة إنسانيات، عدد 8، 1999م.

على جمعية الإصلاح الدينية كانوا على قدر من الفطنة والمسؤولية، حيث مهدوا لتأسيس المدرسة الحرة وأوجدوا لها الغطاء القانوني الذي يسمح بمزاولة مثل هذا النشاط الفكري والإصلاحي الذي ما كانت ترضى به السلطات الفرنسية إلا مكرهة.

وأول خطوة قامت بها جمعية الإصلاح بعد أن هيات كل الظروف اللازمة التي تحتاجها المدرسة الحرة الإعلان عن حاجتها لمن يتولى إدارة هذه المدرسة الفتية، فنشرت إعلانا بجريدة البلاغ سنة 1932م، واتصلت في الوقت ذاته بالشيخ الطيب العقبي تلتمس منه إيجاد الرجل المناسب الذي تتوفر فيه الكفاءة لتولي مثل هذه المسؤولية، فلم يتأخر الشيخ في التواصل مع الأستاذ حمزة بوكوشة الذي كان قد أبدى رغبته بعد اطلاعه على الإعلان المنشور في الجريدة، فحصل الاتفاق بين الطرفين وانطلق العمل التربوي الإصلاحي بحاضرة دلس في شهر أفريل من سنة 1932م⁽¹⁾.

فكان افتتاح هذه المدرسة الحرة بحاضرة دلس سنة 1932م حدثا تاريخيا هاما ومناسبة عظيمة بلغ صداها الآفاق، وقد نشط حفل الافتتاح هذا عمالقة البيان وفرسان الخطابة في تلك الفترة، أولهم الشيخ حمزة بوكوشة⁽²⁾ (شئوف) المكلف بالتدريس في هذه المدرسة، ثم أعقبه شاعر الشباب وفارس البيان محمد العيد آل خليفة الذي لم يفوت الفرصة ليزين المجلس بأبيات شعرية عميقة المعنى جميلة المبنى يمجّد من خلالها هذه المناسبة، فقال فيها⁽³⁾:

هنيئا لها غرس زكى ومغرس
حياة ربت وازينت منه أنفس
فللنشء كتاب وللشيب مجلس
هاديته منهم قلوب ورؤوس
تخط على أوضاعه وتؤسس

تباهت بغرس العلم في النشء دلس
وحي ربيع العلم بين ربوعها
أقامت على الإصلاح للعلم دولة
يدعو إلى القرآن فيهم وأشربت
وما أمة القرآن حقا سوى التي

1 سهيل شئوف، ما رأيت وما رويت، الجزائر 2012م، (ص 57).

2 بوكوشة أو بوكوشة هو الجد الثالث للشيخ حمزة.

3 جريدة المرصاد، عدد 13، 15 ماي 1932م.

هنيئاً لكم أبناء دلس نهضة
بذرتم فعموا البذر بالسقي وامنعوا
ولا تتركوا الأهواء تهوى ببيتكم
تفرست في «الإصلاح» إصلاح حالكم
ولا زلتم للدرس والعلم أيديا
مباركة وسعي مقدس
حماه فرب الزرع للزرع أحرس
ففي نبتكم رزق من الزرع أنفس
بحق وفيكم ينجح المتفرس
تعبت وليست بالدعابة تأنس

ليختتم الحفل البهيج بنفحة من نفحات البيان ولفتة من لفتات التأويل، من لقاء العالم الرياني الشيخ الطيب العقبي الذي فسّر للحضور قول الله تعالى في سورة العلق: ((اقرأ باسم ربك الذي خلق))، فكان درسه الممتع قوة دافعة للبذل بلا كلل وحافزا معيناً على العطاء بلا ملل^١.

وكان نشاط هذه المدرسة الحرة يرتكز على تدريس علوم الشرع من عقيدة وتفسير وحديث وفقه وأصول وكذا علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وإنشاء وغيرها من الفنون^٢.

وقد ذكر الشيخ حمزة بوكوشة جدول أعماله في المدرسة فقال: " شرعت أعلم فيها وأبتدئ التعليم من الساعة السادسة صباحاً إلى السابعة ونصف للتلاميذ الذين يقرأون بالمكتب الفرنسي، ومن الرابعة والنصف إلى السادسة. ومن الثامنة إلى الحادية عشر أدرس البنات، وكذلك من الثانية إلى الرابعة؛ لأن أهل دلس آنذاك لا يسمحون لبناتهم بتعلم الفرنسية... وبعد صلاة المغرب درس بالمسجد في التفسير، وقد ختمت في تلك السنوات التي قضيتها هنالك تفسير الربع الأول من القرآن. وبعد صلاة العشاء أقوم بدرس للكبار في تعليم القراءة والكتابة، ودرس آخر لبعض خواص الطلبة، ولا أستريح إلا بعد العاشرة ليلاً"^٣.

ومنه فإن برنامج المدرسة كان ثريا بمواده العلمية المختلفة التي تدرّس

1 مدح الشيخ حمزة بوكوشة الشيخ الطيب العقبي خلال زيارته لمدينة دلس في أبيات طويلة نشرت في جريدة الوزير التونسية، عدد 422، 22 أوت 1935 م. وقد قال في مطلعها:

يا بلبل الشرق ما أشجأك أشجاني... قم ناج قلبي بتغريد واحنان
فإن مثلي كئيب حل في شرك... وأنت مثلي غريب بين أوطان
لولا فروض علينا العلم يفرضها... ما كنت القالك أو ما كنت تلقاني

2 انظر: جريدة البصائر، عدد 47، 11 ديسمبر 1936 م، ص 5.

3 انظر: سهيل شنوف، ما رأيت وما رويت (ص 58).

للطلبة، كما كان يضم الدروس المسجدية التي تلقى بالمسجد الكبير بالمدينة، حتى يستفيد من العلم أكبر شريحة من المجتمع.

وتجدر الإشارة إلى أن حاضرة دلس كانت هي الأخرى سباقةً إلى تعليم البنات، حيث ضمت إلى صفوف مدرستها الحرة مجموعات من بنات المنطقة يتعلمن مبادئ اللغة العربية ويحفظن القرآن، على الرغم من اعتراض بعض السكان، وقد قال في هذا الشيخ حمزة بوكوشة: " وحتى تعليمهم البنات العربية بمدرسة حرة لقي مقاومة كبرى من الرجعيين... وقد كنت في القسم الواحد أفزق بين البنين والبنات، كل منهم في ناحية"^(١).

ولم يقتصر نشاط المدرسة على المجال التعليمي فقط وإنما كان يشمل المجال الثقافي أيضا، حيث كان القائمون على مدرسة الإصلاح يستغلون المناسبات الدينية المختلفة كليلة القدر من شهر رمضان أو ليلة المولد فيقومون بنشاطات هادفة من مسرحيات وتمثليات وغيرها، يشارك فيها أبناء المدرسة من بنين وبنات^(٢). وقد ساهمت هذه الأنشطة في استقطاب عدد معتبر من الطلبة فاق عددهم المائتين، مما اضطر القائمين على المدرسة فتح مرفقين جديدين إضافة إلى مدرسة سيدي عمار وهما جامع بن صابر وجامع سيدي يحيى^(٣).

وتواصل نشاط هذه المدرسة المباركة على مدار أربع وعشرين سنة إلى أن أوقفتها السلطات الفرنسية بعد أن ضاقت بها ذرعا وتأكدت من نشاطها السياسي غير المعلن، تلى ذلك القبض على الشيخ أحمد بن حميدة مدير المدرسة وأشهر أساتذتها.

فمسيرة هذه المدرسة الحرة استمرت من شهر أفريل سنة 1932م إلى نهاية سنة 1956م أو بداية سنة 1957م.

وقد نجحت مدرسة الإصلاح في ربط أبناء دلس بلغتهم ودينهم وغرست فيهم روح الوطنية والانتماء^(٤) إضافة إلى إرسال عدد من طلبتها إلى العاصمة والحقاهم

1 المرجع نفسه (ص58).

2 المرجع نفسه (ص58).

3 محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر، دار الأمة، 1999م، (2/149).

4 مقران يسلي، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل، دار الأمل، تيزي وزو، طبعة 2012م، (ص206).

بالمدرسة الفرنسية الإسلامية (الثعالبية) أو بثانوية Bugeaud (ثانوية الأمير عبد القادر حاليا) ، وقد التحق معظم هؤلاء الطلبة بالثورة المضفرة، منهم من استشهد في ساحات الوغى ومنهم من أطال الله أعمارهم وعاشوا الاستقلال.

3- شعبة دلس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

بعد القبول الحسن الذي حظيت به مدرسة الإصلاح بحاضرة دلس والنشاط الفكري والإصلاحي الذي بدأ يعطي نتائجه أبى بعض الأعيان إلا أن يؤسسوا فرعا محليا عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد وفقوا لذلك، فأسسوا شعبة دلس سنة 1356هـ الموافق 1937م. وكان سلمها الإداري كما يأتي:

الرئيس	الكاتب	أمين المال	الأعضاء
الطيب بن ناصر	عمر زعموم	أحمد كريوش	الشريف عبد العزيز محمد طرابزي الصغير عمورة مصطفى صواق محمد السعيد حراث مصطفى بن الخطيب

ثالثا - أبرز مشايخ مدرسة الإصلاح:

نظرا للأهمية البالغة التي اكتسبتها مدرسة الإصلاح الحرة بحاضرة دلس ارتأى المشرفون على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن يختاروا لها أبرز الشخصيات العلمية التي لها الكفاءة اللازمة لغرس بذور الفكر والإصلاح ورعاية نباته حتى يزهر ويثمر، فكان من أبرز المدرسين المتعاقبين على هذه المدرسة الأسماء الآتية:

1- الشيخ حمزة بوكوشة (شونوف) 1932-1936:

1 تجدر الإشارة هنا إلى أن هناك معلومة مغلوطة نقلها بعض المؤرخين تفيد بأن مدرسة الإصلاح نجحت في إرسال بعثتين علميتين، الأولى إلى الزيتونة والثانية إلى قسنطينة، والحقيقة أن هناك خلط بين مدرسة الإصلاح بدلس ومدرسة الإصلاح ببجاية، فهذه الأخيرة هي من أفلحت في إرسال البعثتين المذكورتين.

هو الشيخ حمزة شنوف المعروف بحمزة بوكوشة، من مواليد 1907م بمنطقة وادي سوف، انتقل رفقة والده إلى بسكرة، وبها أخذ قسطا من مبادئ الفقه واللغة، فلما بلغ السابعة عشر من عمره التحق بجامع الزيتونة ليتخرج منه بعد سنوات من الطلب بشهادة التطويع سنة 1930م.

احتك الشيخ في بداياته بالشيخ الطيب العقبي، قبل أن يستدعى لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكان من أهم الأعضاء المؤسسين، وأبرز العناصر العاملين، بعدها أوفده الإمام ابن باديس شهر أفريل من سنة 1932م إلى مدينة دلس ليكون على رأس المدرسة الحرة التي أنشئت هناك، والتي أطلق عليها اسم "مدرسة الإصلاح".

وقد أبرم العقد بالجزائر العاصمة بين الشيخ حمزة بوكوشة ووفد مدينة دلس الذي ضم كل من السيد محمد الطيب بن ناصر رئيس الجمعية الدينية والشيخ الفقيه محمد الصغير بوحوش المعروف بسي موح الصغير الزغوي مؤذن الجامع الكبير بمحضر الشيخ الطيب العقبي الذي كان الواسطة بينهم، ونص الاتفاق على أن يتقاضى الشيخ حمزة بوكوشة مبلغ سبع مائة فرنك للشهر ابتداء من شهر أفريل.

استمر الشيخ على رأس هذه المدرسة إلى نهاية شهر سبتمبر سنة 1955م، وهو التاريخ الذي غادر فيه دلس إلى مدينة تيزي وزو ليكمل مشوار الإصلاح هناك بأرض زاوية، ولكنه منع من التدريس بها فتركها مرغما ليلتحق بالجامع الأخضر للتدريس بجانب الشيخ عبد الحميد بن باديس، وبعدها بسنة تقريبا أي في سنة 1937م انتدب إلى وهران ليشرف على إدارة جريدة المغرب العربي، ثم رجع في السنة التي بعدها أي في سنة 1938م إلى قسنطينة للتدريس رفقة الشيخ ابن باديس مرة أخرى، ثم عين بمجلس إدارة الجمعية، ثم معتمدا للجمعية بمدينة ليون بفرنسا.

وفي سنة 1944م أسندت إليه نيابة الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين، ثم عين سنة 1947م ضمن لجنة تحرير جريدة البصائر ومراقبا عاما للجمعية، ثم يعود إلى التدريس مرة أخرى سنة 1956م ولكنه اعتقل فيمن اعتقل عام 1957م.

عين الشيخ حمزة بوكوشة بعد الاستقلال متصرفا مدنيا بوزارة الأوقاف، ثم أستاذًا بثانوية عقبة سنة 1964م، ثم مستشارا بالمجلس الإسلامي الأعلى.

سنة 1967م عاد الشيخ إلى مجال الطلب فدرس الحقوق ليتخرج بشهادة

الليسانس 1971م بعد أن تقاعد من التعليم، فعين سنة 1972م عضوا مستشارا بالغرفة المدنية بمجلس القضاء الأعلى، وفي أواخر السبعينات تفرغ لمهنة المحاماة في باب الأحوال الشخصية، واستمر على هذا العمل إلى سنة 1990م، وهو تاريخ توقفه عن العمل الرسمي ليتفرغ للعلم طلبا وكتابة.

وقد كان الشيخ شاعرا موهوبا، لا يفتقر عن التقريض ولا يغفل عن النشر، وكثر عطاؤه لما كان مدرسا في مدرسة الإصلاح ما بين 1932م و1936م، فقد نشر عددا لا بأس به من القصائد في هذه الفترة، خاصة في جريدة البصائر، وفي جريدة الوزير التونسية، وفي مجلة الليالي، وغيرها¹.

توفي الشيخ حمزة عليه رحمة الله يوم 16 نوفمبر 1994م².

2- الشيخ الهادي الزروقي الزواوي 1942م-1943م:

وهو أحد أبناء العائلة الزروقية، ومن أشهر رواد الفكر والإصلاح بالجزائر. ولد بعرش آث وغليس التابعة لبجاية عام 1892م، أخذ العلم في بداية الطلب بزوايا الزواوة حيث حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ شتى في علم الفقه واللغة، ثم سافر سنة 1920م إلى تونس ليكمل دراسته بجامع الزيتونة، فنال شهادة التطويح سنة 1925م.

عاد الشيخ إلى مسقط رأسه لنشر العلم في زاوية جده ولكنه لقي معارضة شديدة من قبل بعض الأعيان بسبب طريقته المعتمدة في التدريس المخالفة لبعض عادات أهل المنطقة، فاتصل بالإمام ابن باديس والتحق بركب الإصلاح.

1 كان تارة ينشر باسمه الحقيقي وتارة باسم فتى وادي سوف وتارة أخرى باسم سهيل.
2 انظر: من خواطر الصبا والشباب والكهولة والمشيب (ص21)، سهيل شنوف، الطبعة الأولى، الجزائر، 2012.

وجد الشيخ الهادي الزروقي ضالته في مدينة بجاية المتعطشة للعلم والدعوة، فأسس بها شعبة لجمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، ثم مدرسة الإصلاح التي استطاعت أن ترسل بعثتين طلابيتين الأولى إلى قسنطينة والثانية إلى الزيتونة بتونس، ولكن السلطات الفرنسية كادت له كل الكيد حتى صرفته عن المدينة¹، حيث انتقل إلى مدينة دلس أواخر سنة 1942م فعمل بمدرستها الحرة لأكثر من سنة، إلا أن السلطات الحاكمة عليه في بجاية تتبعته وأرغمته على الخروج من دلس أيضا².

انتقل الشيخ من مدينة دلس إلى مدينة الجزائر العاصمة فأسس مدرسة مستقبل الشباب بحسين داي، وفي سنة 1955م عاد إلى مدينة بجاية وأسس مدرسة أخرى تحت تسمية مدرسة الخلدونية³ ولكنه اضطر إلى ترك المدينة والعودة إلى العاصمة بعد المضايقات الشديدة التي لقيها من قبل الاستعمار الفرنسي، فعاد إلى الجزائر مجددا وأسس مدرسة جديدة ببوزريعة أعالي العاصمة ودرس فيها إلى آخر حياته.

كانت وفاته بمدينة حسين داي بالجزائر العاصمة في 21 أوت سنة 1959م، ودفن بمقبرة العالية.

3 - الشيخ أحمد بن حميدة الرغويي 1946-1957 :

كان مولده يوم 18 جانفي سنة 1916م، بالعاصمة ببيت جده من أمه الشيخ محمد أرزقي بن ناصر مفتي المالكية بالجامع الكبير بالعاصمة، ليحمل بعد مولده إلى بيته بتيزغوين أرض الطفولة، فحفظ بها القرآن الكريم ولم يتجاوز عمره الثانية عشر على يد الشيخين عمر شيخ أو يوسي امحمد مرياح وكلاهما من قرية تالاترست.

انتقل إلى مدينة دلس عند خاله السيد محمد الطيب بن ناصر المدعو ابن المفتي، فكانت له فرصة أخرى ليتوسع في مداركه ويتعمق في معارفه، فختم القرآن أيضا مرتين كاملتين على يد الشيخ الوناس عبدون، كما أخذ عليه

1 محمد أرزقي فراد، بلاد زواوة من خلال نصوص الحركة الإصلاحية، دار الأمة، 2015م، ص26.

2 محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر (2/216).

3 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، طبعة خاصة - 2007 م، دار البصائر للنشر والتوزيع - الجزائر، (3/201).

مبادئ اللغة العربية من نحو وصرف وغيرها، وشيئا من متني ابن آجر ومو ابن عاشر، كما حفظ نصيبا من ألفية ابن مالك، وفي الوقت ذاته كان يتابع دراسته الابتدائية بمدرسة الذكور الفرنسية حيث أخذ منها شهادته الابتدائية.

التحق الشيخ أحمد بمدرسة الإصلاح التابعة لجمعية العلماء المسلمين فور تأسيسها، فكان بذلك من التلاميذ الأوائل للشيخ المصلح حمزة بوكوشة، حيث لازمه إلى سنة 1934م، بعدها انتقل الشيخ أحمد إلى المسجد الأخضر بقسنطينة أين تلقى دروسه على يد الشيخ المصلح عبد الحميد بن باديس عليه رحمة الله.

ومن قسنطينة شد رحاله إلى تونس، حيث التحق بجامعة الزيتونة في السنة الدراسية 1936-1937، تحت رقم 19547، وقد رسم في بداية التحاقه بالسنة الثالثة من المرتبة الأخيرة، وبعد أن تدرج في دراسته تحصل على شهادة الأهلية خلال دورة 1939⁽¹⁾.

وهناك تعزف على رفقاء دربه من رجال الإصلاح كالشيخ أحمد حماني والشيخ عبد الرحمن شيبان عليهما رحمة الله.

وبعد عودته إلى أرض الوطن جندته فرنسا الاستعمارية أثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد انتهاء خدمته التحق بمدرسة الإصلاح "سيدي عمار" بمدينة دلس، بعد أن كلف بالتدريس فيها وتربية الناشئة، فدرّس فيها لمدة تزيد عن العشر سنوات من سنة 1946م إلى بداية 1957 تقريبا.

وفي شهر مارس من عام 1956م انخرط الشيخ في صفوف جبهة التحرير الوطني، وأسندت إليه مهمة القضاء الشرعي تحت مسؤولية المحافظ السياسي بالقطاع الأول (المنطقة الرابعة الناحية الثالثة من الولاية الثالثة).

وقد ألقى عليه القبض في مارس 1957م وسجن أشهرا عدة بالسجن المدني بتيزي وزو ثم بثكنة رونو بدلس، ذاق خلال فترة الاحتجاز ألوانا من القهر والتعذيب، وأطلق سراحه أواخر سنة 1958م، وفرضت عليه الإقامة الجبرية لمدة أربعة أشهر ومنع من مزاولة التدريس بمدرسة الإصلاح.

بعد الاستقلال وفي منتصف الستينات انتقل إلى الأبيار بالجزائر العاصمة، أين عمل أستاذا بثانوية عمارة رشيد، فمفتشا و بعدها مديرا فرعيا بمديرية معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس، د. خير الدين شتر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الطبعة الأولى، الجزائر، 2015، (248/3).

التربية بالجزائر العاصمة إلى غاية تقاعده سنة 1987م.

توفي عليه رحمة الله يوم 30 مارس سنة 2004 عن عمر بلغ 88 عاما، ودفن بقريته تيزغوين ببلدية دلس، وذلك بطلب منه عليه رحمة الله.

خاتمة:

فهذه نبذة تاريخية تنيط اللثام عن أهم أسرار سبق حاضرة دلس إلى احتضان الفكر الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بداية الثلاثينيات، وتسلط الضوء على شخصية بارزة كان لها الدور الأكبر والفعال في بث هذا النشاط التربوي وتهيئة الظروف المناسبة التي تسمح بمزاولة مختلف التظاهرات الثقافية الهادفة. كما تبرز حجم الجهود المباركة التي بذلتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بحاضرة دلس، ما بين سنة 1932م و1956م، وعلى مدى أربع وعشرين سنة كاملة من العطاء التربوي والفكري، هذه الجهود التي استفاد منها عدد معتبر من أبناء دلس يصعب اليوم حصرهم، سواء من الطلبة المنتمين إلى المدرسة الحرة "سيدي عمار" أو من عوام الناس الذين كانوا يستفيدون من الدروس المسجدية التي يلقيها مدرسو المدرسة الحرة بالجامع الكبير وسط المدينة.

المصادر والمراجع:

- 1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 م.
- 2- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1975.
- 3- جريدة الشهاب
- 4- جريدة المرصاد.
- 5- خير الدين شترة، معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس، ط 1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015.

- 6- سهيل شنوف، مارأيت ومارويت، الطبعة الأولى، الجزائر، 2012م.
- 7- سهيل شنوف، من خواطر الصبا والشباب والكهولة والمشيب، الطبعة الأولى، 2012، الجزائر.
- 8- علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925م إلى 1940م، ترجمة محمد يحياتن، دارالحكمة.
- 9- محمد أرقزي فراد، بلاد زواوة من خلال نصوص الحركة الإصلاحية، دار الأمة، 2015م.
- 10- محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر، دار الأمة، 1999م.
- 11- محمد السعيد معزوزي، عايشة الحلو والمر، دار القصبية للنشر، الجزائر، سنة 2015م.
- 12- محمد براهيم صالح، التحديث وإعادة الأقدلة من خلال الحقلين الجمعوي والسياسي (منطقة القبائل نموذجاً)، ترجمة محمد غانم، مجلة إنسانيات، عدد 8، 1999م.
- 13- مقران يسلي، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل، دار الأمل، تيزي وزو، طبعة 2012م.

رموز النخبة الثورية والإصلاحية في بومرداس وأحوازها

أ.د. عبدالله مقلاتي - جامعة المسيلة

عناصر المقال:

- _ مقدمة
- _ أولاً: رموز النخبة الثورية:
- بن حميدة عبد الرحمان

- بوسحاقي علي
 - بوشبوية رمضان (منصور)
 - بوضربة أحمد
 - دوم أحمد (رضا)
 - زعموم محمد (سي صالح)
 - زهوان حسين
 - عمارة رشيد
 - محساس أحمد (علي)
 - هاشمي حمود (جلول)
 - بوداود عمر
 - بوداود محمد
 - محمد عبدون
- ثانيا: رموز النخبة الوطنية: أحمد حسين

مقدمة:

اشتهرت بومرداس وحواضرها بالعلم والثقافة عبر العصور، وخاصة خلال الفترة الإسلامية والحديثة، وخلال الفترة المعاصرة ومع ظهور نشاط جمعية العلماء عرفت حواضرها بمساهمة شيوخها الفعالة في نشاط الإصلاح والتربية، وبرز فيها عدد من طلاب العلم الذين شاركوا بفعالية في العمل النضالي والثوري، كما كانت بومرداس وأحوازها منطقة استراتيجية في نشاط الحركة الوطنية الثورية، وذلك بفضل موقعها ورجالها الذين أسسوا حركة وطنية قوية ومتجذرة، ظهرت نتائجها خلال الثورة التحريرية، ومنهم أحمد محساس ورمضان بوشبوية

والهاشمي حمود... الخ، وفي هذه المداخلة نحاول التعريف ببعض الفاعلين في مسار الحركة الوطنية والإصلاحية، ودورهم في الثورة التحريرية، معتمدين على ما توافر لدينا من مصادر أرشيفية وشهادات، وسوف نتناول أولا بعض أعلام الحركة الإصلاحية التربوية ثم رموز الحركة الثورية.

أولا: رموز النخبة الثورية:

خلال مسيرة الحركة الوطنية برزت في بومرداس عديد الشخصيات الثورية ومنها:

1- بن حميدة عبد الرحمان

مناضل مثقف، ولد عام 1931 بدلس، أتم دراسته في التعليم الثانوي ودخل معهد الدراسات العليا الإسلامية، التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني وهو طالب عام 1955، عين محافظا سياسيا لمنطقة العاصمة، وكلف بإعداد النشرة الداخلية للمنطقة، اكتشف أمره واعتقل في أكتوبر 1957 وحكم عليه بالإعدام، ولم يطلق سراحه إلى بعد وقف إطلاق النار.

وقد عين في حكومة ابن بلّة الأولى وزيرا للتربية، ونهض بجهود مضمّنية لإنجاح القطاع (١).

2- بوسحافي يحي

من مواليد سنة 1935 بمنطقة الصومعة قرب بودواو، نشأ في أحضان أسرة فلاحية، درس بكتاب القرية والتحق بزاوية بني عمران، عاد الى مسقط رأسه ليساعد والده في أعمال الفلاحة ويقوم بتعليم النشء بمسجد القرية، انضم إلى صفوف حركة الانتصار، د، سنة 1948، وعندما اندلعت الثورة انضم إلى صفوفها وقام بعدة أعمال فدائية، وفي جوان 1955 التحق بجيش التحرير الوطني، وخاض العديد من المعارك والاشتباكات التي أثبت خلالها شجاعته وقدراته العسكرية، عين في سنة 1957 عضوا بقيادة الناحية الأولى من المنطقة الأولى من الولاية الرابعة، وفي جوان 1960 عين مسؤولا عسكريا بالمنطقة الأولى فبذل جهودا كبرى لإنجاح الثورة التحريرية إلى أن استشهد يوم 28 ديسمبر 1960 بقرية السواكرية قرب بلدة مفتاح بالبلدية (٢).

1 عبدالله مقلاتي: قاموس شهداء وابطال الثورة الجزائرية، مكتبة نواصري، الجزائر، 2020، ص73

2 عبدالله مقلاتي: المرجع السابق، ص110

3= بوشبوية رمضان (منصور)

مناضل قديم واحد الرجال التاريخيين الذين حضروا لاندلاع الثورة التحريرية. ولد ببودواو في 8 افريل 1924، وتلقى تعليمه في المدارس الفرنسية انخرط في حزب الشعب مع بداية الحرب العالمية الثانية، تعرض للسجن سنة 1947 وأطلق سراحه بعد أشهر قليلة، وبعدها عين مسؤولا عن دائرة الاخضرية لحركة الانتصار.ح.د. شارك في تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل وساهم في التحضير لاندلاع الثورة التحريرية، في سنة 1956 كلف بالعمل في اتحادية الجبهة بفرنسا، وشارك في تنظيم الفداء بفرنسا، وتقلد عدة مسؤوليات هامة إلى أن أسرفي نوفمبر 1959، ولم يفرج عنه إلا بعد إيقاف القتال. عمل بعد الاستقلال إطارا بوزارة الفلاحة، وانتقل في سنة 1973 للإقامة بفرنسا(1).

4= بوضربة أحمد

المناضل والمجاهد ولد بمنطقة القبائل، ونشأ في عائلة ميسورة الحال، واصل دراسته في الطب بجامعة الجزائر، وخلال مرحلة الدراسة ناضل في صفوف الحركة الطلابية بجامعة الجزائر رفقة الأمين خان ورشيد عمارة، اجري في صيف 1956 اتصالات مع عبان رمضان أفضت إلى وضع منزله تحت تصرف الجبهة بهدف تكوين عدد من الطلبة المتخصصين في الطب والتمريض. وكان بوضربة ضمن الدفعة الأولى التي تكونت على يد التومي وتوزعت عبر مناطق الوطن، التحق بالولاية الثالثة ومارس مهنته بكل إخلاص وتفان، اسر من قبل السلطات الفرنسية وأطلق سراحه بتعهد، فالتحق بتونس سنة 1958 وعمل في وزارة الشؤون الاجتماعية إلى غاية الحصول على الاستقلال أشرف عشية الاستقلال على دخول اللاجئين الجزائريين إلى الوطن عبر الحدود الشرقية. وبعد الاستقلال فضل العودة إلى ممارسة مهمة بعيدا عن النشاط السياسي(2).

5= دوم أحمد (المدعورضا ، حدادو)

مناضل قديم وعضو فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا 1955، انضم إلى حزب الشعب منذ سنة 1945، وهاجر إلى فرنسا في سنة 1950 حيث عمل في السكة الحديدية وواصل نضاله الوطني. عندما اندلعت الثورة التحريرية اتصل

1 محمد عباس: رواد الوطنية، دار هومة للنشر، الجزائر، ص 192-202
2 احمد بوضربة: مذكرات طبيب خلال الثورة، منشورات المركز و د ب ث، الجزائر،

به محمد بوضياف وكسب موقفه لصالح الثورة، فكان له دور أساسي في إرساء نظام فيدرالية جبهة التحرير الوطني، وأصبح عضواً في قيادتها مكلفاً بالمالية 1955-1956. اكتشفت الشرطة الفرنسية نشاطه واعتقلته في أوت 1956، وقضي ما تبقى من سنين الثورة في السجن. بعد الاستقلال شارك في تأسيس حزب الثورة الاشتراكية المعارض^(١).

6 - زعموم محمد (سي صالح)

قائد الولاية الرابعة. ولد في عام 1928 بعين طاية، درس المرحلة الابتدائية وعمل كاتباً في البلدية، دخل النضال السياسي مبكراً في حزب الشعب، كان ينشط في منطقة القبائل تحت إمرة كريم بلقاسم، وتولى مسؤولية الحزب بمنطقة دلس، اعتقل إثر حل المنظمة الخاصة، وشارك في التحضير للثورة وعين مسؤولاً على منطقة دلس - برج منايل، وقد تم سحب بيان أول نوفمبر 1954 في قريته اغيل امولته، نقل نشاطه رفقة او عمران إلى منطقة الجزائر، شارك في مؤتمر الصومام رفقة أحمد بوقرة، وخلال المؤتمر عين عضواً في قيادة الولاية الرابعة وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره، انتقل سي صالح في نهاية 1957 إلى الخارج لأداء مهمة رسمية تمثلت في جلب الأسلحة، واختلف وهو في المغرب مع بومدين، اكتشف الخلافات السائدة بين القادة، وقد باءت مساعيه بالفشل فقرر العودة، استأنف نشاطه بجد وتفان، وقد كان مساعداً لبوقرة، ثم أصبح بعد استشهاد هذا الأخير يوم 5 ماي 1959 قائداً للولاية الرابعة، عرفت الولاية في عهده جملة من المشاكل اجتهد في تجاوزها، ومنها مخاطر خطة شال ومسألة تنظيم الولاية وقضية الزرق .. الخ. لقد كانت تجربة سي صالح مع القيادة العليا بالخارج مريرة، وكانت معاناة ولايته أمر ولعل هذا ما جعله يقبل عرض ديغول بالاجتماع به في قصر الاليزي في 10 جوان 1960 رفقة مساعديه، وذلك للبحث عن مخرج سلمي للقضية الجزائرية في إطار سلم الشجعان، وأثر فشل اللقاء أثرت تهمة الخيانة ضد مسؤولي الولاية، وتعرض سي صالح للمحاكمة واحيل على قيادة الثورة بالخارج، وفي طريقه إلى تونس وقع في كمين للعدو فسقط شهيداً في 20 جويلية 1961 بمنطقة البويرة^(٢).

7 - زهوان حسين

1 انظر أحمد الدوم: مذكرات، منشورات المركز الوطني د ب ث ج، الجزائر، 2018،
2 صدر حوله كتاب بالفرنسية، ومساره النضالي ثري ينظر عدة مرجعيات، محمد تقيية: الثورة الجزائرية المصدر الرمز والمأل، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2010، ص 529-562

ولد في أوت 1935 ببرج منايل من عائلة ثورية، انخرط في حركة الانتصار. ح.د، وهو طالب بالمدرسة، سجن بين سنتي 1955 - 1957، وما إن خرج من السجن حتى التحق بالثورة في الولاية الثالثة، تألم كثيرا لما خلفته مؤامرة الزرق، رقي ليصبح ضابطا في الولاية الثالثة، كلف من قبل قيادة الولاية بإبلاغ الحكومة المؤقتة في تونس بأوضاع الولاية سنة 1960.

عين عضوا في المكتب السياسي للجبهة (1964-1965)، عارض انقلاب 19 جوان 1965، سجن ثم وضع في الإقامة الجبرية في الجنوب من 1965 حتى 1971، عاش في المنفى بفرنسا منذ عام 1973. وعاد إلى الجزائر ليترأس في سنة 2005 اللجنة الجزائرية لحقوق الإنسان (١).

8 - عمارة رشيد

شخصية مرموقة في النضال الطلابي والعمل الثوري. من عائلة ميسورة الحال ولد بجرجرة سنة 1934، وانتقل مع عائلته للعيش بوادي الزناتي، درس المرحلة الابتدائية بعزازقة وبرج منايل، وأكمل دراسته الثانوية بالعاصمة ودخل جامعة الجزائر، عرف بنشاطه السياسي والطلابي المبكر، حيث ساهم في إنشاء الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وتؤكد ارتباطه بالثورة التحريرية، وقد أشرف على تنظيم الإضراب الطلابي المشهور وربط الاتصالات مع عبان رمضان. سخر نفسه وماله لخدمة الثورة فكانت قيادة الثورة تعقد اجتماعاتها في بيته، وتكلفه بمهام التنسيق والتموين، فقد نقل رسالة عبان رمضان إلى زيغود

يوسف بالشمال القسنطيني، ورافق او عمران في نقل الأسلحة من العاصمة إلى المنطقة الرابعة. التحق بصفوف المجاهدين قبل موعد الإضراب العام، وعمل طبيبا بالمنطقة الرابعة إلى إن سقط شهيدا في 13 جويلية 1956 بمنطقة لوزانة، مثل استشهاده المبكر حافزا لرفاقه الطلبة في الالتحاق بصفوف الثورة، وغدي اسمه نموذجاً للتضحية والوطنية (٢).

9 - محساس أحمد (علي)

مناضل قديم في حزب الشعب وحركة الانتصار. ح.د. ولد يوم 17 نوفمبر 1923 ببودواو، من عائلة ريفية، انضم إلى شبيبة حزب الشعب في بداية

1 عاشور شرفي: قاموس الثورة الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 184

2 بن يوسف بن خدة: المقاومة في مدينة الجزائر، د.حلب، 2010، ص 29 وما بعدها

الأربعينات، وتعرض للسجن والاعتقال أكثر من مرة. وشارك في تأسيس حركة الانتصار.ج.د. وأصبح إطارا فيها، تولى عدة مسؤوليات وشارك في تأسيس المنظمة الخاصة وعين مساعدا لرئيس منطقة الوسط، أعتقل سنة 1950 وتمكن من الهروب بعد سنتين من سجن البلدية رفقة ابن بلة، انتقل إلى فرنسا سنة 1953، وشارك رفقة بوضياف في تأسيس أولى خلايا حزب جبهة التحرير الوطني بفرنسا. كلف بالإشراف على فيدرالية الجبهة بفرنسا، ثم استدعي إلى القاهرة نهاية سنة 1955 ليكلف بمسؤولية نقل السلاح بليبيا، وعينه ابن بلة مسؤولا عن قاعدة تونس الحيوية، حيث قام بتنظيم القاعدة الشرقية وتفعيل نشاط الثورة بالتنسيق مع اليوسفيين، ونظرا لموالاته لابن بلة عارض قيادة الداخل بعد اختطاف طائرة زعماء الجبهة وتسبب في مشكلة عويصة للثورة، تصدت له لجنة التنسيق والتنفيذ وكلفت دباغين وواعمران بعزله ومحاكمته، لكن السلطات التونسية بادرت إلى تهريبه إلى خارج تونس، كلف بعدها بمهام التسليح في ألمانيا إلى غاية الاستقلال. تقرب من ابن بلة وتولى بعد الاستقلال مباشرة وزارة الفلاحة والري. وعارض في سنة 1967 نظام بومدين وعاش في الخارج، عاد إلى ارض الوطن وشارك في الحياة السياسية، اختير ضمن الثلث الرئاسي نائبا بمجلس الأمة سنة 1998، وهو يدلى باستمرار بشهادته، كما أن له العديد من الكتابات التاريخية والفكرية المنشورة، ومنها "الحركة الثورية في الجزائر" (1).

10- هاشمي حمود (جلول، الحسين)

مناضل قديم في حزب الشعب، ولد ببرج منايل، ألقى عليه القبض سنة 1945 وتعرض للتعذيب والسجن إلى غاية 1946، تولى بعدها عدة مسؤوليات، فكان رئيسا لمنطقة القبائل يشرف على كريم وواعمران، ثم مسؤولا عن منطقة سطيف ووادي الصومام، وعضوا في اللجنة المركزية لحركة الأنصار. ح.د. منذ سنة 1951. وهو من المركزيين الذين التحقوا بالثورة في بداية 1955، وقد اعتمده عيان وابن خدة في ميدان الاتصال والعمل اللوجستيكي، قدم كل إمكانياته لإنجاح مهمة سحب صحيفة المجاهد على آلة الرونيو، وكان له دور

1 احمد محساس: الحركة الثورية في الجزائر، دار القصة للنشر، الجزائر، وكذا مقلاتي عبدالله: احمد محساس ودوره في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، مجلة آراء ونقد، جامعة الجزائر 2، العدد 05

هام في وضع أساس التنظيم السياسي الذي شمل أحياء القبّة وحسين داي. قبض عليه يوم 20 فيفري 1957، وعذب تعذيب فظيحا من قبل المظليين، ولم يفصح عن مكان اجتماع لجنة التنسيق والتنفيذ، وتوفي رحمه الله تحت التعذيب الشنيع بعد أيام من اعتقاله⁽¹⁾.

11- بوداود عمر

مناضل متمرس ورئيس اتحادية الجبهة بفرنسا.



ولد بسيدي داود بلدية بغلية بولاية تيزي وزو عام 1924، درس بمسقط رأسه وبمدينة تيزي وزو، والتحق بمعهد التكوين المهني ليتكون في الفلاحة، التحق بصوف حزب الشعب إبان الحرب العالمية الثانية، واعتقل بعد مجازر 8 ماي 1945 ثم أطلق سراحه، عين مسؤولا عن دائرة القبائل السفلى خلفا لمرزوقي.

اعتقل ثانية في سنة 1948، وبمجرد إطلاق سراحه انتقل إلى فرنسا، وهناك واصل نضاله السياسي، وأدرسته الثورة التحريرية بفرنسا فتجدد في صفوف جبهة التحرير، عمل أولا بقاعدة المغرب مساعدا لبوضياف، واثرا اعتقال محمد لبحاوي سنة 1957 طلب منه عبان رمضان الالتحاق بباريس وترأس فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، وقد تولى هذه المسؤولية بكل جدارة واستحقاق إلى غاية تحقيق الاستقلال، وفي عهده تقوى تنظيم الاتحادية في فرنسا، وأنشأت شبكات دعم الثورة والفرق الفدائية المسلحة.

شارك بوداود في دورة المجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس في ماي 1962 ونال شرف رئاسة أول جلساتها، وقد وقف في خضم الصراع على السلطة إلى جانب الشرعية وسعى في الحفاظ على وحدة الصف ورأب الصدع، وتآلم كثيرا لضياع جهوده سدى .

بعد الاستقلال عين نائبا في المجلس التأسيسي وعضوا في اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني حتى جوان 1965، وقد عين على رأس لجنة الاعتراف بعضوية المجاهدين التي أنشأتها وزارة المجاهدين، وهو ما يزال على قيد الحياة وقد نشر مؤخرا مذكراته التي تسجل مسيرته النضالية والجهادية (1).

12- بوداود محمد (منصور)



هو الأخ الأصغر لبوداود عمر تولى عدة مسؤوليات إبان الثورة في قاعدة المغرب . ولد بتورقة ببومرداس سنة 1926 وبها نشأ وتعلم، انضم إلى حزب الشعب سنة 1944، وأختبر ليكون عضوا في المنظمة الخاصة.

التحق مبكرا بصوف الثورة في العاصمة، وفي سنة 1955 كلفه أوعمران بالسفر إلى المغرب وربط الاتصال مع محمد بوضياف لإدخال الأسلحة، فبقي هناك يعمل مع بوضياف والطيب الثعالبي في ميدان تأطير الجالية الجزائرية بالمغرب وجمع التبرعات وشراء الأسلحة، وعين في سنة 1957 مسؤولا عن مديرية التموين والتسلح بقاعدة المغرب، ونهض في هذا الإطار بمسؤوليات كبرى، وعين في

1 بوداود محمد: مذكرات من حزب الشعب الى فدرالية جبهة التحرير بفرنسا، دار القبلة للنشر، ص 10 وما بعدها

الفترة ما بين 1958-1959 مسؤولاً عن التسليح في القاعدة الغربية ومشرفاً على مصانع التسليح السرية المقامة في المغرب، وقد أدى تحت سلطة بومدين أدواراً هامة في تموين وتسليح الثورة انطلاقاً من قاعدة المغرب، وواصل عمله منذ سنة 1960 في وزارة التسليح والاتصالات العامة حتى سنة 1962. ما يزال على قيد الحياة، وقد قدم شهادات عن أدواره النضالية في مناسبات مختلفة^(١).

13 محمد عبدون

مناضل قديم في الحركة الوطنية

ولد بدلس عام 1913، وتحصل على الشهادة الابتدائية واشتغل في مصالح الضرائب بالعاصمة، انضم لحزب الشعب منذ عام 1936، وأصبح مسؤولاً عن مصلحة المالية باتحادية الجزائر، وخلال الحرب العالمية الثانية انضم للجنة العمل الثورية الداعية لشن الثورة المسلحة.

انضم إلى المركزيين في صراعهم مع مصالي، وفي سبتمبر 1955 التحق بصوف الثورة، وقد ساهم مع عبدالمالك تمام في تأسيس النظام الضريبي لجهة التحرير الوطني، اعتقل في الثامن فيفري 1957 وبقي في السجن الى غاية 20 جانفي 1962، وبعد الاستقلال استقال من العمل السياسي، وقد أخرج مذكراته، وضمنها شهادة مناضل من قلب الحركة الثورية^(٢).

ثانياً : رموز النخبة الإصلاحية:

مع بروز نشاط جمعية العلماء ظهرت عدة شخصيات عرفت بنهجها الاصلاحى ومنهم:

أحمد حسين :

الأستاذ بالمعهد والإطار بجهة التحرير الوطني

من مواليد سنة 1911 بسيدي داود ببومرداس، درس العلوم الشرعية وانتقل إلى

1 محادثة شخصية مع منصور بوداود، العاصمة، يوم 03 ماي 2005
2 محمد عبدون: مذكرات، دحلب، الجزائر، ومحمد عباس: رواد الوطنية، دار هومة الجزائر، 2005، ص 266_257

تونس سنة 1940 لمزاولة الدراسة بالزيتونة، ثم عاد إلى أرض الوطن ليشتغل مدرسا بمعهد ابن باديس، كان يدرس النحو بأسلوب عصري يثير إعجاب الطلاب كما تدل شهاداتهم المشيدة به، كما تولى مراقبة دار الطلبة وتوجيه قاطنيها، وفي هذا الإطار كان يتكفل بإيواء العناصر الثورية في الدار، وهي مهمة خطيرة، وبسبب مشاركته في نشاط خلية المعهد تعرض لمضايقة الإدارة الفرنسية، واضطر للالتحاق بصفوف الثورة في تونس، حيث عمل قاضيا ومرشدا في قاعدة تونس.

وبعد الاستقلال عين أستاذا بثانوية عمارة رشيد في العاصمة، وخاض تجربة العمل الصحفي إلى أن توفي سنة 1987 وهو عضو في المجلس الإسلامي الأعلى (1).

الخاتمة:

من خلال ما سبق دراسته حول النخبة الوطنية في بومرداس يتبين لنا ما يلي:

- ان الموقع الاستراتيجي لبومرداس وربطها بين منطقة القبائل والعاصمة جعلها مركزا للعمل الوطني الثوري والإصلاحي.
- لقد برز عدد من رجال النخبة الوطنية الذين شاركوا بفعالية في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، ومنهم رمضان بوشبوبة واحمد محساس والهاشمي حمودة.
- لقد أكدت معظم الحركات الوطنية تواجدتها في بومرداس وأحوازها، ومنها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي بدأت نشاطا توعويا وتعليميا من خلال إنشاء المساجد والمدارس في برج منايل ودلس وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن يوسف بن خدة: المقاومة في مدينة الجزائر، دحلب، 2010،
- أحمد محساس: الحركة الثورية في الجزائر، دار القصبة للنشر، الجزائر،
- احمد بوضرية: مذكرات طيبب خلال الثورة، منشورات المركز و د ب ث، الجزائر،
- أحمد الدوم: مذكرات، منشورات المركز الوطني د ب ث ج، الجزائر، 2018،
- بوداود محمد: مذكرات من حزب الشعب الى فدرالية جبهة التحرير بفرنسا، دار القبّة للنشر،
- سعد دحلب: المهمة منجزة، دحلب، الجزائر عاشور شرفي: قاموس الثورة الجزائرية، دار

- القصة للنشر، الجزائر، 2007،
- عبدالله مقلاتي: قاموس شهداء وابطال الثورة الجزائرية، مكتبة نواصري، الجزائر،
2020،
- محمد عباس: رواد الوطنية، دار هومة للنشر، الجزائر
- محمد تقيّة: الثورة الجزائرية المصدر الرمز والمآل، دار القصة للنشر، الجزائر، 2010،
- محمد عبدون: مذكرات، دحلب، الجزائر، ومحمد عباس: رواد الوطنية، دار هومة
الجزائر، 2005.
- مقلاتي عبدالله: أحمد محساس ودوره في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، مجلة
أراء ونقد، جامعة الجزائر 2، العدد 05.
- عبد الله مقلاتي: محادثة شخصية مع منصور بوداود، العاصمة، يوم 03 ماي 2005

هوامش :

- 1 - هذا حسب: المنظمة الوطنية للمجاهدين، الطريق الى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، OPU، الجزائر، 1982، المجلد 1، الجزء 1، ص 329. أما في مصدر آخر (المنظمة الوطنية للمجاهدين، مكتب تيزي وزو، مساهمة المنطقة الثالثة والرابعة للولاية الثالثة في أشغال الندوة الوطنية حول المعارك الكبرى للولاية الثالثة التاريخية، تيزي وزو، 25 و26 نوفمبر 1999) فلم يرد اسم عمرو خطاب ضمن المجاهدين المشاركين في عمليات أول نوفمبر بـرج منايل.
- 2 - ورد ذكر هذه العملية في: المنظمة الوطنية للمجاهدين، مكتب تيزي وزو، مساهمة المنطقة الثالثة والرابعة للولاية الثالثة في أشغال الندوة الوطنية حول المعارك الكبرى للولاية الثالثة التاريخية، تيزي وزو، 25 و26 نوفمبر 1999.
- أما في مصدر آخر فقد ورد بأن هذه العملية جرت في 14 نوفمبر 1954 بعد عودة المجموعة التي شاركت في عمليات بوفاريك. انظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، الطريق الى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، الجزء 1، ص 332.
- 3 - - ملحقة متحف المجاهد بتزي وزو، بيوغرافية الشهيد بنور علي حسب شهادة المجاهدين (9 مجاهدين).
- 4 - المنظمة الوطنية للمجاهدين، الطريق الى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، الجزء 1، ص 328.
- 5 - Ali Zamoum, op.cit., pp. 163-164.
- 6 - Ibidem.
- 7 - المنظمة الوطنية للمجاهدين، الطريق الى نوفمبر كما يرويها المجاهدون، الجزء 1، ص 330-331.
- 8 - المصدر نفسه.
- 9 - المصدر نفسه.
- 10 - المصدر نفسه.
- 11 - المصدر نفسه، ص 325
- 12 - المصدر نفسه، ص 326.
- 13 - Bacha Boualem, Récits de feu 1954-1962, Les évadés de Paul Gazelle, ENAG, Alger, 2009, p 9.
- 14 - Ali Zamoum, op.cit., p 165.

... يعود تاريخ ولاية بومرداس إلى فترة ما قبل التاريخ، حيث تعاقبت عليها العديد من الحضارات القديمة، بدءاً من الحضارة الفينيقية، فالرومانية و الوندالية، ثم البيزنطية، كما خضع إقليم الولاية لحكم الدولة الإسلامية بعد فتحها من طرف "موسى بن نصير".

لقد كانت ولاية بومرداس جزءاً من الولاية التاريخية الثالثة والرابعة معا إبان الثورة، كما شارك خيرة بناتها و أبنائها في العديد من المعارك الشرسة ضد الاحتلال الفرنسي الذي راح ضحيتها أكثر من 5200 شهيد، الذين سقطوا في ميدان الشرف، فكانوا رمزا يقتدى به في التضحية والوفاء والإخلاص للوطن، جسدها تلك المعالم التاريخية و التذكارية التي تزر بها الولاية ومنها: 29 مقبرة للشهداء و 10 مربعات للشهداء و 42 معلما تذكاريًا، بالإضافة إلى معالم تاريخية أهمها: 39 محتشدا و 42 مركزا تعذيبيا وسجنين).

السيد يحي يحاتن

والي ولاية بومرداس

